أحمد صدقي الدجاني

الانتفاضة الفلسطينية

والصحوة العربية

دار المستقبل العربي

الانتفاضة الفلسطينية

والصحوة العربية

أحمد صدقي الدجاني

الانتفاضة الفلسطينية

والصحوة العربية



دار المستقبل العربي

تصميم الغلاف الفنان : حسين أبو زيد

الطبعـــة الأولـــى ١٩٨٨

مقدمـــة

هذا كتاب عن الانتفاضة الفلسطينية ــ انتفاضة شعبنا العظيمة التي مثلت التعبير الأقوى عن الصحوة العربية في مواجهة الغزوة الصهيونية . وهو يصدر في الذكرى الأربعين لنكبة فلسطين ، والانتفاضة توشك أن تكمل شهرها السادس ، وهي لاتزال مستمرة تدق باب الحرية وتبني صرح التحرير . كما يصدر أيضاً في الذكرى الخمسين للثورة العربية الكبرى في فلسطين قبل النكبة .

يصدر هذا الكتاب والتفاعلات التي اوجدتها الانتفاضة كأقوى ماتكون . وقد تحمستُ لإصداره قبل أن تكتمل هذه التفاعلات ، ليقوم بواجبه في دراسة الانتفاضة والدعوة الى الوفاء بحقها ، لعله يسهم في حشد طاقات امتنا لدعمها حتى تحقق هدفها وتحرر أراضينا المحتلة . وسيبقى هدف تحرير الوطن نصب اعيننا حتى يتحرر الوطن ، وتتطهر فلسطين أرض المقدسات التي باركها الله من الصهيونية العنصرية .

يضم الكتاب « أحاديث الانتفاضة » وهي مقالات كتبتها أسبوعاً بعد أسبوع منذ بدأت الانتفاضة يوم ١٩٨٧/١٢/٩ وتتبعتُ فيها مايجري بالرؤية الفكرية والرؤية المستقبلية ، ولم أتوقف الا مرتين ، مرة حين اعتكفت لأداء العمرة في نهاية عام ١٩٨٧ الميلادي مع زوجتي وولدي الطيِّب ، وقد أنهيت الاعتكاف بالتحدث عن الانتفاضة لجريدة « الندوة » في مكة المكرمة . ومرة حين شغلتُ باجتماعات فلسطينية مكثفة في تونس في الأسبوع الثاني من نيسان

عام ١٩٨٨ . ويضم الكتاب « أحاديث ماقبل الانتفاضة » وهي مقالات مختارة من بين ماكتبته على مدى عام ١٩٨٧ تناولتُ فيها بالحديث موضوعات وثيقة الصلة بحدوث الانتفاضة رأيت أن أمهد بها « لأحاديث الانتفاضة » . وقد دعا أول هذه المقالات الى « التقدير لأوضاع أهلنا » معتبراً إياه من أهم العناصر التي تمكننا من الوفاء بمتطلبات المرحلة الراهنة في الصراع العربي الصهيوني وهزيمة عدونا ، وجاءت الانتفاضة لتجسد ماتضمنه من رؤية . ورأيت أن أضم لهذه الأحاديث الحديث الذي نشرته جريدة الندوة وحديثاً آخر نشرته مجلة المنابر وجريدة صوت العرب .

إن مايتضمنه هذا الكتاب من أفكار هو حصيلة ساعات طويلة من الاشتغال في عملنا الفلسطيني ضمن مؤسساته القيادية ، وساعات طويلة من القراءة والتأمل . وقد سافرت خلال فترة كتابته اسفاراً كثيرة في مشرق وطننا العربي ومغربه ورأيت مافعلته انتفاضة شعبنا العظيمة المعبرة عن الصحوة العربية في أبناء أمتنا ، والاجلال الذي يحيطونها به والآمال التي يعلقونها عليها . وكم أفدت من الحوارات التي أعقبت محاضراتي عن الانتفاضة في عدة أقطار عربية . ورأيت أن أقف في هذا الكتاب عند الأسبوع السادس والعشرين من الانتفاضة والقمة العربية الطارئة على وشك الانعقاد .

لقد تابعت في هذا الكتاب ما أقوم به على صعيد معالجة الصراع العربي الصهيوني . وهو يأتي حلقة في سلسلة وللقارىء الكريم أن يعود الى بقية كتبي التي تعالج هذا الصراع . وارجو أن يجد فيها مايفيد .

بقي أن اشكر دار المستقبل العربي على عنايتها بنشر هذا الكتاب . والله ولي التوفيق .

أحمد صدقي الدجاني
آخر أيار — مايو ١٩٨٨

أحاديث ماقبل الإنتفاضة

التقدير الصحيح لأوضاع أهلنا

التقدير الصحيح لأوضاع أهلنا في الوطن المحتل من أهم العناصر التي تمكننا من الوفاء بمتطلبات المرحلة الراهنة في الصراع العربي الصهيوني ، وهزيمة عدونا . وهو يستمد أهميته من الدور الملقى على كاهل أهلنا في هذا الصراع .

دلائل كثيرة على اكثر من صعيد تشير الى أن مثل هذا التقدير الصحيح غير موجود عند بعض صانعي القرار ، وعند بعض أصحاب الرأي من المثقفين في وطننا . الأمر الذي يؤدي بهؤلاء الى اصدار احكام خاطئة ينتج عنها خلل في مواقفهم وحساباتهم . وكم يبدو هذا الخلل خطيراً في هذه المرحلة التي نردد دوماً أنها مرحلة مواجهة .

إن الفكرة التي تسيطر على هؤلاء وهؤلاء هي « أن أوضاع اهلنا تحت الاحتلال بالغة الصعوبة ، وأن سوء أوضاعنا العربية لايمكّن من طرد المحتل ، ولذا فإن علينّا أن نقبل ماهو معروض وإن كان لايلبي حقوقنا » . وتُصوِّر هذه الفكرة لهؤلاء وهؤلاء أن أهلنا في الوطن المحتل بسبب شدة معاناتهم يقبلون بأي شيء . وهكذا يحدث الانقياد الى القبول بالأمر الواقع ، وهو غاية ما يريده عدونا .

لاشك في حقيقة أن أوضاع أهلنا تحت الاحتلال بالغة الصعوبة ، ومن هنا يتفق الكثيرون مع المقولة الأولى في الفكرة . ثم انهم يتفقون مع المقولة الثانية التي تتعلق بأوضاعنا العربية السيئة . ويتأثرون بخاصة بالمناخ الثقيل الذي

يخيم على قضية فلسطين بسبب الأزمة التي تعانيها منظمة التحرير الفلسطينية في داخلها وفي علاقاتها العربية . ولكن هل صحيح أن أهلنا في الوطن المحتل بسبب شدة معاناتهم يقبلون بأي شيء ؟ وماهو التقدير الصحيح لأوضاعهم ؟

* * *

ليس صحيحاً البتة أن أهلنا في الوطن المحتل ، بسبب شدة معاناتهم ، يقبلون بأى شيء . والصحيح أنهم ، وبسبب شدة معاناتهم ، لايقبلون الا باستعادة حقوقهم وقد أكدوا ذلك عملاً وقولاً .

المقصود بالعمل هنا هو الجهاد والنضال والكفاح ، والمقاومة بكل صورها للاحتلال . وواضح بأن هذه المقاومة مستمرة ، وأنها لاتكاد تفتر بسبب شدة القمع حتى تشتعل من جديد مكتسبة خبرات جديدة .

لقد شهد العامان الماضيان اشتداد المقاومة في فلسطين المحتلة وجنوب لبنان المحتل والجولان المحتل . ويؤكد لنا الاخوة القادمون من هناك أن عمليات المقاومة التي تحدث هي اضعاف مايعلن عنه العدو . والحق أن المتابع للتقارير الصهيونية يجد فيها مايعزز تأكيدهم .

لعل من اكثر مالفت نظري في آخر ماصدر من هذه التقارير حديث لحاييم هيرتسوغ رئيس الكيان الصهيوني خلال زيارة له لسلاح الهندسة يوم ١٩٨٧/١/٢١ قال فيه وهو يدافع عن الجرائم التي يقترفها جهاز الشين بيت المسمى بالأمن العام « إن هذا الجهاز اكتشف خلال عام ١٩٨٦ ثلاثمائة وعشر مجموعات مسلحة من ابناء فلسطين كانت تنوي القيام بعمليات مسلحة ضد اسرائيل » . وقد استوقفني في التصريح أمران أولهما هو هذا العدد الكبير للمجموعات التي اكتشفها العدو ، وهو يدعو الى التساؤل عن عدد تلك التي لم يكتشفها . والأمر الثاني هو تورط رئيس الكيان الصهيوني المباشر في جرائم جهاز القمع العنصري ودفاعه عن قراره بالافراج عن قاتلي فدائيين عربيين صبراً وقوله « تصوروا كم من اسرار جهاز الأمن العام ستفتضح لو أحيلوا الى

المحكمة » . والأمران وثيقا الصلة بأوضاع أهلنا فجرائم العنصرية الصهيونية تسبب لشعبنا أشد المعاناة ، وهو يستجيب لتحديها بمزيد من المقاومة .

ان التقارير حول الممارسات الصهيونية حافلة بالجرائم العنصرية . وقد تأملت في واحد منها يصدره يهودي فرنسي تضمن حصيلتها في شهر آب اغسطس ١٩٨٦ .

فبدا لي مدى فظاعتها وشمولها للبادية والريف والمدن ، واستهدافها كل الاجيال كما بدا لي مدى صلابة المقاومة التي تواجهها .

فإذا انتقلنا الى متابعة القول بعد أن نظرنا في العمل نستذكر ماأسفر عنه ذلك الاستفتاء الذي شمل بعض شرائح من شعبنا في الصيف المنصرم على صعيد مايقبلون به ومالايقبلون . وقد لفت الأنظار أن غالبيتهم العظمى تحدثوا عن تحرير فلسطين . وفاجأ هذا الحديث البعض ممن كان يتصور غير ذلك ، ولكنه لم يفاجىء العارفين باوضاع أهلنا المقدرين هذه الأوضاع التقدير الصحيح .

كان هؤلاء العارفون يدركون جيداً أن شعبنا في الوطن المحتل وقد واجه كل هذا العنت الصهيوني ، وطن نفسه على صراع النفس الطويل بعد أن تأكد له أن عدوه العنصري متشبث باطماعه التوسعية متمسك بسياسته العدوانية . وصار لسان حاله وهو يسمع من يدعوه الى القبول بالأمر الواقع على أمل أن ينتهي العنت الصهيوني « ان الشاة المذبوحة لاتخشى السلخ .. وستخرج العنقاء من كل ذبيح في عملية ولادة مستمرة تمجد الحياة لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون » والغلبة في نهاية الأمر لأصحاب الحق الذين تمتد جذورهم في الأرض وتضرب في أعماقها .

واضح اذن أن التقدير الصحيح لأوضاع أهلنا في الوطن المحتل هو أنهم على الرغم من كل المعاناة وبفعل معرفتهم بعدوهم مصممون على متابعة النضال في صراع النفس الطويل مدركون أنهم يمثلون عاملاً هاماً في بناء القوة العربية اللازمة للانتصار في هذا الصراع موطنون أنفسهم على القيام بدورهم . ويبقى

أن يساعدهم قومهم على ذلك ، فكيف تكون هذه المساعدة العربية ؟

* * *

إن أمتنا العربية قادرة على مساعدة ابنائها الواقعين تحت وطأة الاحتلال الصهيوني العنصري بطرق مباشرة وغير مباشرة ، وبأعمال موجهة لهم وأخرى تتم في الوطن الكبير .

لعل في مقدمة مايساعدهم ويسعدهم هو أن تسود وطننا روح معنوية عالية . وهم أدرى الناس بما تفعله هذه الروح المعنوية العالية في حشد الطاقات لمقاومة العدو . والكل يذكر الأيام الأولى في حرب رمضان ١٩٧٣ ويذكر كل انتصار عربي تم في أي جزء وكل عملية مقاومة حدثت في الوطن المحتل . وواضح لهم ولنا أن الروح المعنوية العالية لاتسود الا اذا ساد العمل الصالح وتزايدت قوة الأمة وتم القضاء على اسباب الوهن وخفتت الأصوات التي تحاول أن تميت الأحياء .

إن مساعدتنا لأهلنا على صعيد دعم صمودهم مادياً هو حق لهم علينا . ومن وسائل دعم صمودهم إحسان التعامل معهم ومع ذويهم في الاقامة والعمل والتنقل .

وسيبقى في مقدمة مايتطلع اليه اهلنا وهم يقومون بدورهم هو تهيؤ العنصر الآخر في القوة العربية للقيام بدوره ، لأن التحرير يتطلب تكامل العنصرين .

* * *

لنا أن نختم هذا الحديث بالتساؤل عن .. تقدير عدونا الصهيوني للعنصرين معاً في هذه الفترة .

إن ممارسات العدو وسياساته ومواقفه تجيب بمجملها عن هذا التساؤل بأنه لايزال أسير نظرة واحدة جامدة ترى أن حل الصراع انما يتم بفرض الاستسلام

علينا بعد الاقرار بتفوقه الهائل ، وإطالة أمد استمرار الواقع القائم حتى يتم القبول به بدون أي شرط . وهو لايزال أسير مقولة واحدة تقول بأن العرب لايفهمون الا بالقوة الغاشمة .

هذا هو المجمل وهذه هي المحصلة ، ولكن ذلك لايمنع وجود أفراد صهاينة وصلوا الى تقدير مختلف تماماً . ومما لفت انتباهي مؤخراً أن يصبح يهوشفاط حركابي أحد هؤلاء ، وهو الذي شغل منصب رئيس الاستخبارات في الجيش الاسرائيلي لفترة واشتهر بترجمته الميثاق الوطني الفلسطيني الى العبرية .

لقد اصدر حركابي مؤخراً كتابه « قرارات مصيرية » فآثار جدلاً واسعاً في الكيان الصهيوني . وكان ان اتهمه البعض بأن ماورد في الكتاب يلحق الضرر باسرائيل ، وهاجمه البعض بأن مرضه بسرطان الكلية وآلامه هي التي أوحت له بكتابة ماكتب فماذا كتب ؟

لم يقرأ كاتب هذه السطور الكتاب بعد ، ولكنه قرأ ماورد في ندوة عقدت لمناقشته في جامعة تل أبيب . ومنها يتضح ان حركابي حذر الاسرائيليين من الاقدام على انتحار « وطني » ، ومن أن التطور التاريخي لايسير في صالحهم ، وعلى الصعيد السكاني بخاصة ، ومن أن الجيل الحالي الصهيوني يترك من المشاكل للأجيال القادمة مالايستطيعون حله . وقد نبه حركابي الى أن عرب فلسطين المحتلة ليسوا ايتاماً ، ووضعهم مغاير لوضع اهل جنوب افريقيا من السود ، والى أن الاسرائيليين سيتكبدون خسائر فادحة بفعل الأسلحة الحديثة في أي حرب تنشب ويدفعون الثمن غالياً ، حتى وإن انتصروا ! وقد آن الأوان ان يستيقظوا من احلامهم الوردية . وطالب حركابي الاسرائيليين أن يتفحصوا طريقهم قبل أن يذهبوا موحدين الى الضياع .

إن هذا التقدير لأوضاعنا العربية هو تقدير فرد صهيوني تخصص في دراستها . وقد اوردناه في معرض دعوتنا الى أن نقدر اوضاع اهلنا التقدير الصحيح ، ونقدر اوضاعنا العربية عموماً التقدير الصحيح ، لنتمكن من الوفاء

بمتطلبات المرحلة الراهنة ، ونقوم بواجبنا في مساعدة اهلنا الذي يقاومون الاحتلال كي يقوموا بدورهم كاملاً . ويقيننا أن هذا التقدير الصحيح لن يبقى مكانا بيننا لألاعيب شيمون بيرز التي تستخدم زخرف القول محاولة شغلنا بما لاطائل منه ومستهدفة اشاعة الاحباط بيننا . وتحية اجلال لأهلنا في الوطن المحتل .

حديث المؤتمر الدولي

ما أكثر مايتردد الحديث عن « المؤتمر الدولي بشأن الشرق الأوسط » في مختلف وسائل الاعلام هذه الأيام . وتتداعى الى خاطرى وأنا أتابع الانشغال بهذا الحديث صورة رسمها مؤرخ رومي بيزنطي لسيطرة موضوع معين على الأذهان حين تحدث عن النقاش الذي احتدم في عصره حول طبيعة السيد المسيح عليه السلام ، ووصف الناس وهم يتناقشون في الموضوع صباحاً ومساءً ، في بيوتهم وفي أماكن العمل بل وفي الحمامات العامة التي يرتادونها ، وعند تبادل التحية أو تبادل العزاء . وواضح أن ذلك كله تعبير عن الاهتمام الشديد بالموضوع .

وتثور من خلال هذا الحديث اسئلة حول هذا المؤتمر الدولى . هل سينعقد ؟ ومتى ؟ وهل يمكن أن يتحقق انعقاده قبل انتهاء عام ١٩٨٧ كما تتوقع تصريحات بعض المسؤولين ؟ واسئلة أخرى حول صلاحياته ، وكيفية سير العمل فيه ، والمدى الزمني لانعقاده . ولاأزال أذكر كيف دارت الأحاديث حول هذه الأسئلة على مدى أسبوع الحوار الذي سبق انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني في نيسان الماضي بالجزائر ، ثم في اكثر من لقاء وندوة .

★ ★ ★

إن المناخ السياسى السائد في عالمنا يشير الى امكانية انعقاد هذا المؤتمر ، فهو مناخ صالح لانضاج أمر الانعقاد . وهذا ما يفسر كثرة تردد الحديث

عنه . ولكن الانعقاد مرهون بتحقق عدد من الأمور على عدة صعد في وقت واحد . وهذا ليس بالأمر السهل .

نبدأ بالصعيد الدولي ، فنجد أن انعقاد هذا المؤتمر الدولي مرهون باتفاق القوتين الأعظم حوله . فأين وصل البحث في هذا الاتفاق ؟

لقد شهد شهر تموز ــ يوليو الماضي انعقاد اجتماع آخر بين كل من مورفي وبولياكوف جرى فيه بحث تحريك عملية التسوية في منطقتنا ، ولنا أن ننظر فيما أعلنه مورفي يوم ٨٧/٧/٢٩ امام اللجنة الفرعية لشؤون الشرق الأوسط وأوروبا في مجلس النواب الأمريكي حول ماوصل اليه البحث وحول تقويمه لموقف الاتحاد السوفييتي . فقد قال « أبدى السوفييت اهتماماً بتبادل جدي وعميق للآراء والأفكار ، وتحدثوا عن اهتمامهم باحراز تقدم في عملية السلام ، ولكنهم لم يقوموا بتقديم التزامات ، ولم يتراجعوا عن مواقف معروفة ، ومازالت هناك فجوات قائمة بين الموقفين السوفييتي والأمريكي . ونحن في انتظار معرفة مدى استعدادهم لأداء دور ايجابي ، أو أنهم على استعداد لتغيير سياسات سلبية تضع قيوداً على هجرة اليهود السوفييت وترفض تبادل العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل . ولقد استطعنا أن نقدم للسوفييت قضايا للتفكير فيها وطرحنا عليهم عدة اسئلة ، ونحن ننتظر ردود أفعالهم » .

الولايات المتحدة الأمريكية إذن ترى أن الاتحاد السوفيتي مهتم بتبادل الأفكار حول الموضوع ، وهي تنتظر منه أن « يقدم » التزامات و« يتراجع عن مواقف » ، ويؤدي « دوراً ايجابياً » ويغير « سياسات سلبية » . وقد قدمت له قضايا يفكر فيها وطرحت عليه اسئلة . والبحث لايزال جارياً .

معلوم أن هناك اتفاقاً من حيث المبدأ قائماً اليوم بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي حول انعقاد المؤتمر الدولي . ولكن الولايات المتحدة تطالب الاتحاد السوفييتي بداية بأن يعيد علاقاته الدبلوماسية بالكيان الصهيوني ، ويفتح باب هجرة اليهود السوفييت إلى اسرائيل ، فيغير مما اسماه مورفي

« سياسات سلبية » . كما تُطالب الولايات المتحدة الاتحاد السوفييتي أن يقنع اصدقاءه من العرب بالتفاوض المباشر وبالمرونة ، فيؤدى دوراً يصفه مورفي بأنه ايجابي . وهي تدعوه الى أن يقدم التزامات بعدم الضغط على الأطراف في المفاوضات بحيث يكون المؤتمر الدولي مظلة لمفاوضات مباشرة وليس محكماً (بتشديد الكاف وفتحها) بين اطراف الصراع . وقد قدم مورفي لبولياكوف أفكاراً تفصيلية ضمن هذا التصور تضمنت عصارة ماتوصلت اليه الولايات المتحدة مع بعض اطراف الصراع .

ماهي رؤية الاتحاد السوفييتي لما وصل اليه البحث في الاجتماع الأخير ؟ الاتحاد السوفييتي يرى هو الآخر أن الولايات المتحدة مهتمة بتبادل الأفكار حول الموضوع وهو عازم على متابعة هذه المباحثات . وقد شرح ذلك لأكثر من وفد عربي رسمي وشعبي زار موسكو مؤخراً . ويحدثني أخ عربي صديق عاد قبل أيام من هناك ، وهو من السياسيين المخضرمين الذين عرفوا السياسية السوفيتية في منطقتنا عن كثب على مدى ثلاثة عقود ، فيقول « لقد اوضح لنا المسؤولون السوفييت أن هذه المباحثات تقع ضمن مباحثاتهم الشاملة مع الولايات المتحدة التى تتضمن عدداً من الموضوعات . وفي مقدمة هذه الموضوعات موضوع نزع السلاح النووي الذي أصبح الأكثر الحاحاً بعد أن تبلورت قناعة بأن كوكبنا الأرضي مهدد بخطر الفناء بسبب مئات القنابل النووية المخزونة فيه . والاتحاد السوفييتي مقتنع بضرورة الربط في هذه المباحثات الشاملة بين مختلف الموضوعات المتصلة ببؤر التوتر في عالمنا » . فالصلة وثيقة بالمنظور العالمي بين موضوع نزع السلاح وموضوع الصراع العربي الصهيوني وموضوع الصراع في امريكا الوسطى وموضوع حرب الخليج الخ..... والاتحاد السوفييتي يتمسك بفكرة المؤتمر الدولي اطاراً لتسوية الصراع العربي الصهيوني . وهو يبدي مرونة في بحث القضايا التي تطرحها عليه الولايات المتحدة ولكنه يعرف أين تقف حدود هذه المرونة . فهو مثلا ارسل وفداً دبلوماسياً قنصلياً الى اسرائيل لدراسة املاك الكنيسة الأرثوذكسية الروسية

هناك ، ولكنه لايمكن أن يقبل بأن تبحث اسرائيل في أمر اليهود السوفييت وهم مواطنون في الاتحاد السوفييتي ، ولذلك فإنه لايمكن أن يستقبل وفداً قنصلياً بالمقابل . ولقد قطع الاتحاد السوفييتي علاقاته باسرائيل إثر احتلالها اراض عربية عام ١٩٦٧ ، وهو لن يعيد علاقاته هذه الا اذا انسحبت اسرائيل من هذه الأراضي ــ كما أعلن مراراً . ويعلق محدثي هنا قائلاً و« هذا لايمنع أن يبدي الاتحاد السوفييتي مرونة عبر عنها بتصريح لجورباتشوف أوضح فيه أنه يمكن التقدم في هذا اذا اعلنت اسرائيل التزامها بالانسحاب من تلك الأراضي العربية » .

إن مرونة الاتحاد السوفييتي واضحة اليوم على صعيد المؤتمر الدولي في جزئيات كثيرة ومنها قبوله بنوع من المفاوضات المباشرة بين الأطراف حول التفاصيل بعد انعقاد المؤتمر وفي إطاره . ومنها قبوله لصيغة وفد مشترك بين منظمة التحرير الفلسطينية ودولة عربية أو اكثر مع تمسكه القوي بتمثيل المنظمة لشعب فلسطين .

يبقى أن نشير الى أمرين ونحن نبلور اجابتنا عن سؤال « اين وصل البحث بين الدولتين الكبيرتين . الأمر الأول هو أن الاتفاق على هذا البحث أعلن منذ مطلع عام ١٩٨٥ ، وتحديداً يوم ٨٥/١/١٦ في اعقاب اجتماع جروميكو وشولتز بجنيف يوم ٨٥/١/٧ مؤذناً بمرحلة جديدة تجري فيها « محادثات منظمة بشأن الشرق الأوسط » بين القوتين الأعظم بعد أن توقفت هذه المحادثات سبع سنوات حكمها موقف امريكي يقول بامكانية انفراد الولايات المتحدة في ايجاد حل للأزمة . وقد انتظمت المحادثات فعلاً منذ سنتين ونصف وتوصلت الى مارأينا . فكم تحتاج حتى تصل الى سد « الفجوات القائمة بين الموقفين السوفييتي والأمريكي » ؟

الأمر الآخر هو أن البحث يجري اليوم وكل من الدولتين الأعظم يمر بظروف خاصة فالاتحاد السوفييتي يعيش « عهد جورباتشوف » بكل مافيه من

تحولات داخلية لها آثارها والولايات المتحدة تعيش نهاية « عهد ريغان » بأزماته المتلاحقة . فماذا سيكون انعكاس الاوضاع الداخلية في كل من الدولتين على محاولتهما الوصول الى اتفاق حول الصراع العربي الصهيوني .

هل نستطيع إذن أن نقول في معرض اجابتنا عن السؤال وعلى ضوء ماسبق إن الباب مفتوح أمام استمرار المباحثات بين الدولتين لانضاج أمر انعقاد « المؤتمر الدولي بشأن الشرق الأوسط » ، ولكن يخطيء من يتصور أنه لم يبقَ الا شهور معدودة أمام هذا الاتضاح ، فرحلة المباحثات طويلة . وقد استغرب المسؤول السوفييتي الكبير الذي كان يتحدث لوفد عربي في موسكو — كما قال لي السياسي العربي المخضرم — أن يصدر تصريح في عاصمة عربية يقطع بأن المؤتمر الدولي سينعقد قبل نهاية العام الحالي ، وعلق مداعباً بأنه سيرغب الى الذي صرح بأن يضعه في صورة مايجري ، لأن الاتحاد السوفييتي ليس لديه ما يمكنه من القطع بذلك .

لقد ركزنا في حديثنا عن الصعيد الدولي على الدولتين الكبيرتين ، لأن دوريهما أساسيان في موضوع المؤتمر الدولي . وهذا لايعني عدم وجود ادوار لأوروبا الغربية ومجموعات دول العالم الثالث ، ولكنها فيما يخص هذا الموضوع ، وفي هذه المرحلة ، لاتزال أدواراً ثانوية محدودة مساعدة .

* * *

إن انضاج انعقاد المؤتمر الدولي على الصعيد الدولي وثيق الصلة بانضاجه على الصعيد العربي وعلى الصعيد الصهيوني . وغني عن البيان أن الموقف الاسرائيلي من فكرة المؤتمر الدولي لايزال في محصلته سلبياً سواء فيما يخص الفكرة من حيث المبدأ ، كما يتضح من موقف ليكود وشامير أو فيما يخص الفكرة من حيث التفاصيل ، كما يتضح من موقف العمل وبيريز . وواضح أن هذا الموقف الاسرائيلي لايساعد على انضاج الانعقاد ويحاول عبثاً الحيلولة دونه ، فكيف تكون مواجهة هذا الموقف ؟

إن الاجابة عن هذا السؤال تقتضي منا أن ننظر في طبيعة هذا الموقف .

وسنجد بداية أنه قابل للتغير . ونحن نذكر أن « اسرائيل » سارعت الى التعبير عن رفضها للتوجه الأمريكي الجديد نحو التباحث مع الاتحاد السوفييتي بشأن الصراع العربي الصهيوني قبل عامين ونصف وصرح متحدث اسرائيلي باسم الحكومة فور اعلان ذلك التوجه « أن اسرائيل لاتعتقد بأن المحاولات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي حول الشرق الأوسط ستكون لها أية مضامين عملية » وتولى المندوب الاسرائيلي في الأمم المتحدة عملية الهجوم الشديد على المؤتمر الدولي الذي « سيكون منبراً يتهجم منه العرب على اسرائيل » . ثم لم يلبث أن حدث تغير تدريجي محدود ظهر على صعيد حزب العمل فرضته حقائق جديدة .

واضح أن الحقائق الجديدة هي التي تفرض تغيير مواقف العدو الصهيوني ويكون التغيير بقدر ماتوجد من الحقائق على أرض الصراع ، من خلال مقاومة الاحتلال ، وبناء الموقف العربي الواحد ، وتوفير طاقاتنا وحشدها لمتطلبات الصراع . وان المتأمل في احداث العامين ونصف العام اللذين مضيا منذ بدأ البحث في فكرة المؤتمر الدولي يجد أن مقاومة اهلنا للاحتلال فعلت فعلها في فرض التغيير على العدو . كما يجد أن ماحدث من حد أدنى للتفاهم بين بعض الأطراف العربية على التحرك فعل فعله ايضاً . ويقيناً فإن استكمال بناء الموقف العربي الواحد وانهاء نزف حرب الخليج سيوجد حقائق قوية تفرض على عدونا تغيير موقفه .

مطلوب اذن أن نعطي المؤتمر الدولي حقه من الاهتمام ، وأن نركز اثناء ذلك بايجاد الحقائق على أرض الصراع ، فهي التي سيكون لها الأثر الاكبر في انضاجه . ومثل واحد رأيناه ، مؤخراً على صعيد المقاومة في غزة هاشم فعل الكثير في صفوف العدود ولايزال الجدال هناك محتدماً . ولنا ونحن نعيش ذكرى مضي ثمانية قرون على معركة حطين أن نردد دوماً اننا نخوض صراع النفس الطويل ، والمؤتمر الدولي احدى جزئياته الكثيرة . ولابديل عن النصر في هذا الصراع من خلال ايجاد الحقائق على أرض الصراع .

مواجهة هذا الصاروخ الاسرائيلي

للبعد الدولي في الصراع العربي الصهيوني أثره الواضح على مجريات الأحداث في منطقتنا ، وعلى مسار هذا الصراع . وهذا مايدعونا الى المتابعة اليقظة لكل تطور يتعلق بهذا البعد الدولي وردود الفعل الدولية عليه ، وبخاصة في كل من الدولتين « الأعظم » .

يدخل في البعد الدولي للصراع أدوار الدول الكبرى فيه ، وكذلك مواقف أطرافه من هذه الدول . وقد شهد الأسبوع الأخير من شهر تموز يوليو الماضي تطوراً يتعلق بهذا البعد الدولي ، ما أسرع أن ولد مجموعة ردود أفعال . ولنا ضمن متابعتنا اليقظة أن نتعرف على هذا التطور ، ونحلل ردود الأفعال عليه ، ونرسم من ثم سياستنا لمواجهته .

* * *

الذي حدث هو أن « الكيان الصهيوني » طوّر صاروخاً عابراً للقارات من المدى المتوسط قادراً على حمل نووي متفجر . وقد صدر الخبر عن هذا « الحدث » أول ماصدر في الولايات المتحدة الأمريكية يوم ٨٧/٧/٢٢ ، وتضمنت التقارير الأمريكية عن هذا الصاروخ « أن اسرائيل وصلت الى مرحلة تجريب الجيل الثاني من صواريخ « أريحا » . وأنه بينما كان مدى الجيل الأول يتراوح بين ٤٥٠ و ٥٠٠ كم ، فإن « أريحا » صمم ليصل الى مسافة ١٤٥٠ كم ، وهذا يعني أنه اذا نصب في اسرائيل فإنه سيكون قادراً على ضرب اهداف في جنوب الاتحاد السوفييتي .

لقد استذكر مندوب جريدة هاآرتس الاسرائيلية وهو يعلق على هذا الخبر أن وسائل الاعلام الأجنبية تناقلت في السنوات الماضية أخباراً كثيرة عن صواريخ « أريحا » التي نصبت في الجولان والنقب . وحاول مراسل الجريدة العسكري « بدهتسور » أن يقلل من وقع الخبر الذي صدر عن الولايات المتحدة بقوله « انه ليس ثمة جديد فيه » . وقال « إن الهدف من تطوير مثل هذا الصاروخ هو توفير وسيلة تحمل السلاح الذري الى هدفه . ومع أن الطائرات المقاتلة قادرة على حمل مثل هذا السلاح ، الا أن بعض الدول تفضل تطوير الصواريخ التي تحمل رؤوساً نووية متفجرة » . وضرب مثلاً باسرائيل التي « تمتلك طائرات قادرة على حمل اسلحة ذَرية ، ومع هذا فقد طلبت من الولايات المتحدة في السابق تزويدها بصواريخ بيرشينغ الامريكية التي نصبت في اراضي الدول الأوربية الأعضاء في حلف الأطلسي . وتشكل هذه الصواريخ احدى وسائل الردع النووى لدى الحلف » .

إن هذا التعليق يكشف بوضوح ـــ اذا قرأنا مابين السطور ـــ عن الطموحات الصهيونية التي لاتحد على صعيد امتلاك القوة العسكرية ، وعن الصلة القائمة بين اسرائيل والولايات المتحدة على صعيد تطوير الصواريخ التي تحمل رؤوساً نووية ، وعن الدور الذي يمكن أن تقوم به اسرائيل في المخططات الأمريكية تجاه الاتحاد السوفييتي التي تتكامل مع مخططاتها في حلف الأطلسى . ويلفت النظر بخاصة في التعليق الاشارة الى الجولان المحتل عام ١٩٦٧ والنقب كموضعين لنصب الصواريخ ، وكذلك طلب اسرائيل من الولايات المتحدة تزويدها بصواريخ بيرشينغ التي نصبت في أوروبا الغربية .

* * *

لم يتأخر صدور رد الفعل السوفييتي على الخبر الذي صدر في الولايات المتحدة عن الصاروخ الاسرائيلي « اريحا » . وقد جاء في صورة تعليق سياسي لاذاعة موسكو في أعقاب نشرتها باللغة العبرية الموجهة الى اسرائيل . وتضمن ـــ كما اوردت صحيفة هاآرتس يوم ٧/٢٤ ـــ القول « ان تطوير النموذج

المتقدم بعيد المدى لصاروخ « اريحا » الاسرائيلي الصنع يعتبر تحديا للاتحاد السوفييتي ، كما يشكل خطراً عليه . وإن على الزعماء الاسرائيليين أن يفكروا مرة ومرتين في تأثيرات تطوير صاروخ بوسعه ضرب هدف في اراضي الاتحاد السوفييتي » . وتضمن التعليق أيضا تهديداً لاسرائيل بأن السلاح النووى لن يبقى حكراً عليها لفترة طويلة في المنطقة . كما اضاف التعليق « ان اسرائيل بما فعلته تحول نفسها لتصبح جزءاً من المواجهة النووية بين الدول العظمى . وإن الولايات المتحدة ، تقف وراء تزويد اسرائيل بصاروخ نووي للمدى المتوسط . وهي في الوقت الذي تجري فيه مفاوضات مع موسكو حول نزع الأسلحة النووية ، فإنها تحول حلفاءها مثل المانيا في أوروبا واسرائيل في آسيا الى دول نووية » . وختم التعليق بالتحذير من النتائج المدمرة التي ستحل اساساً باسرائيل مع انتشار سباق التسلح النووي في منطقة الشرق الأوسط . ولاحظ المعلق أنه لم يكن بالامكان الحفاظ على سر وجود الصاروخ بعد أن أجرت اسرائيل عليه تجربة في البحر الأبيض المتوسط .

لقد أوضح رد الفعل السوفييتي على حدث اطلاق الصاروخ الاسرائيلي « أريحا » استشعار الاتحاد السوفييتي لخطورته واعتباره تحديا له . وكشف عن دور الولايات المتحدة — كما يراه — في ذلك . وسجل ان اسرائيل دخلت في المواجهة النووية بين الدول العظمى . وحذر من ان ذلك سيؤدي الى دخول منطقة الشرق الأوسط ككل في هذه المواجهة فتشهد سباق تسلح نووي .

* * *

ما أسرع ماصدر رد الفعل الاسرائيلي على « التحذير » السوفياتي . فقد أجرت اذاعة الجيش الاسرائيلي يوم ٧/٢٥ مقابلة مع شيمون بيريز وزير الخارجية حوله . واعتمد بيريز اسلوب « زخرف القول » في اجاباته ، وحاول تطمين الاتحاد السوفياتي حين قال رداً على سؤال « هل للروس مايقلقهم » ، « لاتوجد هناك أية نوايا اسرائيلية ضد الاتحاد السوفياتي ، وبشكل عام فإن المفهوم العسكري الاسرائيلي هو مفهوم دفاعي . ان الاتحاد السوفياتي ليس

عدونا . ولكنه زود دولاً مجاورة لنا بصواريخ ولهذا فإنه يترتب على اسرائيل ان تتخذ اجراءات دفاعية مناسبة » . وأوضح بيريز أن التحذير السوفياتي لم يكن رسمياً ، وأنه وجه باللغة العبرية الى الاسرائيليين . وكان زئيف شيف كبير المعلقين العسكريين في جريدة هاآرتس قد عقب يوم ٧/٢٥ على التحذير السوفياتي ، فبيّن أنه ليس الأول ، ولكنه هذه المرة تطرق صراحة الى صاروخ ذي قدرة على حمل رأس نووي مداه ١٥٠٠كم أو أكثر . وأوضح في محاولته تطمين الاتحاد السوفياتي « أن مثل هذه الصواريخ معدة لتلك العواصم العربية التي درجت في الماضي على ارسال قوات عسكرية ضد اسرائيل ، والتي تقوم اليوم أيضا ببناء قوتها العسكرية لتتدخل في حرب محتملة ضد اسرائيل » . وكرر شيف الزعم بأن مفهوم اسرائيل الاستراتيجي مفهوم دفاعي أساساً ، وأن اسرائيل لاتبني قوتها العسكرية ضد الاتحاد السوفييتي . وحذا الأستاذ امنون سيلع الباحث المختص بالشؤون السوفيتية في الجامعة العبرية خذو شيف في حديثه مع جريدة معاريف يوم ٧/٢٦ حين قال « اعتقد ان اسرائيل لاتشكل بالنسبة للاتحاد السوفيتي طرفاً عسكرياً عالياً » . ثم أضاف بأن البيان السوفييتي يهدف الى التعبير عن مخاوف العرب ويبرز اهتمام الاتحاد السوفييتي بأمنهم ، وبخاصة « أنه رفض كما ذكرت صحيفة فرنسية تزويد احدى الدول العربية بصواريخ س .س .٢٣ » . وأعرب عن اعتقاده ان السوفييت لن يسلموا حلفاءهم العرب سلاحاً نووياً ، غير أنهم بالتأكيد يلحون للمخاوف القائمة من تحويل اسرائيل الى دولة نووية . ونفى وجود خطر سريع من هذا البيان وقال « نحن على اطلاع بوجود خطة لتصفيتنا لدى القيادة السوفيتية ، ولكن البيان الذى أذيع بالعبرية من راديو موسكو لايعتبر رسالة أو تهديدا مباشراً من الاتحاد السوفياتي لاسرائيل » . ولقد تساءل عضو الكنيست يوسي سريد في استجواب قدمه لوزير الحرب اسحق رابين كما نشرت هاآرتس يوم ٧/٢٩ عن الاسباب التي تدفع باسرائيل الى تطوير صواريخ عابرة للقارات ، متوسطة المدى ، في الوقت الذي تقوم فيه الدول العظمى بعقد اتفاقات على اخراج هذه الصواريخ من أوربا . ولم يجب وزير الحرب عن هذا التساؤل .

ان مضمون رد الفعل الاسرائيلي على التحذير السوفياتي يكشف عن أن هذا الصاروخ « أريحا » يستهدف في وقت واحد عواصم عربية يضعها الكيان الصهيوني اهدافاً حربية في نطاق الصراع العربي الصهيوني ، واراض في الاتحاد السوفياتي تضعها الولايات المتحدة الأمريكية اهدافاً عربية في نطاق الصراع الأمريكي السوفييتي . وهذا هو الدور الثابت للكيان الصهيوني على الصعيدين الاقليمي والدولي . وهو يقوم به لنفسه ونيابة عن حليفة الاستراتيجي . وواضح مدى الخطر الكامن في هذا التطور على الصعيدين . وهو خطر يستهدف منطقتنا أولاً وأخيراً .

* * *

والآن كيف نواجه الخطر الذي يحمله في طياته هذا التطور على صعيد البعد الدولي للصراع العربي الصهيوني ؟

إن السؤال مطروح على كل دولنا العربية بدون استثناء فجميعها تواجه هذا الخطر بصورة مباشرة لأن هذه الصواريخ تستهدفها ، وبصورة غير مباشرة لأن هذه الصواريخ تدخل منطقتنا في أتون الصراع الأمريكي السوفييتي .

لنا في نطاق التفكير في الاجابة أن نشير الى ضرورة صياغة جواب عربي واحد فضلاً عن جواب كل دولة بمفردها ، لأن هذا الخطر يصيب الأمن العربي كله . وصياغة مثل هذا الجواب العربي الواحد تقتضي اجتماعاً يخصص لهذا الغرض يعقد على الصعيدين الفني والسياسي .

نشير ايضاً الى ضرورة إثارة موضوع هذا الخطر في المحافل الدولية ، وفي مباحثات نزع السلاح بخاصة ، ومواجهة الخطر النووي . ومن المعلوم أن الكيان الصهيوني ماض في تخزين الاسلحة النووية ، وقد جهر بهذه الحقيقة أحد خبرائه الذي يحاكم الآن وأنا اكتب هذه السطور بتهمة الخيانة لأنه افشى هذا السر لجريدة بريطانية . ومن المعلوم ايضا أن دراسات كثيرة دولية اكدت هذا الأمر .

ونشير الى جدوى اثارة هذا الموضوع داخل الكيان الصهيوني بتقديم الحقائق حوله الى عامة الاسرائيليين . ومن المعلوم أن هناك قلقاً بين الأساتذة الفنيين هناك من اخطار هذا « اللعب بالنار » على عدة صعد ، وأولها البيئة . وإن تحذير الاسرائيليين من مغبة تورطهم في صراعات الدول الكبرى ، سيكون له صداه وهو إن لم يجد في ايقاف قادة الصهاينة عن الانغماس في اللعب بالنار ، فإنه يجدي في ازعاجهم وارباكهم .

ان مواجهتنا لهذا الخطر تكون في المقام الأول بتصعيد مقاومتنا للكيان الصهيوني في داخله . فالمقاومة باساليبها البسيطة لاتتأثر بالأسلحة الضخمة ولا الاسلحة المتطورة بالغة التعقيد ، وقد أكدت ذلك تجربتها خلال السنوات العشر الأخيرة بخاصة . ونحن مدعوون من ثم أن نبذل كل مابوسعنا لدعم هذه المقاومة . وعلينا ايضاً ان نطالب كل من يهمه ابعاد منطقتنا عن هذا الخطر بمثل هذا الدعم . ولابديل عن انتصار المقاومة اذا أردنا للسلام العادل أن يعم منطقتنا ، واذا اردنا تجنيب وطننا والعالم مخاطر اللعب الصهيوني بالنار .

الكيان الصهيوني بين يهود ويهود

للبعد الداخلي الصهيوني في الصراع العربي الصهيوني اثره الواضح على مجريات الأحداث في منطقتنا ، وعلى مسار هذا الصراع ، وهذا مايدعونا الى المتابعة اليقظة لما يجري داخل الدائرة اليهودية والدائرة الصهيونية ودراسة التفاعلات الحادثة فيهما . وأن مايجري على الصعيد يشغل بصورة خاصة القيادات الصهيونية . وقد سلطت الأضواء عليه هذا الصيف بمناسبة الذكرى العشرين لشن اسرائيل حرب ١٩٦٧ واحتلالها مزيدا من الأراضي العربية ، فامتلأت الصحف الاسرائيلية بكتابات حوله .

يدخل في هذا البعد الداخلي الصهيوني العلاقات بين اليهود الذين يدينون باليهودية وينتمون الى أوطان مختلفة يحملون جنسياتها . ومعلوم أن الدائرة اليهودية التي تجمع هؤلاء اليهود شهدت عند ظهور العقيدة الصهيونية ونشوء الحركة الصهيونية ، قيام حركتين معارضتين هما حركة « اليهود الاصلاحيين » وحركة « اليهود المتدينين » . وقد عارضت الأولى الصهيونية « لانها تنازلت عن الرسالة الشاملة والعالمية لليهودية » حين اصطنعت قومية لليهود . اما معارضة الثانية للصهيونية فلانها « اعتمدت العلمانية » وخالفت « عقيدة انتظار قدوم المسيح كي يعيد بناء اسرائيل » التي تقول بها اليهودية .

ولم تلبث الدائرة اليهودية ان شهدت بعد اقامة الكيان الصهيوني واعلان « دولة اسرائيل » تمييزا بين اليهود الاسرائيليين الذين يحملون الجنسية الاسرائيلية ويهود « الشتات » — كما يسميهم الصهاينة — الذين يعيشون في أوطانهم ويحملون جنسياتها ، ولايفكرون بالهجرة الى الكيان الصهيوني .

كيف تبدو العلاقة بين اليهود الاسرائيليين واليهود الآخرين ؟

لقد كان هذا السؤال موضوع ندوة نظمتها صحيفة معاريف في ٦/١٢ نستطيع من خلالها أن نتعرف على الاجابة الصهيونية الاسرائيلية عليه . فالصهاينة ينطلقون بداية من الاعتقاد بوجوب هجرة جميع اليهود الى فلسطين . وقد عبر عن ذلك بن غوريون حين حدد معنى ان يكون الانسان صهيونيا « بأن يهاجر الى اسرائيل ، ومن لايهاجر فهو ليس بصهيوني » . والصهاينة يدركون أن هناك عددا من المشاكل نجمت عن وجود يهود اسرائيليين ووجود يهود آخرين ، سواء أكانت مشاكل مشتركة بينهم أو مشاكل ناجمة عن التعارض فيما بينهم .

والصهاينة يتطلعون الى قيادة يهود الشتات — كما يسمونهم — والى تعاونهم معهم مادام هؤلاء اليهود لم يهاجروا من أوطانهم . وقد دأبوا على مطالبتهم بالدعم المالي وبالتأييد السياسي للكيان الصهيوني .

ان الصهاينة الاسرائيليين يعتقدون بوجود تضامن بين « يهود الشتات » واسرائيل .

« وقد تجسد هذا التضامن بجميع الاشكال ومختلف الصور منذ قيامها » . وكانت هجرة بعضهم اليها تعبيرا عن ذلك ، ولكن الكثيرين منهم اليوم لا يهاجرون الى اسرائيل ولايتعلق هذا بمستوى معيشتهم لانه ينطبق على اليهود الذين يعيشون في بحبوحة في الدول المتقدمة ، وعلى اليهود الذين يعانون الضنك في الدول الفقيرة . وانما هو ناجم عن انهم « لم يعودوا يرون في اسرائيل كيانا يجسد هويتهم » والهوة واسعة بين الحقائق الموضوعية التي يعيشونها في أوطانهم وبين ما تطالبهم به الحركة الصهيونية .

* * *

ان الصهاينة الاسرائيليين يرون ان هناك شكلا من اشكال التعاون بين اليهود الآخرين واسرائيل . وهو قائم على اسس وجدانية وعاطفية ، حيث

الكيان الصهيوني يعني لهم فخرا ذاتيا وملجأ يمكن أن يلجأ اليه عند الحاجة . ولكن مايحول بينهم وبين التعاون الكامل أو الهجرة الى اسرائيل مايرونه من عدم قدرة الاسرائيليين على حل قضية الهوية اليهودية وعلى حل القضية الفلسطينية .

لقد بدأ الصهاينة الاسرائيليون يقلقون من تغير صورة اسرائيل عند يهود الشتات .

وحين يوجز استاذ جامعي كبير في جامعة تل ابيب مايراه اليهود الأمريكيون في اسرائيل يقول « انهم يذكرون انها قامت بعمليات يفاخرون بها وخاضت حروبا دافعت فيها عن وجودها . ولكنهم يذكرون ايضا أنها سببت لهم الكثير من الضيق والخزي .

وليس ذلك بسبب قضية بولارد والفضيحة الايرانية فقط ، بل وبسبب الحرب اللبنانية ومذابح صبرا وشاتيلا ، وبسبب جميع النقاشات الداخلية التي تدور فيها حول الدين والدولة .

ويشير استاذ آخر من الجامعة العبرية الى ان « التطرف في فهم اليهودية » سواء أكان داخل الكيان الصهيوني أو في أوساط اليهود الآخرين هو الذي يخل بالعلاقة القائمة بين اليهود الاسرائيليين ويهود « المهجر » على حد قوله وقد عبر عن اعتقاده « أن الشعور بالهجرة موجود داخل قطاعات جماهيرية اسرائيلية اكثر مما هو موجود في أوساط يهود المهجر » .

* * *

اجاب عن السؤال نفسه مفكر صهيوني بريطاني عجوز من يهود « الشتات » في مقابلة اجرتها معه جريدة معاريف يوم ٦/٢٦ ، وهذا المفكر هو « يشيعيا هوبرلين » الذي عمل باحثا في اكسفورد منذ عام ١٩٣٨ وألف عددا من الكتب ، وقد بدأ اجابته بالتنبيه الى انه « لايمكننا أن نتحدث عن يهود الشتات كجماعة واحدة فرغم ان الدين يؤلف بينهم ، الا ان كل جالية منهم تتصرف وتفكر حسب النمط والطريقة اللتين اعتادتهما الدولة التي تعيش فيها

هذه الجالية » . فهو اذن يقر بانتماء اليهود الى أوطانهم ، ولكنه يلاحظ في الوقت نفسه « أن أغلب يهود الشتات يضعون اسرائيل في مركز تفكيرهم . وهناك كثير من الشعوب يتهمونهم بانهم يحلونها محل الديانة اليهودية ، وهو اتهام يحمل شيئا من الحقيقة . وقد شعر الكثير من اليهود الذين كانوا في دور الاستيعاب والاندماج في الدول التي يعيشون فيها بالهم يربض فوق قلوبهم في أعقاب حرب ١٩٦٧ دون أن يدركوا أسباب ذلك . وقد شعروا أنهم مرتبطون باسرائيل برباط أعمق مما يستطيعون فهمه » . ومع ذلك يرى هوبرلين ان غالبية اليهود « لايعيشون أزمة ضمير لعدم هجرتهم الى اسرائيل ، لانهم يشعرون أن رابطتهم الوحيدة بها هي كونهم يهودا ليس الا ، ولذا ترى منهم من يهاجر اليها في نهاية الأمر ، ومنهم من يبقى في موطنه الأصلي ، ومنهم من يقوم بزيارتها فقط ، واني اعتقد ان اولئك الذين لا يهاجرون يرون ان انتماءهم لاسرائيل يشابه انتماءهم لمواطنهم الأصلية » .

ان اليهودي اينما كان وبعد اقامة اسرائيل ذو ولاء مزدوج . وهوبرلين يعتقد ان ازدواجية الولاء هذه « ترجع لكون يهود الشتات يتطلعون الى اسرائيل كأساس لتحقيق الذات والهوية . وهم في الوقت نفسه يشعرون بالولاء نفسه لمواطنهم الأصلية التي ترعرعوا فيها . واذا ما تعارض الولاءان احدهما مع الآخر لسبب ما فان كل يهودي مضطر الى اتخاذ قراره الحاسم حسب طبيعة تفكيره ودرجة ايمانه باحد الولاءين » . ويلفت النظر ان اعلان اليهودي ولاءه لاسرائيل يتأثر بالنهج الاسرائيلي « فالثقة والفخر بالمنجزات الاسرائيلية يتزعزعان ، اذا ما عملت اسرائيل بشكل يتنافى والاخلاق » . فالكثير من يهود بريطانيا — كما يقول هوبرلين — « شعروا بالخجل من الحرب اللبنانية ، وما نجم عنها » .

كذلك فان اليهودي الاسرائيلي يعتبر نفسه مواطنا في الكيان الصهيوني ذا ولاء واحد وهو من ثم يتساءل احيانا هل هذا الكيان لمواطنيه فقط أم لجميع اليهود .

ويجيب هوبرلين على هذا السؤال بان هذه مشكلة عويصة ناجمة عن ان اقامة الصهيونية هذا الكيان كانت من اجل أي يهودي يرغب في القدوم اليه ، « ولكن يجب علينا ن ندرك أن هناك مصالح للاسرائيليين قد تتعارض في يوم ما مع الهجرة الجماعية ليهود الشتات . وأنا عتقد ان هذا سيحدث في المستقبل ، وسيكون لاسرائيل الحق في تقليص حجم الهجرة الى الحد الذي ترتأيه مناسبا » .

ان العلاقة بين اليهود الاسرائيليين واليهود الآخرين تتأثر بشكل حاد بالعلاقة القائمة بين مختلف التيارات داخل الكيان الصهيوني . وواضح أن ممارسة الاستعمار الاستيطاني في فلسطين المحتلة غذت في هذه التيارات التعصب والتطرف ، فاشتد بأسها بينها . ويصف هذا الحال عضو الكنيست أولمرت في ندوة معاريف وهو يقول : « ان أولى المشاكل التي يعاني منها المجتمع الاسرائيلي هي توقفنا عن حوار احدنا الآخر ، ومجادلته بالشكل الذي يجب ان يسود في مجتمع مثقف يقوم على التفاهم المتبادل . وأنا لاأعتقد اننا نتعامل مع يهود المهجر بشكل من اشكال التعالي يقل عن ذاك الذي يتعامل به احدنا مع الآخر هنا . فالجدل لدينا له صورة واحدة هي صورة السباب والتشويه والتحقير حتى ولو كان الخلاف القائم بيننا ثانويا وقد أوضح استاذ الجامعة العبرية « جل نور » في الندوة ايضا أن الوضع الداخلي يعيش ازمة حقيقة وقال « انني اعلن على رؤوس الاشهاد اننا نواجه خطرا ، فالمتطرفون يهددونا وكذلك الحركات السرية والتفرقة العنصرية وما اكثر الأخطار الناجمة عن ذلك كله . وانا اعتقد انه رغم الحماس الذي يعترينا فاننا نراوح في هذا الوضع منذ عشرين سنة على الأقل » .

بقي ان نشير الى أن الوضع الداخلي في الكيان الصهيوني يتأثر بشكل خاص هو الآخر بالممارسات الصهيونية العنصرية على ابناء فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ وابناء فلسطين المحتلة عام ١٩٦٧ . وقد بدأ المفكر الصهيوني البريطاني متناقضا مع نفسه وهو يتحدث عن هذه الممارسات . فهو يقول « ان اسرائيل

مدينة يهودية ذات اقليات قومية . ويحق للأقليات اذا ماكانت تحمل المواطنة الاسرائيلية ان تتمتع بكافة الحقوق المدنية بما فيها تنمية وتطوير ثقافتها .

والعرب يمتلكون لغة ودينا وثقافة ومن حقهم الحفاظ عليها وتنميتها .. ويجب علينا أن نذكر ان اسرائيل قامت من أجل الشعب اليهودي ، وليس من أجل مواطني دولة تدعى فلسطين . ولا أعتقد ان لهذه المشكلة حلا واضحا ومحددا .. أن هناك ضرورة للمحافظة على طابع اسرائيل كدولة يهودية . ولذا فقد نضطر احيانا للقيام بخطوة حيوية من أجل تحقيق ذلك على حساب مصالح غير اليهود . فاذا نجم مثل هذا الأمر ، فمن الواجب علينا أن نقوم به بشكل يضمن وجود الحد الأدنى من عدم المساواة ويقفّ المرء امام هذا الحديث ويتساءل ماهو الحد الأدنى من عدم المساواة ، وتزكم أنفه رائحة العنصرية الصهيونية التي تفوح من المفكر الصهيوني البريطاني .

وبعد.. فان دراسة الاستعمار الاستيطاني توضح أن للبعد الداخلي فيه أثرا على مستقبله ، فاذا ساءت العلاقات بين المستعمرين المستوطنين وبين مجتمعاتهم الأصلية وتوقف الامداد بمستعمرين مستوطنين جدد ، واذا ما ساءت العلاقات بين المستعمرين المستوطنين انفسهم بفعل ما تورثه تجربة الاستعمار الاستيطاني من امراض التطرف والتعصب ، فان هذا المستقبل مظلم ويمكننا ان نستشهد بمثل الغزو الفرنجي لبلادنا ونحن نحتفل بذكرى مضي ثمانية قرون على اثره في حطين ، حيث عانى الفرنجة الأمرين ، كما نستشهد بأمثله الاستعمار الاستيطاني الأوروبي الحديث في أسيا وافريقيا .

كذلك فان دراسة الاستعمار الاستيطاني تبين أن بعده الداخلي يهتز بفعل مقاومة أصحاب الأرض المواطنين الحقيقيين فيها . واستمرار المقاومة طويلة النفس كفيل بأن يفجر المستعمر المستوطن من داخله .

ان متابعتنا اليقظة لما يجري داخل الدائرة اليهودية الصهيونية يزيدنا عزما .

امام ثلاثة مواقف صهيونية

ثلاثة مواقف صهيونية من الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ طفت على السطح الذي شهدت فيه فلسطيننا احداثا واحداثا، وهي تعيش الذكرى العشرين للنكسة، والذكرى التاسعة والثلاثين للنكبة.

ومطلوب ان نتأمل في هذه المواقف ونحن نتابع أوضاع عدونا، ونبحث في مكوناتها، ونجيب عن تساؤلين بروزان .. ماذا نتوقع من عدونا على ضوئها؟ وكيف نواجهه في هذه المرحلة من صراع النفس الطويل؟

* * *

الموقف الأول يجاهر بضرورة اخراج جميع الفلسطينيين العرب من ديارهم بالقوة، وضم جميع الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ الى الكيان الصهيوني وهو يدعو الى تكثيف الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في هذه الأراضي، ويطبق دعوته عمليا بشكل صارخ. ويعمد الى مختلف وسائل الارهاب لطرد الفلسطينيين العرب.

يلتقي على هذا الموقف تيار واضح المعالم في الكيان الصهيوني يضم تنظيمات وافرادا. ويستقطب هذا التيار اكثرية من يعرفون بالمتدينين ويقوده مجموعة من الحاخاميين مع عدد من المدنيين. ومن تنظيماته حركة كاخ التي يقودها الحاخام مائير كاهانا، وحركة هتحيا التي يقودها الأستاذ نيئمان

وجيئولا كوهين ، وحركة غوش امونيم وينخرط في هذا التيار عدد من الليكوديين ويتعاطف معه عدد اكبر منهم .

لقد اشتهر الحاخام كاهانا كناطق باسم اصحاب هذا الموقف بعد ان دخل الكنيست على اساسه . وهو لا يفتا منذ ثلاثة اصياف بالدعوة اليه قولا وعملا . وهو يوضح في دعوته ــ كما شرح مؤخرا في مقابلة له مع صحيفة النهار المقدسية مخاطبا العرب ــ « سنخرجكم بالقوة . وعليكم التسليم بحقيقة وجود « الدولة اليهودية » على كل أرض اسرائيل ولاحق لكم في السيادة عليها أو الحكم فيها » . ويرى كاهانا « ان السلام غير وارد على الاطلاق .. والقوة هي التي تفرض في أيامنا هذه أسس التعايش » . وهو يقول « ان دافعي الرئيسي هو الدين ، فانا حاخام يهودي. ولايهمني مايقولون عني ». ويوجه حديثه للعرب « اذا اردتم ان تقيموا دولتكم في الخارج فتفضلوا ، أما هنا فلن تحصلوا على سنتيمتر واحد من الأرض » .

ان أصحاب هذا الموقف يتصدون الى تعزيز الاستعمار الاستيطاني في الأراضي العربية المحتلة . وقد اوضح سكرتير حزب المفدال الديني الحاخام ليفي ان هذا التعزيز هو اكثر الوسائل عملية ، لانه يوجد الحقائق السياسية . ويلفت النظر ان وفدا من مكتب هذا الحزب زار قطاع غزة في مطلع شهر يوليو ــ تموز الماضي بهدف تعزيز الاستعمار الاستيطاني ، وقد اعلن رئيس المجلس الاقليمي للمستعمرات الصهيونية هناك « ان القطاع هو جزء من النقب » ، كما اوضح « ان وضع الاستيطان اليهودي في القطاع ليس شيئا فمساحة القطاع هي ٣٦٢ الف دونم ، يقيم المستوطنون على ٤٠ الف دونم منها ، ويبلغ عددهم ٢٥٠٠ مستوطن ، بينما يقيم ٦٥٠ الف عربي على ٢٧٢ الف دونم . اما ما تبقى من الأراضي وهي ٥٠ ألف دونم فتسيطر عليها الدولة باعتبارها اراضي دولة » . ودعا الى تطبيق القانون الاسرائيلي على القطاع .

* * *

الموقف الثاني يرى حتمية نقل الفلسطينيين العرب الى خارج فلسطين . وهو يلتقي مع الموقف الأول في جوهره ، ولكنه يختلف عنه باسلوب التعبير . وقد رددت وكالات الانباء اسم العميد احتياط رحبعام زئيفي حين اعلنه من على منبر في تل ابيب للاستيضاحات السياسية يحمل اسم « موشي ديان » في مطلع شهر يوليو — تموز الماضي .

قال زئيفي هذا « ان عددا من اصدقائي الجيدين جدا هم من العرب والبدو . ولكن اذا مارغبنا في الوصول الى السلام فلا خيار امامنا ، الا نقل جميع العرب الفلسطينيين الى خارج حدود اسرائيل » . وحين رغبت اليه الاذاعة الاسرائيلية ان يشرح اقتراحه قال انه لم يقصد « عرب اسرائيل » داخل الخط الأخضر في اقتراحه — أي عرب فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ — وانما قصد فقط فلسطيني الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ . وأوضح انه لم يخترع هذا الاقتراح لانه اخذه عن أساتذته « أباء حركة العمل » . وتجدر الاشارة هنا الى انه شغل منصب رئيس الأركان ثم منصب مستشار رئيس الوزراء بين عامي ٧٣ و٧٦ . وميّز نفسه عن أصحاب الموقف الأول بانه لايرى استخدام القوة في نقل العرب الفلسطينيين الى الخارج ، وانما يتحدث عن نقلهم من خلال موافقتهم . وهو يعتقد أنهم اذا كانوا يرغبون حقا في السلام فان عليهم ان يوافقوا على هذا الحل . كما انه يطلق على هذه العملية تبادلا سكنيا متفقا عليه « فلقد استقبلنا نحن مليون يهودي من الدول العربية ، وعلى الدول العربية ان تستقبل اقل من مليون عربي فلسطيني من الضفة الغربية . وهذه ستكون عملية تبادل سكاني متفق عليها » .

يتبنى هذا الموقف الثاني تيارا واضح المعالم في الكيان الصهيوني يضم الكثيرين من حركة العمل التي اسهمت بنصيب وافر في اقامة هذا الكيان . ويحرص القائلون بهذا الموقف على اسلوب يمكن ان نصفه بزخرف القول ، وهو الاسلوب الذي يعتمده شيمون بيريز .

فعملية اخراج شعب فلسطين من دياره يقال لها في أوساطهم « نقل الفلسطينيين » وليس « طردهم » كما يجاهر أصحاب الموقف الأول . ويجري تصويرها للعالم الغربي الذي يلتحم به هؤلاء على انها عملية « تبادل سكاني » . وهناك حرص على استخدام لفظ « القوة » وحرص على استخدام لفظ « السلام » ، فزئيفي هذا يريد ان « ينقل » شعباً من دياره بالاقناع !! فاذا « انتقل » هذا الشعب فهو محب « للسلام » !! وعليه ان « ينتقل » لأن هذا الانتقال ليس الا « تبادلا سكانيا » !! وهذا هو منطق حركة العمل في التعبير عن الصهيونية العنصرية . ويا له من منطق .

يلتقي اصحاب الموقف الثاني مع اصحاب الموقف الأول في القول بضرورة تعزيز الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ . وهم ينشطون في هذا الميدان بدون أن يرفعوا اصواتهم ويثيروا ضجيجا كما يفعل « المتدينون » . وقد تحملوا عمليا مسؤولية اقامة أكثر المستعمرات الاستيطانية منذ عام ١٩٦٧ .

* * *

الموقف الثالث ينادي بضرورة الانسحاب من قطاع غزة ومن المناطق الكثيفة السكان في الضفة الغربية ، ومن جميع مناطقها ان لزم الامر ، وفي أسرع وقت ممكن . وقد ارتفعت هذا الصيف اصوات صهيونية تقول بهذا الموقف ، واستخدمت في تعبيرها عنه لفظ « الهرب » ولفظ « الفرار » عند الحديث عن الانسحاب . كما وصف تجمعات شعب فلسطين بانها « قنابل موقوته » .

كان صوت الأستاذ ارنون سوفر من جامعة حيفا من اقوى هذه الأصوات الصهيونية واكثرها ارتفاعا . وقد طرح رؤيته للمستقبل القريب فقال « ستكون هذه المنطقة مثل جهنم عام ٢٠٠٢ ، حيث سيكون في اسرائيل

٢ر٤ مليون يهودي و٥ر٣ مليون عربي » وصارح بانه صمت ثلاث سنوات ، واوضح سبب صمته وما دعاه اليوم لاطلاق صيحته « لقد خفت ان تؤدى اقوالي الى فرار شبان من اسرائيل . اما الآن فلا يجوز ان نصمت ويجب ان نصرخ بأعلى اصواتنا لاقناع اكبر عدد ممكن بوجوب الفرار من الضفة الغربية بهدف الحفاظ على وجود دولة اسرائيل » .

لقد وجد في الكيان الصهيوني من يتبنى هذا الموقف منذ عام ١٩٦٧ على صعيد التنظيمات والأفراد . فحزب راكاح الشيوعي من القائلين به . وقال به بن جوريون الزعيم الصهيوني ونصح به تلاميذه وهو في عزلته فلم ينتصحوا كما قال به ناحوم جولدمان الزعيم الصهيوني المقيم خارج الكيان الصهيوني . واشتهر مؤخرا يهو شفاط حركابي بتبنيه هذا الموقف بعد رحلة عمر قضاها صهيونيا توسعيا . وقد نشر مؤخرا كتابا اثار ضجة بين الصهاينة طرح فيه « خيارات اسرائيل المصيرية » ونادى بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، داعيا الى « صهيونية النوعية » بدلاً من « صهيونية المساحة » لان اسرائيل لن تصبح يوما بلدا كبيرا حتى لو قامت بضم الضفة الغربية .

لم يستطع هذا الموقف ان يشق تيارا في الكيان الصهيوني فبقي من يتبنونه قلة يتجمعون في مجرى صغير . ولكنه استقطب عددا من الفنيين المختصين وقليلا من القيادات السياسية عند تقاعدها . ويطلق هؤلاء صيحاتهم منذرين بين الحين والحين فيثور جدل ويحتدم نقاش ، وينشط اصحاب الموقفين الآخرين لتعبئة مشاعر العنصرية الصهيونية ، ولا يتوقف المنادون بهذا الموقف اثناء ذلك عن السير في مشاريع الاستعمار الاستيطاني القائمة بغض النظر عن قناعاتهم .

* * *

ان هذه المواقف الصهيونية الثلاثة التي طفت على السطح في هذا الصيف الحار ليست جديدة كما هو واضح . ولكن الجديد هو الكيفية التي تم طرحها

بل وحدة النقاش الذي احتدم حولها . واذا كانت مكونات هذه المواقف موجودة من قبل وكامنة في جسم الكيان الصهيوني ، فان عاملا ذا اثر فعال فعل فعله في هذه المكونات ، وفرض طرح وجود جزء مهم من شعب فلسطين العربي في وطنه المحتل على مائدة البحث ، لتطفو هذه المواقف من هذا الوجود على السطح .

ان هذا العامل ذا الاثر الفعال هو استمرار مقاومة شعبنا للاحتلال في فلسطين والجولان وجنوب لبنان ، وتصاعد هذه المقاومة وقد تجسدت هذه المقاومة في احداث واحداث شهدتها فلسطيننا وهي تعيش ذكرى النكسة وذكرى النكبة . ولنا ان نقف من بين هذه الأحداث الكثيرة امام ذلك الاضراب الشامل الذي قام به اهلنا في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ واخر شهر يونيو — حزيران الماضي ، مكثفين حملتهم ضد سياسة التمييز العنصري الصهيونية . وقد كشف هذا التحرك الذي يأتي استمرارا ليوم الأرض عن تصميم اهلنا هناك على مقاومة الصهيونية العنصرية والالتصاق بأرضهم ومواجهة اصحاب الموقف الأول الصهيوني مباشرة . كما ان لنا ان نقف امام عمليات المقاومة المتميزة ضد الأهداف العسكرية الصهيونية التي جرت خلال هذا الصيف ، وما اكثرها وماأعظم فعلها .

لقد وجد المستعمرون المستوطنون الصهاينة انفسهم امام هذا العامل ، كما لم يحدث من قبل ، فانطلقت صحيات التحذير واتخذت كل مجموعة موقفها وعبرت عنه بطريقتها .

* * *

ماذا نتوقع من عدونا على ضوء هذه المواقف ؟

يخطىء من يتوقع ان ينتج عن تفاعل هذه المواقف توجه عدونا نحو الانسحاب من الأراضي المحتلة ، لان الغلبة فيه لاصحاب الموقفين الأول والثاني الداعين الى اخراج شعب فلسطين العربي من دياره « طردا أو نقلا » !! ولان

القائلين بالانسحاب والهرب والفرار اصحاب الموقف الثالث قلة ومن شريحة المثقفين الفنيين في الاغلب .

ان تفاعل هذه الموقف الثلاثة سينتج ـ كما نتوقع ـ استمرار السياسة الصهيونية الحالية ، في انتظار ان يجد اصحاب كل موقف ظروفا مناسبة لتنفيذ مخططاتهم . وهكذا يبقى شارون يسعى لتنفيذ خطته المعبرة عن أصحاب الموقف الأول . ويبقى زئيفي يتطلع الى رجال حركة العمل لتنفيذ برنامج حزبهم المعبر عن أصحاب الموقف الثاني وتتالي صيحات التحذير من بعض الخبراء داعية الى الانسحاب .

* * *

كيف نواجه عدونا اذن في هذه المرحلة من صراع النفس الطويل ؟

ان علينا اولا ان نتمثل حقيقة كون الصراع العربى الصهيوني صراع النفس الطويل ، وننطلق منها الى الاستمرار في استراتيجية المقاومة ، ومتابعة تحرك سياسي يخدم هذه الاستراتيجية ويتطلب الاستمرار في استراتيجية المقاومة عناية خاصة بأهلنا في الأراضي العربية المحتلة تتجلى في دعم صمودهم ، ورعاية مقاومتهم ، والوقوف معهم في وجه العسف الصهيوني . كما يتطلب ايضا العمل على صياغة الموقف العربي الواحد الداعم للمقاومة المتابع للتحرك السياسي الذي ساندها .

* * *

ان من اكثر مايلفت النظر بعد مضي عشرين سنة على النكسة وتسعا وثلاثين سنة على النكبة ان شعب فلسطين العربي مشدود الى ارضه ملتصق بوطنه بشكل مباشر من خلال مليونين من ابنائه يعيشون تحت الاحتلال والاغتصاب الصهيوني ، وبشكل غير مباشر من خلال ثلاثة ملايين من ابنائه يرتبطون باولئك ويتطلعون الى تحرير وطنهم . وترن في الأذن كلمة استاذ من احدى جامعاتنا في الداخل وهو يتحدث عن الاوضاع هناك فيلاحظ انك اينما

تحركت في فلسطين المحتلة طالعتك وجوه عربية فلسطينية متمسكة بانتمائها الى وطنها كسرت جدار الخوف ، مصممة على خوض صراع النفس الطويل في مواجهة عدو يأبى الا الاستمرار في عدوانه .

احاديث الانتفاضـــة

عملية بطولية ..
وأفكار وخواطر من وحيها

« هذا حادث له مابعده .. هذا حادث يوقف عنده » فلأؤجل الموضوع الذي كنت سأتناوله ، لأقف أمام الحادث ، معملاً التفكير فيه ، مطلقاً لخواطري العنان .

هو حادث صنعته عملية بطولية مساء يوم الأربعاء الثالث من ربيع الآخر ١٤٠٨ الموافق الخامس والعشرين من تشرين الثاني نوفمبر ١٩٨٧ . وهو عند عدونا حَدَث (بفتح الدال) . والحادث لغة مايجد ويُحدث ، والحدث هو النائبة والنازلة .

* * *

أتأمل في هذه العملية البطولية التي حملت اسم « شهداء قبية » ، واستهدفت « قاعدة جيبور العسكرية » القريبة من « مستعمرة كريات شمونه » في شمال فلسطيننا المحتلة ، واستخدمت فيها طائرة شراعية ذات محرك ، استقلها فدائي بطل في الثانية والعشرين من عمره يحمل اسم « أبي رامي » ، وهو واحد من اربعة فدائيين ابطال ، واقتحم هذا الفدائي « الطيار » القاعدة المكتظة بالجنود بمفرده « ورمى ورمى » بذخيرته أولاً ثم بنفسه ليقتل ويجرح العشرات من جنود العدو قبل أن يستشهد و« يشهد الجنة وتشهد روحه له عند خالقه » .

أجد بداية أن هذه العملية تمثل في حد ذاتها حادثاً عظيماً ، بما توجده من

حقائق جديدة ، و« الحدوث هو كون الشيء بعد أن لم يكن » . ويكفى أن نتابع ما أحدثته من تفاعلات لتكون فكرة أولية عن الحقائق الجديدة التى توجدها . .

أجد أن عملية شهداء قبية تعبير صادق عن « الصحوة » التي رصدت بدايتها منذ ثلاثة أعوام ، ووصفتها بأنها « صحوة عربية في مواجهة الغزوة الصهيونية » . وتمثل هذه العملية حلقة في سلسلة مضيئة من العمليات المتتالية تعبر جميعها اصدق تعبير عن الصحوة « التي هي حال تجد الأمة فيها نفسها وقد وعت ذاتها ووثقت بنفسها وعرفت عدوها واحاطت بجوانب قوته وضعفه ووطنت نفسها على مواجهته وايقنت من قدرتها على أن تنزل به الهزيمة وتنتصر لتستعيد حقها وتقيم العدل في وطنها فيستتب السلام » . وأشير من بين هذه العمليات بخاصة الى عملية القدس التي استهدفت جنود العدو عند حائط البراق ، والى عملية غزة التي انزلت العقوبة بمجرم الحرب الصهيوني الذي كان يحتل موقع رئيس الشرطة العسكرية ، ولاأنسى مئات العمليات الأخرى في فلسطيننا المحتلة وفي جنوب لبنان .

لقد تميزت هذه العمليات الثلاث ومثيلاتها بأنها استهدفت العسكرية الصهيونية استهدافاً مباشراً ، فأخلت اخلالاً شديداً بنظرية الأمن الاسرائيلية . ويلفت النظر أن وزير الحرب الاسرائيلي رابين وصف كلاً منها بأنها « استثناء » وأنها « غير مسبوقة » . وواضح أن تكرارها وتتاليها يؤكد أنها ستكون « القاعدة » في مرحلة الصحوة حين تأخذ الصحوة مداها .

تميزت هذه العمليات ببروز عنصر الابداع فيها تخطيطا وتنفيذاً . فقد جرى النفاذ فيها الى قلب العدو من حيث لايحتسب ، وعلى الرغم من اتخاذه كل الأسباب لمنعها . والحق أن كلاً منها يستحق أن يكون محل دراسة خبرائنا العسكريين .

وتميزت هذه العمليات بإحسان توقيتها . فقد جاءت كل منها في الوقت

المناسب لتضع حقائق جديدة في ساحة الصراع ، ولتفسد مخططات يجهد عدونا لتنفيذها ، وتمهد لمزيد من عمليات المواجهة التي تتطلبها المرحلة الراهنة في الصراع العربي الصهيوني وهي كما أردد دوماً « مرحلة مواجهة » .

تميزت هذه العمليات أخيراً بأنها جسدت « الاحياء » الجديد الذي يولده الاستشهاد فابطالها يؤمنون بأن « الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون » ، وبأن الله « يتخذ من المؤمنين شهداء » يدخلهم الجنة يُعرِّفها لهم كي يوفي شرط النصر ، وتتحقق الآية الكريمة « يأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » .

* * *

تحضرني عند هذا الحد من التأمل خاطرة تتعلق بالاسم الذي يطلقه الغرب على عمليات « الاحياء » هذه حين يسميها « عمليات انتحارية » مجرداً اياها من بعدها الروحي الذي يتميز به هذا الانسان .

أشعر بالأسف حين تردد بعض وسائلنا الاعلامية هذا الاسم الغربي لهذه العمليات ، منساقة وراء سيطرة الاعلام الغربي عليها . فحاشى أن يكون مايقدم عليه ابطالنا « انتحاراً » لأنه « إحياء » . وما أعظم الفرق بين الانتحار والاستشهاد . فالأول تعبير عن اليأس ، والآخر تعبير عن أعلى درجات الايمان ومايقترن بالايمان من أمل واطمئنان وثقة ومايعبر عنه الايمان من تعلق بالحق والعدل والسلام .

إن « الشهيد » في لسَانا العربي وعقيدتنا الاسلامية وعقيدة أخوتنا النصارى هو المحتضر الذي تحضر الملائكة له ، ويشهد عند انتقاله الى ربه ماأعد له من نعيم ، وتشهد روحه عند ربه بما قدمه في سبيل الله دفاعاً عن أرضه وماله وعرضه واعلاءً لكلمة الله وإحياءً للقيم العلا . ولانستطيع أن نفهم إقدام ابطالنا على الاستشهاد اذا نحن لم نستحضر في اذهاننا معنى الشهيد والشهادة . وفعل شِهد معناه « الحضور مع المشاهدة إما بالبصر أو البصيرة » كما يقول

الراغب في « المفردات في غريب القرآن . وواضح أن جميع قصص شهدائنا تبرز هذا المعنى .

لقد تداعت الى خاطري وأنا انظر فيما عمله « الطيار » البطل « أبو رامي » قصة شهيد جليل من شهدائنا الخالدين لقب بعد استشهاده « بالطيار » ، وهو جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه . فوجدت نفسي اعود الى كتب السيرة النبوية في مكتبتي لأراجع ماكتب فيها عن « غزوة مؤتة » التي استشهد فيها جعفر ، ولم يلبث ابني الفتى أن أمدني بما كتب عن « جعفر الطيار » في موسوعة « الفداء في الاسلام » للشيخ أحمد الشرباصي حين رآني عاكفاً على الكتب .

حدثت « مؤتة » في جمادي الأولى من السنة الثامنة للهجرة . وقد انفذ رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل للرد على اعتداءات الروم . وعين للجيش ثلاثة قواد قائلاً « يكون على الناس زيد بن حارثة ، فإن اصيب فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن اصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس » . ووجد المسلمون انفسهم أمام جيش رومي يفوقهم في العدد والعدد عدداً من المرات . وبدأت المعركة وحمل زيد اللواء وقاتل حتى استشهد ، فأسرع جعفر يحمل اللواء وهو يقول :

ياحبذا الجنةُ واقترابها طيبةً وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرةٌ بعيدة انسابها
علي ان لاقيتها ضرابها

وقاتل جعفر وهو يقود قومه ، وكان يحمل اللواء بيمينه فقطعت ، فحمله بشماله فقطعت فاحتضن اللواء بعضديه ، فتكاثروا عليه ، وضربه بعضهم حتى انشطر جسمه نصفين .

ويقول عبد الله بن عمر « التمسنا جعفر بن أبي طالب في القتلى فوجدناه ، ووجدنا في جسده بضعا وتسعين ضربة . ورمية ليس منها شيء في ظهره » . وكان جعفر يومئذ في الثالثة والثلاثين من عمره . وقد أخبر رسول الله صلى

الله عليه وسلم قومه بأن الله ابدل جعفراً من يديه اللتين قطعتا جناحين يطير بهما في الجنة . وهكذا اسماه البعض « جعفر الطيار » . وإن للشاب ابي رامي ابن الثانية والعشرين من عمره أن يعتز بأنه طيّار فدائي ، وأنه « رمى ورمى » كما يرمى المؤمنون الابطال الذين لهم في رسول الله اسوة حسنة ، وهو الذي يخاطبه الله تعالى « ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى » .

★ ★ ★

وأتأمل في رد الفعل الأمريكي على العملية الذي صدر على الصعيد الرسمي بإدانتها بحجة أن « العنف عدو السلام » ، فأجده كبكل ردود الفعل الصادرة عن اعدائنا معبراً عن « الباطل » بأجلى صوره . فالادارة الامريكية لاتستطيع ازاء هذه العمليات أن تصفها « بالارهاب » الذي تحاول أن تلصقه بمقاومة الشعوب ، لأنها عمليات تستهدف العسكرية الصهيونية المباشرة في قواعدها العدوانية ، ولذا فإن واشنطن تتدرج في ادانتها بحجة أن « العنف عدو السلام » وهي التي لاترى واقعياً في الاحتلال الغاشم في حد ذاته عدواً للسلام ، ولا في عسف المحتل وممارساته وجرائمة. و« الباطل » الامريكي هنا كدأبه دوماً يكيل بكيلين ويقيس بمقياسين . وأود لو اتتبع رد الفعل الامريكي على الصعيد الشعبي واعياً أن الرأي العام هناك اسير اعلام للصهيونية فيه نفوذ كبير ، وثقتي أن الناس البسطاء هناك سوف يتجاوبون مع هذه العمليات اذا وصلتهم اخبارها الحقيقية ، لأن الفطرة تدعوهم لذلك . ولازلت اذكر كيف حدثني أمريكي كبير بعد تركه منصبه الكبير عن تحول نظرة الشعب الأمريكي لشعب فلسطين العربي وممثله الشرعي منظمة التحرير الفلسطينية اثناء معركة بيروت الكبرى صيف ١٩٨٢ الى الاعجاب بهما « لأنه لمس من خلال مانقلته وسائل الاعلام بالصورة والصوت مدى شجاعة هذا الشعب . وكل انسان يعجب بالشجاع » .

لقد بدت ردود الفعل الصهيونية الأولية واضحة على وجوه قيادات العدو

الواجمة التي اسقط في ايديها . وان واجبنا ان نتابع دراسة التفاعلات الناجمة عن هذه العمليات في صفوف العدو ، وان نكون يقظين لغدره .

* * *

تتداعى الى خاطري وأنا أتأمل في عملية « شهداء قبية » قصة مذبحة قبية التي تعرضت لها تلك القرية الفلسطينية الآمنة ليلة ١٤ ـــ ١٥/١٠/١٩٥٣ وتقع قبية على مسافة ٢٢ كم شمال شرقي مدينة القدس على بعد كيلومترين من خط الهدنة ، وكان فيها من أهلنا نحو الفي نسمة يعملون في زراعة ماتبقى من أراضيهم .

لقد شهد صيف ذلك العام قيام « مجرم الحرب اريل شارون » بقتل امرأتين عربيتين فلسطينيتين من أهالي قرية قطنا وهنّ في طريقهن الى بئر الماء ، ثم قذف القرية بمدافع الهاون ، وكان آنذاك قائد كتيبة احتياطية . ولم يلبث أن انشأ الوحدة ١٠١ بمبادرة قائد اللواء مشيال شاحم ، وقام بتنفيذ مذبحة قبية ، فدمرّ ٥٦ منزلاً ومسجد القرية ومدرستها وخزان المياه ، وقتل ٦٧ من سكانها من النساء والأطفال والشيوخ والرجال . وكان عدد افراد كتيبته ٦٠٠ جندي . وقد حالت القوى الغاشمة في مجلس الأمن دون صدور قرار حازم ضد المعتدي كعادتها ، فصدر القرار ١٠١ يتحدث عن « العمل الانتقامي على قبية » و« جميع الاعمال المشابهة » و« دعوة اسرائيل الى اتخاذ اجراءات فعالة لمنع مثل هذا العملا مستقبلاً . وكان اسم أول شهداء القرية كما تقول الموسوعة الفلسطينية مصطفى محمد حسان .

ان دماء الشهداء هي « نور وحق » . ويتداعى الى الخاطر قول احمد شوقي الشهير

دم الشهداء تعرفه فرنسا وتعلم أنه نور وحق
وللحرية الحمراء بابٌ بكل يد مضرجة يدق

وقد قاله يوم أن احرقت فرنسا دمشق وهي تحاول اخماد مقاومتها في

العشرينات . وتلح علي أبيات الجواهري عن جراح الشهيد ومنها قوله

اتعلم أن جراح الشهيد تظل عن الثأر تستفهم

فاقرأ قصيدته الشهيرة جراح الضحايا . واتحول منها الى التأمل في حقيقة أن الاستشهاد هو « إحياء » .

* * *

وماذا بعد ؟

ما أكثر مايطرح هذا السؤال ، وبأكثر من مضمون . فسنجد حتى من قومنا قلة فاقدة الأرادة تطرحه بمعنى تخوفها من رد العدو ، وهي مقتنعة بتفوقه ، « مضبوعة » منه . وسنجد من يطرحه منا مطالباً بالتهيؤ للرد على رد العدو ، وبمتابعة الاعداد لمزيد من هذه العمليات ، وكلة ثقة اننا سنفرض على عدونا أن يواجه حقيقة وجودنا ويعترف بحقوقنا ويسلم بعجزه عن اخضاعنا . ولنا أن نتابع مابعد هذا الحادث ونحن نغذ السير في طريق تحرير وطننا .

زَبَدٌ صهيوني

أجد لزاماً علي كمختص في شؤون العدو الصهيوني العنصري ، أن أتابع أولاً بأول ماتنشره الصحف الاسرائيلية ، وأن اتأمل في أية ظواهر جديدة لأتعرف على حقيقتها وأسبر أغوارها . وهذا مادعاني الى أن أدرس تحرك « موشي عميراف » ضمن دراستي لتحركات اسحق شامير التي تستهدف ارغام الدول العربية على المفاوضات المباشرة ، موطناً النفس على تحمل عناء متابعة مقولات الصهيونية العنصرية .

إن موشي عميراف هذا هو عضو مركز حزب حيروت الاسرائيلي الصهيوني ، الذي يرأسه اسحق شامير ، وقد كان عضواً في القيادة الاقليمية لحركة « بيتار » ومندوباً قادماً من الساحة الأمريكية لها . وقد ذكرت الصحف الاسرائيلية أنه شغل منصب رئيس اتحاد الطلاب ، ورئيس ادارة الضمان الاجتماعي ، وأنه مرشح ليكود لادارة مكتب الصحافة الحكومي ، وهو في مطلع العقد الخامس من عمره .

لقد كان أول خبر طالعني متصل بهذا « الصهيوني الحيروتي » هو مانشرته صحيفة علهمشمار يوم ٨٧/٩/١٣ عن مناقشة ستجريها حركة حيروت في بيت « جابوتنسكي » في تل أبيب لاقتراح « فكرة اتحاد كونفدرالي بين المناطق المحتلة واسرائيل » يطرحه عضو مركز حيروت موشي عميراف . وقد ذكرت الصحيفة أن « ميخائيل ديكل » نائب وزير الحرب الاسرائيلي الذى طرح فكرة ترحيل ابناء فلسطين من وطنهم المحتل ، هو الذي سيناقش الاقتراح . كما

سيشترك في النقاش « بنيامين بيجين » ابن الارهابي مناحيم بيجين الذي لايزال معتكفاً .

لم تلبث الاذاعة الاسرائيلية باللغة العبرية أن اذاعت خبراً كما تم في المناقشة التي اجرتها حركة حيروت حول « أرض اسرائيل الكاملة والسلام » ، فذكرت أن جدلاً حاداً نشب ، وأن نائب وزير الحرب ديكل كرر اقتراحه بترحيل « المواطنين العرب من ارض اسرائيل » ، وأن « بيني بيجين » رد عليه « أنك تمنح الشرعية لمآثير كهان والكهانية » . ووسط هذا الجدل طرح عميراف اقتراحه « باقامة اتحاد كونفدرالي بين المناطق المحتلة واسرائيل » . على حد قول الاذاعة — و« أوضح الاجتماع بشكل بارز مدى شعبية فكرة ترحيل العرب من أرض اسرائيل بين جدران مقر حركة حيروت في تل أبيب » .

ما أسرع ما قام موشي عميراف إثر ذلك بلقاء اثنين من ابناء وطننا البارزين بحضور عضو كنيست اسمه « اهود اولمرط » عرض نفسه فيه على أنه ناطق بلسان رئيس الوزراء اسحق شامير . واقترح في اللقاء « اسلوباً جديداً لحل النزاع بين اسرائيل والفلسطينيين » يتضمن مرحلتين أولاهما حكم ذاتي على نمط أوسع من نمط كامب دافيد ، وأخراهما تحويل الأردن الى دولة فلسطينية مع علاقات كونفدرالية اتحادية بين ضفتي الأردن .

أثارت أخبار هذا اللقاء ضجة اعلامية استخدمت فيها مختلف وسائل الاعلام . وطلب وزير الطاقة موشي شاحال وهو من « التجمع العمالي » ايضاحات من رئيسه اسحق شامير عما اذا كانت المحادثات سرية ، واذا كانت قد جرت بموافقته . وقال شاحال « ان هذا الأمر يُشير الى وجود فوضى وارتباك في حركة حيروت . فبعض اعضائها يطالبون من جهة « بترحيل الفلسطينيين من المناطق المحتلة » . ويقوم آخرون من جهة أخرى باجراء مفاوضات مباشرة مع شخصيات مؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية .

كان السؤال الذي برز أمامي وأنا أطالع أخبار هذا التحرك الأولى ماهي

طبيعته وأهدافه ؟ ووجدت نفسي أجيب هذا تحرك « حيروتي شاميري » يتم بموافقة شامير الذي زار رومانيا مؤخراً ، وطرح فكرة عقد مؤتمر اقليمي للتسوية في معرض اصراره على رفض فكرة المؤتمر الدولي ، وقد أكد هذا الاصرار في مناسبات كثيرة وواضح أن هذا التحرك يقع ضمن الصراع المحتدم بين ليكود و« العمل » حول اطار التسوية حيث لايزال « العمل » يقول بفكرة المؤتمر الدولي « المظلة » ، ويقول بالتفاوض مع الأرض . كما أن هذا التحرك يستهدف الايقاع بين فلسطين والأردن ، وشق ابناء شعبنا في الوطن المحتل والايقاع بينهم ، وابراز أن منهم من يقبل التحدث مع ليكود مباشرة . ويستهدف هذا التحرك ايضاً على الصعيد الاسرائيلي اطلاق « تفاخة » اختبار في اوساط ليكود المعروف بتشدده ، وابراز استعداد شامير لاستخدام لغة « الحوار » التي يستخدمها بيريز المعروف « بزخرفة القول » .

* * *

السؤال الأهم الذي برز أمامي وأنا اطالع أخبار هذا التحرك هو .. ماهو مضمون مايطرحه « موشيه عميراف » الحيروتي الصهيوني ؟ وماذا في هذا المضمون من شحم أو ورم ؟ وهل يمشي بأي جديد جدّ على صعيد ليكود ؟

لقد قدم موشيه عميراف اجابة مفصلة عن الجزء الأول من السؤال في مقال نشره في « البوست » يوم ٨٧/١٠/٧ . ويمكن أن نوجز هذا المضمون بأنه يقدم اقتراحاً ينطلق في تقديمه من قول منسوب للفلسطينيين مفاده « ان التجمع العمالي ، بإمكانه شن الحرب ، ولكن الليكود فقط يمكنه ان يصنع السلام » . كما ينطلق في تقديمه من افكار الحركة التصحيحية الصهيونية التي قادها الصهيوني جابوتنسكي ، وتتضمن هذه الأفكار ثلاثة مبادىء « وحدة الأرض الاسرائيلية » و« الاغلبية اليهودية » و« عبرية الدولة » . كما أنها تميز بين « الحكم الوطني » و« السيادة الوطنية » . ويتضمن هذا الاقتراح ثلاثة اجزاء في اطار مايسميه « الشراكة بين الفلسطينيين والاسرائيليين في ارض اسرائيل الكبرى » .

إن لنا أن نورد بالنص الاقتراح باجزائه الثلاثة ، موطنين انفسنا على أن نصبر على « الكفر الصهيوني » وهدفنا من تحمل هذه المعاناة ان نسبر اغوار عدونا .

الجزء الأول : اتفاق سلام مع ممثلي الشعب الفلسطيني . واذا فضل هؤلاء منظمة التحرير الفلسطينية ، فأنني سأقبل ذلك ، شريطة أن توقف « ارهابها » وتعترف « بدولة اسرائيل » .

الجزء الثاني : الشراكة في حكم (يهودا والسامرة وغزة) حيث يكون الترتيب الرسمي متمثلاً في حكم ذاتي واسع تكون فيه السيادة والجيش لاسرائيل ، على حين يكون للفلسطينيين كل السلطة الحاكمة الأخرى ويكون لها رموزها الوطنية علم ونشيد وطوابع وعملة خاصة .

الجزء الثالث : سيقام على جانبي نهر الأردن (أرض اسرائيل التاريخية) اتحاد كونفدرالي اسرائيلي عربي ، مع تخيير الفلسطينيين الذين يشكلون الاغلبية في الأردن في اعتباره وطناً لهم ، أو الاقتناع بحكم ذاتي موسع في « يهودا والسامرة » وسيأتي يوم يحقق فيه الفلسطينيون كلاً من السيادة في الأردن والحكم الذاتي في الضفة الغربية . وفيما يتعلق بالقدس ، وافقنا على ان تظل المدينة موحدة تحت السيادة الاسرائيلية ، وان العاصمة الادارية للحكم الذاتي الموسع تقام في شرقي القدس . وتصبح منظمة التحرير بعد أن تكف عن كونها منظمة ارهابية وتحل أطرها العسكرية ، منظمة ــ على شكل المنظمة الصهيونية العالمية ويكون لها ارساليات . وفروع في كافة ارجاء العالم .

إن هذا المضمون يمكننّا أن نجيب عن الجزء الثاني من السؤال بسهولة .

فواضح أن كل مافيه « ورم » مليء بالجرائيم الصهيونية الضارة . فإذا ما عرضنا لتقديمه فإن احداً من الفلسطينيين أو العرب لايقبل أن ينسب اليه القول بأن الليكود يمكنه أن يضع السلام ، لأن شعبنا بخاصة وامتنا بعامة اكثر ادراكاً اليوم من أي وقت مضى أن عدونا الصهيوني بتجمعه العمالي أو بليكوده

لايعرف الا العدوان ، ولايفكر الا في فرض الاستسلام على كل العرب ، وقد أكدت جميع ممارساته ذلك وبخاصة منذ زيارة السادات للكنيست قبل عشرة أعوام وليس لنا أن نطيل التعليق على افكار جابوتنسكي الصهيونية لأنها افكار الاستعمار الاستيطاني الصهيوني العنصري . وهي افكار لااساس لها ولايمكن لأحد من امتنا وهو يملك ارادته أن يقبل بها ، فليس هناك « أرض اسرائيلية » اصلاً لنتحدث عن وحدتها ، ولامجال لوجود « اغلبية يهودية » ولا لاستمرار « دولة عبرية » حين يصل الاستعمار الاستيطاني العنصري الى طريق مسدود ، كما حدث مع امثلته في افريقيا وآسيا .

ونركز النظر على الاقتراح باجزائه الثلاثة ، فنجد أنه يطالب شعبنا ومنظمته أن يوقف المقاومة ويعترف بالاغتصاب بداية . ثم يقبل بأن يعيش محروماً من السيادة وتحت حراسة الجيش الصهيوني العنصري ، وله أن يلهو برموز حكم ذاتي . ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل يطالب الاقتراح شعبنا ايضاً بجرّ اخوة له الى أسر الصهيونية العنصرية تحت اسم اتحاد كونفدرالي اسرائيلي عربي ، وأن يُسلّم باغتصاب الصهيونية للقدس ، وأن يُحول منظمته الى شكل بعد ان يفرغها من مضمونها .

نصل الى الجزء الأخير من السؤال المتعلق بما اذا جد جديد على صعيد ليكود ، فنجيب باطمئنان الى جوابنا أنه لاجديد بالنسبة لهذا التكتل الارهابي العنصري الصهيوني فيما يتعلق بالمضمون . فهو لايزال أسير النظرات الصهيونية العنصرية بكل مافيها من ادعاءات ومزاعم وعدوانية . أما فيما يتعلق بالشكل فإنه يمكننا أن نلاحظ أن ليكود الذي لم يعترف قط بالفلسطينيين ومنظمتهم بدأ يتجه الى التسليم بحقيقة وجودهم وبضرورة التحدث اليهم ، وذلك للاسباب التي سبق ذكرها . وواضح أن هذا الجديد على صعيد الشكل لم يحدث الا بعد أن فرضت مقاومة شعبنا واقعاً جديداً . ولقد فرض هذا الواقع الجديد على اسحق شامير أن يتحرك محاولاً الباس « المضمون القديم » ثوباً جديداً .

والآن .. ماذا نستخلص من متابعتنا لتحرك عميراف الحيروتي الصهيوني ؟ والى اين يوصلنا مابذلنا من جهد في التعرف على حقيقته وسبر أغواره ؟

ان مانستخلصه هو أن عدونا الصهيوني عاجز حتى الآن عن تجاوز افكاره الجامدة والخروج من إسارها . وقد قرر أحد كبار المؤرخين اليهود أن هذا العجز سيستمر لأن طبيعة التجمع الصهيوني في وطننا المحتل هي التي تفرضه ، ولذلك فإنه نادى بأن تفرض الدول الكبرى الحل على اسرائيل . وان لنا من ثم الا نتوقع من احاديث عدونا حول مشاريع يطرحها سواء جاء من التجمع العمالي أو الليكود أية ثمرة محسوسة أو نتيجة ملموسة . وهو لايستهدف من وراء هذه الاحاديث الا تثبيت واقع الاحتلال والتمهيد لعدوان جديد . وما اسوأ مصير من ينخدع بها .

ان الجهد الذي بذلناه في التعرف على حقيقة تحركات العدو يوصلنا الى أن الشيء الوحيد الذي يمكن أن يفرض عليه مواجهة الحقائق هو مانوجده نحن على أرض المعركة من حقائق ، ومانصنعه نحن بالمقاومة ومن خلال المواجهة من واقع .

لقد رأينا في الشهور الماضية ماصنعته عمليات بطولية جرت في وطننا المحتل وفي الجنوب اللبناني من واقع . ووقفنا قبل أيام أمام تلك العملية البطولية التي حملت اسم « شهداء قبية » ، وقلنا إنها « حادث له مابعده » . وواضح لنا اليوم أن هذا الحادث اصاب العسكرية الصهيونية في الصميم . ولايزال عدونا حتى كتابة هذه السطور يتهيأ للرد . وواجبنا أن نكون في اقصى درجات التنبه كي نحسن التصدي له .

بقي ان نقول ان تحرك موشى عميراف وكل التحركات المماثلة لاتمثل في النهاية الا زبداً . وأما ماينفع الناس ويمكث في الأرض فهو استمرار المقاومة والوفاء بمتطلبات المواجهة حتى نحرر الأرض ونسترجع الحق .

ثلاثة أخبار ومؤشراتها

كثيرة هي الأخبار التي نسمعها ونقرأها في وسائل الاعلام صباح كل يوم في عصر ثورة الاتصال الذي نعيش فيه . وقليلة تلك التي تدعونا الى الوقوف أمامها والتفكر فيها ، بعد أن تشد انتباهنا اليها ، لأنها تحمل في طياتها مؤشرات على أمور حيوية . وقد تمضي علينا أيام دون أن يستوقفنا خبر واحد من هذا النوع .

ماحدث في أحد أيام الأسبوع الثاني من شهر كانون أول ديسمبر ١٩٨٧ أنني وجدت نفسي أقف أمام ثلاثة أخبار مرة واحدة ، تتعلق جميعها بشكل مباشر أو غير مباشر بصراعنا المصيري ضد العدو الصهيوني . الأمر الذي دعاني الى أن اطيل التفكر في هذه الأخبار الثلاثة وفي احداث عام يوشك على الانتهاء .

كان الخبر الأول خاصاً بتوقيع ريجان وجورباتشوف معاهدة ازالة الصواريخ النووية متوسطة المدى يوم ٨/١٢/٨٧ . وقد تضمنت هذه المعاهدة الاتفاق على ازالة نحو ٣٨٠٠ صاروخ تحمل ٣٨٠٠ رأس نووي سوفيتي وامريكي متوسط وقصير المدى معظمها منصوب في أوروبا . وجاء هذا التوقيع في قمة للرئيسين عقدت في واشنطن ، وجرت خلالها مباحثات وقف سباق التسلح بخاصة وتطرقت هذه المباحثات الى بعض الموضوعات الساخنة الأخرى .

ماذا في هذا الخبر من مؤشرات يحملها في طياته ؟ وماهي انعكاسات هذا الحادث على الصراع العربي الصهيوني ؟

أول مؤشر يحمله هذا الخبر يتعلق بالمناخ السائد على الصعيد الدولي . فتوقيع المعاهدة يشير الى حدوث تحسن في هذا المناخ ، الأمر الذي يفسح المجال أمام موسكو وواشنطن لمتابعة مباحثاتهما حول بؤر التوتر في العالم ، وحول وقف سباق التسلح .

إن اهتمامنا برصد المناخ السائد في سماء العلاقات الدولية ، نابع من الاعتقاد بأن لهذا المناخ أثره في تحديد اتجاه مسار الأحداث في عالمنا . وواضح أن « المناخ » هو حصيلة تفاعل مجموعة عوامل تكونه ، ولست هنا في معرض تناولها ، ولكنه بعد أن يتكون يصبح هو بدوره عاملاً حاسماً في صنع التوجهات السياسية . وفرق كبير بين هذه التوجهات في مناخ طابعه التوتر ، ومناخ طابعه التفاهم .

لقد غَلب مناخ التوتر على العلاقات السوفيتية الأمريكية خلال الفترة الأولى من ولاية الرئيس ريجان ، ولم يلبث أن بدأ بالتحسن حتى وصل الى حد سمح بابرام هذه المعاهدة حول موضوع كانت له الأولوية في قائمة الموضوعات التي تهم القوتين الأعظم ، في آخر السنة الثالثة من ولاية الرئيس ريجان الثانية . وكان واضحاً من مجموع ما أحاط بلقاء قمة واشنطن أن مناخ العلاقات لايزال مع تحسنه بحاجة الى الكثير لكي يصفو . وهناك من يعتقد بعدم قدرة الدولتين بحكم تكوينهما على بذل هذا الكثير . ولنا من ثم أن نوطن أنفسنا على التحرك في مناخ دولي لاتخلو سماؤه من غيوم سوداء .

إن التصريحات الأمريكية التي صدرت بعد التوقيع على المعاهدة بشأن الاستمرار في أبحاث اسلحة الفضاء ، والتعليقات التي ترددت هنا وهناك حول تكثيف الأسلحة التقليدية في أوروبا ، والحملات الدعائية الصهيونية الخاصة بيهود الاتحاد السوفييتي وتوظيف واشنطن لهذه الحملات في حربها الاعلامية مع

موسكو ، امثلة على هذه الغيوم السوداء . ولكن من الواضح أن الاتفاق الذي تم بدد غيوماً سوداء كانت موجودة ، وأنه مساهم في توفير مناخ صالح للتعامل واستمرار البحث في قائمة الموضوعات .

المؤشر الآخر الذي يحمله هذا الخبر يتعلق بانعكاسات الحادث على الصراع العربي الصهيوني . فتوقيع المعاهدة يسهم في ابعاد شبح المؤتمر الدولي « المظلة » الذي تسعى الولايات المتحدة الأمريكية الى عقده ليكون اطاراً للمفاوضات المباشرة بين الكيان الصهيوني والدول العربية فرادى . ومعلوم أن الولايات المتحدة وحزب العمل الاسرائيلي اعتمدا هذه الصيغة ، بعد أن تعذر على واشنطن اقناع الدول العربية بالمفاوضات المباشرة ، لينفذا من المظلة الدولية الى وقوع الدول العربية دولة دولة في فخ المفاوضات المباشرة . وقد كشفت بعض الجهات العربية مؤخراً عن المشروع الذي حمله شولتز معه في زيارته الأخيرة للمنطقة ، والمتضمن فكرة دعوة ريجان وجورباتشوف للكيان الصهيوني والأردن وسوريا الى واشنطن للحضور يوم القمة ، والجلوس من ثم للتفاوض المباشر معاً بعد الانتهاء من احتفال علني يحضره الرئيسان ويكون بمثابة غطاء مظهري دولي . ولم يجد هذا المشروع بطبيعة الحال اذناً صاغية لما يتميز به من سطحيه .

إن ابعاد شبح المؤتمر الدولي « المظلة » يفسح المجال أمام تقدم البحث في المؤتمر الدولي « المحكم » (بفتح الكاف) ذي الصلاحيات ، ويزيد من فرصه امكانية عقده ، ولكنه لايجعل ذلك أمراً محتماً لأسباب تتعلق بالكيان الصهيوني وبالولايات المتحدة وسياستها في المنطقة ومن هنا فإن علينا ان نوطن انفسنا على فترة لاحسم دولي فيها بشأن الصراع العربي الصهيوني . وهذا يعني أن الأولوية في هذه الفترة هي لايجاد حقائق جديدة على أرض تفرض نفسها على الصعيد الدولي . وواضح أن هناك هامشا واسعا للتحرك على الصعيد الاقليمي لايجاد الحقائق . كما يعني أن التحرك السياسي العربي يجب أن يخدم ايجاد الحقائق

الجديدة ، لا أن يصبح اسير الحلقة المفرغة في البحث عن تسوية لم تتوافر شرائطها بعد .

* * *

كان الخبر الثاني خاصاً بالقرارات التي اتخذتها الجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن قضية فلسطين وقت توقيع المعاهدة . وقد تضمنت هذه القرارات السبعة« ادانة سياسة الاستيطان في الأراضي المحتلة » بأغلبية ١٤٣ صوتاً واعتراض دولة واحدة هي « اسرائيل » وامتناع ٨ دول في مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية ، وتضمنت « ادانة استمرار احتلال اسرائيل للأراضي العربية منذ يونيو ١٩٦٧ بما في ذلك القدس » مع معارضة الولايات المتحدة ، وتضمنت « أن الأراضي العربية المحتلة بما فيها القدس تخضع لاتفاقية جنيف الخاصة بحماية حقوق المدنيين في زمن الحرب » ، وتضمنت « تنديداً باعتقال اسرائيل للمدنيين من ابناء الشعب الفلسطيني » ، وادانت « اسلوب معاملتهم واغلاق الجامعات والمدارس في الضفة والقطاع الى جانب اجراءات طرد العديد من الشخصيات وطالبت بالتخلي عن تدابير تغيير معالم مرتفعات الجولان السورية » .

ماذا في الخبر من مؤشرات يحملها في طياته ؟ وكيف نوظف هذه المؤشرات ؟

المؤشر الأساسي في هذا الخبر هو وجود رأي عام دولي يدين الممارسات الصهيونية في وطننا المحتل ، ويضيق بالدعم الأمريكي غير المحدود للكيان الصهيوني ، ويفرض من ثم عزلة معنوية على الموقفين الأمريكي الاسرائيلي من كيفية معالجة النزاع العربي الصهيوني .

واضح ان هذا المؤشر ليس جديداً . فهذه القرارات في مضامينها الأساسية تصدر كل عام عن الجمعية العامة للأمم المتحدة عند بحث قضية فلسطين ومايسمى بقضية الشرق الأوسط اوائل شهر ديسمبر من كل عام . وواضح

ايضاً أن الأثر العملي المباشر لهذه القرارات يكاد يكون معدوماً ، وان كان لها أثر غير مباشر يتفاعل ببطء . ولكن هذا المؤشر القديم بدا هذا العام مكتسباً فعالية اكبر ووضوحاً اكثر . وقد تأكد حين اصدرت الجمعية العامة القرارات الخاصة بما يسمى قضية الشرق الأوسط التي تضمنت « عدم قانونية قرار اسرائيل الخاص بفرض قوانينها في مدينة القدس المحتلة ، وادانة الدول التي نقلت مقار بعثاتها الدبلوماسية الى مدينة القدس منتهكة بذلك قرار مجلس الأمن » ، وتضمنت « ادانة التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل ، معتبرة هذا التعاون وتزويد الولايات المتحدة اسرائيل بالأسلحة والمعدات عاملاً مشجعاً على استمرار السياسات التوسعيّة والعدوانية الاسرائيلية في الشرق الأوسط ، وتضمنت « ادانة الاحتلال الاسرائيلي في الجولان واكدت ان قضية فلسطين هي جوهر الصراع وان المؤتمر الدولي تحت رعاية الأمم المتحدة هو الطريق الصحيح للتوصل الى تسوية شاملة ومحاولة تضمن استعادة الأراضي العربية المحتلة وحل القضية الفلسطينية ولعل أهم ماتضمنته هذه القرارات جميعها هو تأكيدها على ادانة الاحتلال وعلى حق مقاومته وتقديم الدعم لهذه المقاومة ، وعلى إدانة الارهاب الفردي والرسمي والتفريق بين المقاومة والارهاب وقطع الطريق على من يحاول الخلط بينهما والاستجابة الى الدعوة العربية التي بادرت سوريا بطرحها لعقد مؤتمر للبحث في الارهاب انطلاقاً من هذا الأساس .

إن هذا المؤشر الأساسي يدل على أن المناخ صالح في منطقتنا لتكثيف جهودنا في مقاومة الاحتلال الاسرائيلي الصهيوني لأراضينا العربية ، والعمل لايجاد حقائق جديدة على أرض الصراع بهذه المقاومة . وواضح أن هناك كثيراً من صور المقاومة في مقدمتها الكفاح المسلح ومنها كل ما من شأنه ازعاج العدو ومحاصرته . ونحن مدعون كعرب الى أن نجمع بين جميع هذه الصور ، ونعطي اولوية لتصعيد مقاومة أهلنا في الوطن المحتل ولارهاق عدونا في الجنوب اللبناني . وعلينا أن نستفيد من الهامش الواسع للتحرك على الصعيد الاقليمي في

ظل الوضع الدولي السائد .

* * *

كان الخبر الثالث الذي رددته وكالات الأنباء في اليوم نفسه هو مطالبة شيمون بيريز وزير الخارجية الاسرائيلي « بنزع السلاح من قطاع غزة المحتل » أمام لجنة الشؤون الخارجية والدفاع في الكنيست . وقد تضمن الخبر أيضاً مطالبة بيريز تجميد بناء المستوطنات في القطاع وقوله « ماذا يفيدنا ان نقيم بضع مستوطنات في هذه المنطقة وأي منطق في هذا المسلك » الذي ينادي بضم ٣٦٠ كم٢ مربع يعيش فيها ٦٥٠ ألف من المعادين للصهيونية .

ما الذي يستوقفنا في هذا الخبر ؟ ونحن الذين خبرنا تصريحات بيريز التى تعتمد « زخرف القول » ، وتعبر في جوهرها عادة عن حقيقة الصهيونية العنصرية .

يستوقفنا في الخبر أنه تضمن في طياته اشارة الى الحقائق الجديدة التى صنعتها المقاومة في القطاع والضفة ، والتي تفرض على احد القادة الصهاينة أن يجاهر بالمطالبة بخطوة تراجع ولو كانت محدودة .

لقد أثار تصريح بيريز ردود فعل حادة في أوساط العدو ، وعبّرت تعليقات صدرت في أوساط شعبنا على وعي متزايد بقيمة مثل هذا التصريح . ومع ذلك فإن المؤشر الذي يحمله هذا الخبر في طياته يستحق أن يوقف أمامه . لأنه يشير الى أن المقاومة هي التي فرضت على بيريز أن يقول ماقاله .

* * *

ثلاثة أخبار تقول مؤشراتها إن المجال مفتوح أمامنا دولياً واقليمياً ومحلياً لتصعيد مقاومتنا للعدو . ويبدو أن شعبنا العظيم في وطننا المحتل هو الأسرع دوماً في التعبير ينبغي عمله بحكم معاناته اليومية من هذا الاحتلال الصهيوني العنصري . وهاهو يقوم بانتفاضة أخرى تمتد أياماً كثيرة . وقد وعى أنه

لابديل عن المقاومة ، ولاجدوى من انتظار حلول وتسويات قبل اعطاء مواجهة العدو حقها والوفاء بمتطلباتها وايجاد حقائق جديدة على أرض الصراع . ومطلوب ان نعطى هذه المقاومة حقها من دعمنا المعنوي والمادي وكلنا ثقة انها ستفرض نفسها علي الولايات المتحدة لتفرض عليها مراجعة حساباتها في المنطقة وواضح ان كلاً منا مدعو الى التفكير في كيفية قيامه على الصعيدين الفردي والجماعي بهذا الدعم المعنوي والمادي ، ومن ثم الى مباشرة العمل .

الانتفاضة .. انطباعات وتوقعات وواجبات

حديث انتفاضة شعبنا العظيمة في وطننا المحتل على الاحتلال الصهيوني العنصري يتقدم كل حديث آخر . انظار العالم مشدودة الى فلسطيننا وهي تتابع جرائم مجرمي الحرب الصهاينة وبطولات ابطالنا المقاومين ، والكثيرون يتعاطفون معنا لأنهم يحترمون الشجعان . أمتنا من المحيط الى المحيط تعيش بعقلها وقلبها هذه الانتفاضة ، وابناؤها ينامون ويصحون على أخبارها ، تتملكهم مشاعر الغضب العارم من فظاعة جرائم العدو وخسته ، ومشاعر الفخر بعظمة أهلهم ، وهم يفكرون في هذا الذي يجري وما ينبغي عمله . وفي هذا الخضم تلح اسئلة

ماهو فهمنا لهذه الانتفاضة ؟
ماذا نتوقع في اعقابها ؟
ماهي واجباتنا ازاءها ؟

* * *

لقد أجمع المراقبون على أن هذه الانتفاضة هي الأقوى خلال عشرين سنة مضت على احتلال الضفة والقطاع . ومعلوم أن الانتفاضات تتالت هناك وفي الجولان مرة تلو مرة . وهذا يعني أن هذه الانتفاضة هي حلقة في سلسلة من جهة ، وأنها تمثل في الخط البياني للانتفاضات ذروة ، وأن هذا الخط متصاعد في اتجاهه .

يقول البعض في تعليل قوة هذه الانتفاضة أنها استلهمت روح عملية شهداء قبية . والحق أن لهذا القول مايبرره ، وقد قلنا عن العملية عند حدوثها « أنها حادث له مابعده » . ولكن مزيداً من التأمل في الانتفاضة والعملية معاً يصل بنا الى أننا نعيش مرحلة جديدة في مواجهة شعبنا العظيم للغزوة الصهيونية العنصرية .

لعل أبرز مايميز هذه المرحلة أن شعبنا العظيم في وطننا المحتل يبدو فيها وقد صمم على مقاومة عدوه ، وهو واثق من قدرته على المواجهة ، مدرك لحقيقة هذا العدو بجوانب قوته وضعفه ، وموقن بأن النصر في النهاية لصاحب الحق المرابط نفسه على استرجاع حقه .

لقد سبق لنا أن رصدنا إرهاصات هذه المرحلة قبل ثلاثة أعوام ، وكتبنا عن « بداية الصحوة العربية في مواجهة الغزوة الصهيونية » . ووصفنا ظواهر « الصحوة » وعرّفنا دلالتها . كما سبق أن تتبعنا دخول الصراع العربي الصهيوني مرحلة جديدة عام ١٩٨٣ سميناها مرحلة « المواجهة » جاءت في اعقاب عقد من السنين تميز بغلبة مناخ « التسوية » عليه .

واضح أن هذه الانتفاضة تأتي لتعبر بصورة أوضح عن الصحوة التي تفاعل في صنعها عامل روحي وعامل عقلي وعامل الخبرة . وواضح ايضاً أن مناخ المواجهة هو الغالب اليوم على الرغم من كل هذا الحديث المتكرر عن « المؤتمر الدولي والتسوية » !! لأن شعبنا مدرك حقيقة أن « التسوية » لن تتحقق الا باعطاء « المواجهة » حقها كاملاً والوفاء بكل متطلباتها ومن ثم ايجاد حقائق جديدة على الأرض تفرض نفسها على العدو الصهيوني وعلى الولايات المتحدة .

بقي أن نلاحظ على صعيد فهمنا لهذه الانتفاضة أنها تقدم دليلاً جديداً على مدى حيوية أمتنا . وقد تعودنا في نهاية كل عام أن نراجع حوادث العام ونقف امام مايبرز من ظواهر في وطننا ونمحص احكاماً يصدرها بعضنا في

لحظات الاحباط . وكنا طرحنا رأياً ينبه الى ماتتصف به أمتنا من حيوية ويدعو الى توظيف هذه الحيوية توظيفاً صحيحاً لتحقيق اهداف امتنا بتحرير اراضيها المحتلة وايجاد الحقائق الوحدوية بين اجزائها وبلوغ الكفاية والعدل وحمل رسالتها الحضارية الى العالم . وهاهي هذه الانتفاضة العظيمة تدلل على حيوية امتنا التي نصفها من جيلي النماء والحداثة ، وتوجه حركة شعبنا الوجهة الصحيحة في مقاومة العدو وصولاً الى أن تعم الثورة ضده . وتجدر الاشارة الى أن تعبير « الانتفاضة » مشتق من « نفض » بمعنى « حرّك » . وهاهي ارضنا الولود « تنتفض » مثل المرأة التي توصف بأنها « نفوض » أي « كثيرة الولد » . وهاهم ابناؤها « ينتفضون » متحركين وسابرين « بانظارهم النافذة » أغوار عدوهم ، ونصب أعينهم « ثورة » تعم تفرض على عدوهم أن يتراجع وتسوي حساباتهم معه .

* * *

إن للانتفاضة مابعدها ، فماذا نتوقع في أعقابها على صعيد العدو وعلى صعيدنا نحن ؟

ليس لنا أن نتوقع على صعيد العدو تراجعاً سريعاً ، فلايزال أمامنا نضال متصل يفجر ثورة داخل كيان العدو ومن حوله قبل أن يحدث التراجع . بل ان لنا أن نتوقع لجوء العدو الى أقصى درجات الارهاب والعنف والعسف في محاولته اليائسة لمواجهة الصحوة . ومن المتوقع أن يعتمد وسائل جديدة ، وأن تظهر في أوساطه تنظيمات إرهابية تستخدمها .

لقد نقلت وكالات الانباء وسط أخبار الانتفاضة العظيمة خبر قيام « ارييل شارون » مجرم الحرب الصهيوني بتنظيم حفل استقبال بمناسبة انتقاله للسكن في قدسنا القديمة حضره ثلاثمائة من الصهاينة على رأسهم اسحق شامير . والخبر له دلالات خطيرة ولاينبغي أن نمر به مروراً عابراً .

دعاني هذا الخبر الى أن استحضر ماحفظته كتب التاريخ عن المنظمات

الفرنجية التي قامت في وطننا إبان الغزو الفرنجي بعد أن حدثت الصحوة في اوساط أمتنا ، وذلك لأتعرف على رد فعل الغزاة على هذه الصحوة .

وقد وجدتُ أن الفرنجة حين لمسوا ضعفهم أمام الصحوة « لجأوا الى تشكيل منظمات عسكرية تجمع بين الفروسية والديرية ، أي بين الحياة الحربية والدينية . ففي سنة ١١١٩ م تشكلت منظمة الديريين العسكرية ومركزها دير في مدينة القدس . ثم تشكلت منظمة الهوسبتاليين ومركزها مستشفى القديس يوحنا في القدس . وتشكلت اواخر القرن الثاني عشر منظمة عسكرية دينية ثالثة . وكان هؤلاء يخضعون لسلطة البابا مباشرة . وقد شكلوا اعظم قوة عسكرية منظمة . وكانت حصونهم منتشرة بكثرة على الحدود الشرقية للامارات الفرنجية . وحين طرد الفرنجة من المشرق حمل هؤلاء معهم الثروات التي جمعوها وصاروا من كبار المرابين ، وانتهت قصتهم بمأساة القضاء عليهم . وقد تحدث مؤرخونا طويلاً عن « الداوية » و« الاسبتارية » الذين اشتهر عنهم أنه ما وقع في أيديهم اسير من المسلمين الا قتلوه . وهذا ماحدا بصلاح الدين العظيم أن يعاقبهم بعد حطين . وتحدث المؤرخون الأوروبيون طويلاً عنهم واتهم بعضهم هاتين الطائفتين بأنهما من اسباب انهيار البناء الفرنجي ببلاد الشام .

إن تعدي شارون على حرمة قدسنا القديمة بكل مافيها من مقدسات هو اشارة واضحة لتصاعد التعديات الصهيونية على مقدساتنا . وقد سبق لعدد من المنظمات الصهيونية الدينية أن باشرت هذا التعدي منذ عام ١٩٦٧ ، ومن أشهرها جماعة جوش امونيم . وان احتفال شامير رئيس الحكومة الاسرائيلية بهذا التعدي الشاروني لدليل على المناخ الذي يحيط به ويحث عليه في الأوساط الصهيونية العنصرية .

علينا اذن ان نتوقع ظهور تصعيد للارهاب في اوساط العدو يستهدف به شعبنا . وعلينا أن نوطن النفس على مواجهة هذا الارهاب الصهيوني ومعاقبة القائمين به .

لنا أن نتوقع على صعيد أهلنا في وطننا المحتل تطوير مقاومتهم في مواجهة الارهاب الصهيوني وتصعيدها ، دفاعاً عن أنفسهم وأموالهم واعراضهم وذودا عن وطنهم ومقدساتهم . وسيتنامى في هذا التطوير والتصعيد دور الفرد العربي الفلسطيني ذكراً أو أنثى ، طفلاً أو شاباً أو كهلاً أو شيخاً . كما ستظهر التنظيمات المغرقة في سريتها التي تعتمد الشهادة سبيلاً للحياة ، وتتنوع ، وتتكامل في أعمالها وستتجه الجموع الى ممارسة كل اشكال المقاومة بروح وثابة لاتخشى العدو .

ولنا أن نتوقع على صعيد أمتنا خارج وطننا المحتل تزايد النزوع بين شبابها وكهولها وشيوخها واطفالها لمقاومة العدو ، ورفع شعار مواجهته ، والتعبير عن هذه المقاومة عملياً في مختلف المواقع . وقد استوقفني صديق من قياداتنا العربية وأنا اطرح هذا التوقع في لقاء ضمنا وآخرين ليقولي لي « دعني اقدم مثلاً على ماتقول » ، وذكر أنه سمع يومها من شاهد عيان كان يتناول طعامه في مطعم فاخر على النيل ترتاده افواج سياحية اسرائيلية ، وهو يصف كيف قام النادل العربي بالرد على غطرسة سائح صهيوني أساء السلوك والمعاملة ، بأن تناول الزجاجة التي كان قادماً بها على صينية ونزل بها على رأس السائح ضرباً ، ثم كيف ولى الفوج بكامله خارجاً . وقد سلم النادل العربي نفسه لشرطة بلده وهو رافع الرأس وعلق صديق على الحادث بقوله « لاأظن أن هذا الشاب كان يمكن أن يُقْدِم على مافعل لولا أنه يعيش انتفاضة اخوته ومايواجهونه في الوطن المحتل » . والحق أن التعبير الفردي عن المقاومة له طابعه ، وسيكون التعبير المنظم المدروس اكثر تأثيراً وفعالية .

* * *

يسلم ابناء امتنا وهم يعيشون هذه الانتفاضة العظيمة بأن لها حقا عليهم . وهم يصلون في تفكيرهم في هذا الذي يجري الى تحديد واجباتهم نحوها .

إن هناك واجبات عدة . بعضها على صعيد حكومي عربي ، وبعضها على

صعيد المؤسسات العربية سياسية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية ، وبعضها على صعيد الأفراد العرب اياً كانوا ، وهؤلاء جميعاً مدعون على مختلف هذه الصعد الى أن يحددوا هم واجباتهم بعد أن يراجع كل منهم ما بيده من أوراق وما لديه من قدرات . والثقة أنهم يريدون أن يعطوا ويتقوا ويصدقوا بالحسنى ، وسييسرهم الله سبحانه لليسرى .

ليس لنا أن ندخل في تفصيل هذه الواجبات . فالأمة الفاعلة بابنائها الفاعلين الذين يعملون عقولهم فيما ينبغي عمله ، قادرة على القيام بواجباتها . والمهم أن تهب هي مرة واحدة وتحقق النتائج بين تحركات ابنائها . وعندها نوفي الانتفاضة حقها ونصل بها الى الثورة الشعبية على الاحتلال التي ستحرر الوطن ، وتصل بنا الى التسوية العادلة من خلال المواجهة المنتصرة .

حوار مع أحمد صدقي الدجاني
اجراه محمد ادريس أحمد في ١٩٨٨/٩/٢
بمكة المكرمة لجريدة الندوة

●خلال الأسابيع الماضية الثلاثه تفجرت الانتفاضة الشعبية في الأرض المحتلة .. ولاتزال مستمرة .. فما هو تحليلك للموقف ؟ .

النظر في هذه الانتفاضة القائمة في وطننا المحتل يدعوني الى ان اتناولها في نقاط ثلاث :
النقطة الأولى منها : تتعلق بمكانها من جهاد شعبنا ضد الغزوة الصهيونية العنصرية .. وهو كما نعلم جهاد متصل على مدى قرن من الزمان ..

●هل يمكن ايراد موجز تاريخي لهذه السلسلة ؟

هذه الانتفاضة العظيمة حلقة سلسلة من حلقات هذا الجهاد ولكنها تتميز بأنها الأكثر قوة وتأثيرا وتألقاً في الأونة الأخيرة منها .. وتجدر الاشارة هنا ان شعبنا واجه الغزو الاستعمارى الغربي بهذا الجهاد على مدى مراحل التسلل والتغلغل والغزو والتوسع ونستذكر بخاصة ثورات العشرين ، والواحد وعشرين ، وتسع وعشرين ثم ثورة ٣٦ الكبرى التى نحيى هذه الأيام الذكرى الخمسين لها .. ثم إنتفاضة ٥٤ في قطاع غزة والصمود في وجه العدوان الثلاثي عام ٥٦ والتحركات في الستينات ثم تدفقت الثورة الفلسطينية التي نعيشها اليوم ، وشهدت فترات تألقت فيها .. ونستذكر بخاصة دورها في أعقاب نكسة ١٩٦٧ ودورها في مواجهة الغزو الصهيوني في جنوب لبنان سنة ٧٨ ودورها في لبنان ٨١ م وتلاحمها مع شعبنا في الوطن المحتل عام ٤٨ في انتفاضة العظمى ضد من يغتصبون ارضه فى سنة ١٩٧٦ الذي خلد في تاريخنا باسم « يوم الأرض » .. وهكذا فنحن اذن امام سلسلة من الانتفاضات والثورات

ولكن هذه الانتفاضة جاءت الأقوى والأكثر تألقاً تمثل تتويجا له مابعده .. وعبرت بذلك عن حقيقة اننا نعيش بداية صحوة عربية إسلامية في مواجهة الغزو الصهيوني الاستعماري الاستيطاني العنصري .

●مسكاً من خاتمة الحديث السابق .. سلطت الأضواء على الصحوة في الأرض المحتلة .. وان الانتفاضة الأخيرة بالذات برزت فيها علامات الصحوة .. فهل يمكن إلقاء بعض الضوء على هذا الموضوع قبل متابعة الحديث في النقاط المتبقية ؟

لقد شغلتني دراسة هذه الظاهرة .. ظاهرة بداية الصحوة .. فحرصت على أن ارصدها ووجدت من دراستها انها حدثت بفعل عوامل ثلاثة هي :

١ ــ عامل الانتماء الذي يقوم على العقيدة واللسان وتراث الأمة ..

٢ ــ وعامل الخبرة التي تراكمت في مواجهة العدو .

٣ ــ وعامل العمق المكاني الذي بدأ يتوافر من ناحية شمال فلسطين ..

●ماهي طبيعة هذه الصحوة ومميزاتها ؟

عرّفت هذه الصحوة بانها حالة تجد الأمة فيها نفسها .. وقد وعت ذاتيتها وعرفت عدوها بجوانب قوته وضعفه ووطنت نفسها على مواجهته واثقة من قدرتها من خلال صراع النفس الطويل على هزيمته ..

●من وجهة تاريخية .. هل هناك ملامح مشتركة بين هذه الصحوة وبين أيام صلاح الدين عندما طهر القدس من الصليبيين ؟

كانت أمتنا قد عاشت مثل هذه الصحوة إبان الغزو الفرنجي قبل ثمانية قرون حين إنتصر في يومي حطين والقدس .. وما أعظم الأمثلة التى يحفل بها تاريخ تلك البطولة .. وما اكثر المشابهة بين تلك الأمثلة وبين مايقوم به شعبنا العظيم اليوم وبخاصة في هذه الانتفاضة ..

•ماهي توقعاتكم بالنسبة للأرض المحتلة .. فلسطين . والمنطقة ككل ؟

بالنسبة للتوقعات لما سيجرى في فلسطين المحتلة ومنطقتنا بعد هذه الانتفاضة العظيمة ، الحق إن لنا ان نتوقع أمرين : أولهما : تصاعد عسف العدو وارهابه وعدوانه على شعبنا بخاصة وعلى أمتنا بعامة .. وهذا الأمر يجب ان يكون محل اهتمام اولئك الذين يظنون بأن توجه العدو قد يشهد تغيراً سريعا ويجرون حساباتهم على هذا الاساس .

•هل يمكن ان توضح ذلك بالضبط ؟

ان دراستنا لعدونا تبين انه في مرحلة يعيش فيها سيطرة العنصرية الارهابية العدوانية التي لاتعرف الا استمرار الانغماس في الباطل الى اخر مدى . ومعلوم ان مثل هذه الظاهرة شهدتها مختلف تجارب الاستعمار الاستيطاني الغربي في تاريخ عالمنا خلال القرن الأخير قبل ان ينهزم هذا الاستعمار الاستيطاني وتسقط قلاعه وكلنا يذكر ماحدث في الجزائر وانجولا وموزمبيق وقبل ذلك في ليبيا والصومال واندونيسيا .

•هل هناك نماذج من تاريخ مواجهة الصليبيين إبان مرحلة صلاح الدين ؟

إن لنا ان نقف امام ماحدث إبان الغزو الفرنجي حين واجه الغزاة الصحوة العربية الاسلامية التي حدثت آنذاك بتشكيل تنظيمات ارهابية عدوانية حملت اسماء فرسان المعبد الداوية وفرسان الاسبتارية ، وفرسان انطاكية ، وكان لهم دور بالغ البشاعة في العدوان علينا حتى ان صلاح الدين العظيم إستثناهم من أي فدية وأنزل بهم العقوبة التى يستحقونها .. ويلفت النظر أن أريل شارون اليوم يجسد هذه الظاهرة وقد عمد اثناء الانتفاضة العظيمة الى تدنيس قدسنا الشرقية باتخاذ مسكن له فيها على مقربة من ثالث الحرمين الشريفين ومن مسجد عمر وكنيسة القيامة .. ومثل شارون كهانا ،

وحنيولا كوهين ، بوايتان وتمان . ومجموعات جوش أمونيم ، ورابين نفسه مجرم الحرب الذي يقود عملية قمع هذه الانتفاضة وشامير الارهابي سابقاً كما هو اليوم .

●في ضوء هذه الرؤية كيف ستكون المواجهة في المستقبل ؟ وهل ستكون هذه الانتفاضة انطلاقة جديدة نحو التحرير ؟

إن اساليبنا في مواجهة هذا الارهاب والعدوان الصهيوني المتصاعد ستتميز بقدرتها على التطوير وبفاعليتها في مواجهته بحكم تراكم الخبرة العربية الاسلامية في هذه المواجهة . ولذا فان لنا أن نتوقع امام هذين الأمرين فترة ستشتد فيها عزيمتنا على تحرير فلسطين العربية وتطهير قدسنا من دنس الصهيونية .

●بعد هذا الاستعراض لآثار الانتفاضة ، وتوقعات المستقبل ، ماهو واجب الامة في دعم هذه الانتفاضة ودفعها لكي تؤتي الثمار المرجوة ؟

بالنسبة لواجباتنا إزاء هذه الانتفاضة العظيمة وامام هذه التوقعات .. الحق ان امامنا في وطننا العربي الكبير مسلمين ونصاري من اخوتنا الذين عاشوا معنا من أهل الكتاب ودخلوا في ذمة نبينا ﷺ ، وفي العالم الاسلامي عامة واجبات كثيرة ننهض بها ، ونحن مدعوون الى أن نحسن التفكير فيها لنحددها بدقة على مختلف الأصعدة ولابد أن تنطلق هذه الواجبات من حقيقة اننا في مرحلة مواجهة مع العدو ومن ثم فإن حديث التسوية العاجلة ليس الا سراباً بقيعة يحسبه الظمآن ماءً .. ولا تسوية الا من خلال المواجهة وعلى هذا فلنعط المواجهة حقها كى تنطلق هذه الواجبات ايضاً من حقيقة انها في اعناق حكومتنا التي تتحمل مسئولية الأمة وعلى كاهل مؤسساتنا تماماً كما أنها اكتاف كل فرد .

• ولكن نعلم ان هناك قوى تؤيد الصهيونية في عدوانها على الصعيد الدولي .. فكيف يمكن مواجهة ذلك ؟

ليس منا أحد إلا وهو على ثغرة فلا يؤتين من قبله .. وهكذا فنحن مدعوون الى تحديد هذه الواجبات على المستويات الثلاثة ، مستوى الحكومات ومستوى المؤسسات ومستوى الأفراد .. ولابد ايضا ان نأخذ بعين الاعتبار ان هناك قوى تدعم هذا العدو على الصعيد الدولي ولابد من اشعارها نظريا وعمليا بمدى ماينتج عن دعمها من أضرار بنا .. وبأننا لانتهاون فى حقوقنا ولانقبل السكوت عن هذا الدعم ولانسكت على ضيم..

• كيف ترون القرارات التى تصدر من الأمم المتحدة بشأن القضية العربية الاسلامية ؟

تجدر الاشارة هنا الى القرارات التي صدرت عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الأخيرة بشأن قضية فلسطين ومايسمى قضية الشرق الأوسط والتي تجلى فيها عزلة العدو الصهيوني وعزلة الولايات المتحدة التي وقفت معه في كثير من هذه القرارات ونحن حين نشير الى هذه القرارات فليس من قبيل الظن انها قد تنفذ ولكن لانها تحمل مؤشرا فى طياتها على الرأى العام العالمى الذى هو اليوم أكثر تفهماً بفعل جهادنا ..

• لقد كان الرأى العام العالمي في سبات عميق .. فكيف يمكن كسبه إلى جانب قضيتنا ؟

معلوم ان العامل الرئيسي في كسب الرأى العام العالمي هو الجهاد في ساحة المعركة نفسها ذلك لأن الاعلام تابع لعملية فرض الحقائق على أرض المعركة وهذا المؤشر يدعونا إلي مزيد من تصعيد مقاومتنا وللبلوغ بجهادنا حتى مداه ..

* * *

بعد ان تحدثنا طويلاً عن موضوع الانتفاضة وآثارها ونتائجها والعوامل التي افرزت الصحوة الحالية او بداية الصحوة بالأحرى .. كان لابد لي من ان انتقل بالحديث الى نقاط اخرى .. وقد شجعني على ذلك الاستعداد الذي لمسته من الدكتور الدحان .. وبالرغم من انني كنت اود كما كان يود هو أيضاً ان يستمر حديثنا في مواضيع فكرية تهم الأمة .. الا ان موضوعاً لايبعد كثيرا عن القضية فرض نفسه علي ، ربما من الناحية النفسية — اكثر من جدواه من الناحية الفكرية — وانا متأثر بما قرأت عنه في الأيام القليلة الماضية .. قلت له :

● صدرت خلال الأيام القليلة الماضية تصريحات واقوال حول « حكومة منفى » فلسطينية فما هي رؤيتك لهذا الموضوع وجدواه في هذه المرحلة ؟

سبق لي عام ١٩٧٥ أن كتبت في هذا الموضوع موضحاً مفهوم « الحكومة في المنفى » وهو مفهوم حديث ومبيناً متى تتوافر الشروط لاقامتها ، وذاكراً ماهي الأهداف التي تستهدف منها . وكان مثل هذا الحديث مطروحاً أنذاك في أعقاب حرب رمضان حيث دخلت المنطقة مرحلة ساد فيها مناخ التسوية فكان هناك مجال لمثل هذا الحديث . وقد تغير هذا المناخ مع تصميم عدونا على عدوانه ورفضه الاعتراف بأي حق لنا على الرغم من ان مؤتمر القمة العربية في فاس الثانية اقر مشروعاً للسلام بلغ فيه مدى لم يسبق من قبل أن بلغه .. وقد أساء عدونا فهم ذلك وغيره إساءة بالغة

نحن اليوم في مرحلة المواجهة ومن ثم فإن الحديث يجب ان يتركز على متطلبات المواجهة فلسطينيا وعربيا في الدائرتين الوطنية والعربية المتلاحمتين

بعد هذه الرحلة في موضوع القضية الفلسطينية والأوضاع العربيه بصوره عامة ، احببت ان اتدارك الامر قبل ان ينهي الوقت وقد اوشك على الانتهاء وان اضع بعض الأسئلة الفكرية لاقتناص جانب من افكار الرحل المتدفقة .

• قلت له : الحديث عن الصحوة الاسلامية ذو شجون وهناك من يرى انه ليس هناك صحوة فعلية وانما هي مجرد مشاعر حماسية .. فماذا يرى الدكتور احمد صدقي الدجاني ؟

لقد تناولت هذه الظاهرة في بحث قدمته لاحدى الندوات وضمنته في آخر كتبي وبيّنا من الذين يقولون اننا نعيش في بداية صحوة اسلامية على صعيد العالم الاسلامي كله وصحوة عربية على صعيد الوطن العربي كله .

• عن ماذا تعبر هذه الصحوة ؟

تعبر هذه الصحوة فيما تعبر عن رفض للانغماس في حضارة أخرى .. وقد جرت محاولات فرض هذا الانغماس بقوة الاستعمار الذي تحكم فينا من جهة وبدعوات الانغماسيين الذين كان رد فعلهم على التحدي الحضاري الغربي هو رد فعل منغمس شرحته في كثير من بحوثي .

• هل يمكن ان توضح اكثر موضوع الانغماسيين في الحضارة الغربية الغازية ؟

معلوم انه حين تواجه امة بحضارات غازية يظهر فيها رد فعل انكماشي يحاول الهرب ، ورد فعل إنغماسي يحاول تقليد الغازى واستجابة فاعلة هي التي يمثلها تيار الصحوة .

• ماهي العوامل التي تكون هذه الصحوة .. وكيف تؤدى دورها ؟

جاءت هذه الصحوة بفعل عوامل تفاعلت في تكوينها ابرزها .. وعي الهوية التي تقوم على ثلاثة أركان : ركن العقيدة وركن اللسان وركن التمثل لاخبار الأمة وتراثها .. وكذلك جاءت هذه الصحوة لتعبر عن عزم على حمل رسالة العمران البشرى الى العالم فى وقت يشتد فيه خطر الفناء بأسلحة الدمار النووي التي تجاوزت سطح الكوكب الى فضائه وأمتنا مؤهلة لحمل هذه الرسالة .

• ماذا عن الذين يتحفظون في الوجود الحقيقي والفعلي للصحوة ؟

أنا افهم تحفظات البعض إزاء هذه الظاهرة لانها تنطلق من رؤيتهم لجوانب سلبية في حياتنا والحق اننا لسنا غافلين عن وجود هذه الجوانب وهي كثيرة ولكننا ننظر إلى الكأس المملوء نصفه بالماء نظرة شاملة فلا نرى الجزء الفارغ فحسب .. ولانرى الجزء المليء فحسب وانما نراه بكامله ونقول اننا في طور انبعاث حضارى وفى بداية صحوة يمكن ان تستكمل اذا نحن اعملنا الفكر وقرنا الفكر بالفعل والقول بالعمل .

• سؤال اخير عن الصحوة .. كيف نحمي هذه الصحوة من المخاطر حتى تجني الأمة ثمارها ؟

لنتذكر دوما ان نصف امتنا في وطننا العربي وفي العالم الاسلامي هم من جيل الشباب الذي سماه الرازي « جيل الحداثة » وان بامكان امتنا ان تفعل الكثير اذا احسنت توظيف حيويتها ولقد دللت في احداث كثيرة خلال السنين الماضية ــ ومثلا عليها الانتفاضة العظيمة ــ على مدى هذه الحيوية .. ولنحسك ان ظاهرة بداية الصحوة تتعرض الى مخاطر نراها واضحة فيما ينشب من صراعات في داخل الأمة .. ومن هنان فواجبنا ان نعمل على حمايتها وننهى هذه الصراعات لنوجه صراعنا مع العدو المغتصب الذى يحتل قلب وطننا ..

الانتفاضة وافشال نظرية الأمن الاسرائيلية

كانت انتفاضة شعبنا في وطننا المحتل ، هي الموضوع الوحيد على جدول اعمال الاجتماع الأخير للمجلس المركزي الفلسطيني الذي جاء في مطلع عام ميلادي جديد . وقد استمع المجلس الى عدد كبير من التقارير حول الانتفاضة ، جاءته من داخل وطننا المحتل ومن خارجه ، مكنت الاعضاء من القاء نظرة شاملة على مايجرى . ونجحت المناقشات التي تلت في بلورة رؤية نافذة للمرحلة التي نعيشها ولما ينبغي عمله فيها . فالمرحلة مرحلة مواجهة ، وعلينا أن نكثف جهودنا فيها لالحاق الفشل الذريع بما يسميه عدونا « نظرية الأمن الاسرائيلية » .

لقد الح علي وأنا احضر (بتشديد الضاء) للاجتماع واشارك فيه واتأمل في حصيلته أن أكتب عن هذه « النظرية » وكيف دلل نضال شعبنا على امكانية افشالها ، وذلك في نطاق الحديث عما ينبغي عمله .

لنا أن نستحضر بداية بين يدي هذا الحديث رؤيتنا للمرحلة الراهنة من نضال شعبنا على ضوء انتفاضته . فهذه الرؤية بكلمات « ان هذه الانتفاضة هي حلقة في سلسلة متصلة الحلقات ممتدة على مدى قرن منذ ان استهدفتنا الغزوة الصهيونية الاستعمارية الاستيطانية . ولكنها تعبر عن أكثر هذه الحلقات توهجا وتألقا بعد حرب عام ١٩٦٧ ، وتقول بأن بداية الصحوة العربية في مواجهة الغزوة الصهيونية قد اتضحت تماما ، وتؤكد قدرتنا كافة على الحاق

الفعلي لتدريج ما يسميه عدونا نظرية امنه . وانما نعيش مرحلة مواجهة ، ونحن مدعوون فيها الى ايجاد حقائق جديدة على أرض الصراع العربي الصهيوني تفرض على عدونا أن يراجع حساباته ويسلم بحقوقنا فالوقت هو وقت زرع . وسيأتي وقت الحصاد حتى يكف عدونا عن عدوانه . وعلينا من ثم الا نتعجل وقت الحصاد . ولنركز اهتمامنا على الوفاء بمتطلبات المواجهة ، ومتابعة افشال « نظرية الأمن الاسرائيلية » .

ماذا تقول هذه النظرية ؟ وكيف تبدو اليوم على ضوء استمرار نضال شعبنا ؟

ان عدونا يعتقد بأن امنه لا يتحقق الا بفرض الاستسلام علينا نحن العرب . وهو يرى أنه قادر من خلال اعتماد سياسة عدوانية ثابتة أن يفرض هذا الاستسلام الذي يتحقق بداية باجبارنا نحن العرب على ما تسميه وسائل الاعلام الغربي « اسقاط الخيار العسكري » من حساباتنا واعتبارنا .

لقد لفت نظري وأنا اتابع قراءة التقارير الاسرائيلية تعبير شامير عن هذه المقولة الرئيسية في نظرية الأمن الاسرائيليه اثناء زيارته الأخيرة لواشنطن . فهو يقول ردا على سؤال عن التنازلات التي يمكنه أن يقدمها كي يسهل على الأردن القدوم الى قاعة المفاوضات « أنا لن اقدم أية تنازلات علينا أن نتفاوض بشكل مباشر ، ودون أية شروط مسبقة ، ثم هو يقول شارحا لزعماء اليهود في الولايات المتحدة الشروط التي يجب أن تتوافر قبل أن تبدأ اسرائيل في التفاوض مع جاراتها العربيات « يجب ازالة الخيار العسكري من جداول اعمالنا ، ويجب استبعاد منظمة التحرير الفلسطينية من المسيرة السلمية » .

انطلاقا من هذه المقولة الرئيسية تحدد نظرية الأمن الاسرائيليه عناصرها على مختلف الجبهات . فهي تريد أن تصل مع الدول المجاورة لفلسطين الى فرض معاهدات جائرة عليها بمعونة الولايات المتحدة الأمريكية تنطلق من وراء ذلك الى بقية الدول العربية ، والى اقامة نظام اقليمي ، تابع للولايات المتحدة يكون

الكيان الصهيوني فيه هو الوكيل .

لقد تحددت عناصر هذه النظرية تجاه لبنان انطلاقا من هذه المقولة الرئيسية ، وعلى ضوء الاوضاع في لبنان وجنوبه بخاصة . ولنا أن نقرأ ماقاله اسحق رابين عن هذه العناصر في بيانه امام الكنيست الاسرائيلي بعد عملية شهداء قبية البطولية التي قامت بها نسورنا الطائرة ، « العنصر الأول هو انتشار الجيش الاسرائيلي الذي يتضمن شبكات اعاقة متنوعة ، تستند بدورها الى آلاف القادة والجنود ، الذين يحافظون على الأمن ليل نهار ، من خلال قيامهم بنشاط أمني صعب وشاق . والعنصر الثاني هو منطقة « الحزام الأمني » ، التي تستند بالاساس على جيش لبنان الجنوبي ، ودعم الجيش الاسرائيلي لهذا الجيش ، وهذه المنطقة تشكل في الوقت نفسه ضمانا للهدوء ، ومجالا اضافيا للانذار المبكر بالنسبة لشمال الجليل .

والعنصر الثالث هو حرية العمل بالنسبة لقواتنا ، وهي تتمثل في مبادرتنا العسكرية وعملياتنا الوقائية والتأديبية ضد منظمات الارهاب وقواعدها في الأراضي اللبنانية .

واضح كيف يجسد هذا القول سياسة العدوان الصهيونية باجلى صورها . فالعنصر الثاني يقوم على احتلال أرض لبنانية عربية ، والعنصر الثالث يستبيح أرض لبنان العربية وسماءه برا وبحرا وجوا بعمليات عدوانية تحت اسم « الوقاية » واسم « التأديب » .

وتحددت عناصر « نظرية الأمن الاسرائيلية » تجاه شعبنا في الوطن المحتل وفي هضبة الجولان وتجاه جميع الأراضي العربية والفلسطينية المحتلة والمغتصبة على ضوء اعتبار هذه الأراضي جزءا من « أرض اسرائيل الكاملة » التي تشمل ايضا الضفة الشرقية للأردن واجزاء اخرى بين النيل والفرات ، واعتبار جميع العرب فيها مجردين من حقوقهم . وهكذا جرى ضم هضبة الجولان وضم القدس ، وتم اعتماد سياسة امنية قائمة على الارهاب والعسف والاضطهاد

والابعاد والتسخير وفرض الضرائب الباهظة .

لقد جاءت عملية « شهداء قبية » لتفرض على العدو ان يراجع عناصر نظريته الأمنية تجاه لبنان . ويرى ميزانها خلال عامين ونصف منذ أن تولى مجرم الحرب اسحق رابين مسؤولياته كوزير حرب . ويلفت النظر ان رابين في بيانه امام الكنيست لم يستطع ان يجاهر بالاقرار بفشل هذه النظرية ، ولكن حديثه كشف عن الثغرات الكبيرة فيها . فهو يقول « تعمل في لبنان عشرات المنظمات تستقطب نحو عشرة آلاف فدائي فلسطيني وآلافا يعملون في منظمات لبنانية . وهناك ثلاث من المنظمات تمتلك وتستخدم وحدات جوية » وهو يعترف بسقوط قتلى من الجنود الاسرائيليين ووقوع جرحى وحدوث اختطاف واسر مساعد طيار وهو يقر بأن العمليات الفدائية لرجال المقاومة هناك مستمرة .

لعل أهم ماقاله اسحق رابين في بيانه عبرة استخلصها من بين اربع عبر وهي « ان قوات الجيش الاسرائيلي بذلت وتبذل جهودها كافة للحيلولة دون توغل الفدائيين داخل الأراضي (الفلسطينية المحتلة) عن طريق البر والبحر والجو .

وعلى الرغم من ذلك يحتمل أن تتم عمليات منفردة ينجح فيها الفدائيون في الدخول .

والحق أن هذه العمليات المنفردة يمكن أن تصبح جماعية ، ويغدو الدخول هو القاعدة وليس الاستثناء .

كذلك جاءت انتفاضة شعبنا العظيمة لتفرض على عدونا ان يراجع عناصر نظريته الأمنية تجاه وطننا المحتل وشعبنا العظيم فيه ، ويرى ميزانها ، ولم يقم اسحق رابين حتى كتابة هذه السطور باصدار بيانه عنها والقائه في الكنيست لأنه مشغول حتى درجة الاستغراق بتطبيق سياسة « القبضة الحديدية » في افظع صورها هناك ، بينما مقاومة شعبنا تستمر وتتصاعد .

لقد أكدت الانتفاضة مثلما أكدت عمليات المقاومة في جنوب لبنان وفي داخل فلسطيننا امكانية افشال نظرية الأمن الاسرائيلية ، وقدرة أمتنا على ذلك . والمطلوب اليوم أن تعمل الفكر اولا لوضع الخطط اللازمة لضرب كل عنصر من عناصر هذه النظرية في كل جبهة مواجهة في الداخل وفي جنوب لبنان وفي دول الجوار وفي العمق العربي . وهناك الكثير مما يرد على هذا الصعيد . ويكفي أن نتصور ماذا سيكون عليه حال العدو لو دعم وجود المقاومة في جنوب لبنان ، ولو استمر اشتعال البؤرة هناك ، ونتصور ماذا سيكون عليه حاله لو اعطينا الانتفاضة العظيمة حقها من الدعم وزوفينا بمتطلبات استمرارها . ونتصور ماذا سيكون عليه حاله لو ايقن انه لم يحلم بامكانية الوصول الى ان يفرض علينا اسقاط الخيار العسكري من حسابنا كأمة وكحكومات .

المطلوب اليوم هو أن نوفر لهذه الخطط كل مايلزمها من المتطلبات ، ولانبخل على الانتفاضة ولا على المقاومة بما نملك ولنا أن نثق بقدرات شعبنا على المواجهة بعد ان بدأ مرحلة صحوة مواجهة الغزوة التي من سماتها « انه يعرف عدوه بجوانب قوته وضعفه ، وانه يثق بقدرته على مواجهة هذا العدو ، وانه يوطن نفسه على كل متطلبات المواجهة في صراع النفس الطويل . » ولقد لفت انتباهي ما شهد به افرايم سنيه رئيس الادارة المدنية الصهيوني لشعبنا وهو يتحدث قبل الانتفاضة الراهنة لمجلة الجيش الاسرائيلي حين قال « ان الجمهور الفلسطيني يقظ سياسيا . وهو يعرف أدق تفاصيل حياتنا اليومية » .

وان الوضع العام في الأراضي المحتلة يتميز بالاحباط والانهاك والكآبة واليأس وأن المواطنين العرب يسعون بكل قواهم الى انهاء الاحتلال .

ان مجال العمل واسع امامنا كعرب لافشال نظرية الأمن الاسرائيلية التي هي في حقيقتها « نظرية العدوان الصهيونية » ويمكننا ذلك من ان نفرض على الكيان الصهيوني وعلى الولايات المتحدة الأمريكية ان يعيدا النظر في مقولة

اسقاط العرب الخيار العسكري . واليأس من امكانية تحققها ، والتسليم من ثم بحقوقنا ، وأن دعم الانتفاضة والمقاومة هو البند الأول في بنود جدول العمل ، وكم كان المجلس المركزي على صواب حين أعطى هذا البند حقه استجابة لارادة شعبنا وامتنا . وكم كان شعبنا عظيما في عطائه وكانت أمتنا رائعة في وقوفها معه . ويبقى ان نحسن توظيف حيوية الأمة في دعم الانتفاضة والمقاومة وفي الوفاء بكل متطلبات المواجهة .

الانتفاضة .. واسئلة وأجوبة

اكتب والانتفاضة دخلت اسبوعها الخامس ، وأخبارها تتردد على كل لسان ، وشعبنا العظيم يتابع مواجهته لعدونا الصهيوني العنصري .

اسئلة كثيرة تتعلق بهذه الانتفاضة طرحت علي خلال هذا الأسبوع . وهي بمجموعها تعبر عن مدى الاهتمام بما يجرى والحرص على أن يبلغ نضال شعبنا غايته .

* * *

جاءني أحد أبناء شعبنا ، وهو مهندس شاب واعد ورث الاهتمام بالعمل العام « أباً عن جد » ، وقال « عندي ثلاثة اسئلة . الأول منها من وحي مانلاحظه من اهتمام الإعلام الغربي بالانتفاضة ومتابعته لها ولاحداثها أولاً بأول . فما هي المعادلة التي تحكم هذا الاعلام ؟ والثاني حول علاقة المنظمة بالانتفاضة ودورها في قيادتها ؟ والثالث حول امكانية ان تكون لهذه الانتفاضة نتائج حاسمة على الصراع . وتابع الشاب حديثه قائلاً « أريد أن اشرح سؤالي الثالث » . لقد كنتُ اتابع مايجري في وطننا عن كثب كما تعلم . وأصدقك القول إني لم أتوقع أن يقوم شعبنا بمثل هذه الانتفاضة . وقد صمتُ حين سمعت منك قبل عامين حديثك عن بداية الصحوة العربية في مواجهة الغزوة الصهيونية ولم أعلق ، ولكنني قلت في نفسي إنك متفائل جداً . وتأتي هذه الانتفاضة لتقدم مثلاً رائعاً عن بداية الصحوة فهل يمكن لها أن تحسم أمر الصراع ؟ .

قلت لابنتا الشاب « الاعلام الغربي يحكمه عاملان الأول عامل إعلام الأزمات الذي برز في عصر ثورة الاتصال . فالاعلام الغربي ينشدّ بحكم هذا العامل الى مواقع تفجر الأحداث والى بؤر التوتر . والآخر عامل السياسة الاعلامية للدول ولمراكز القوى والمؤسسات التي تسيطر على هذا الاعلام . وقد يحدث أن يواجه هذا العامل العامل الأول حين تقتضي السياسة الاعلامية فرض الصمت المطبق على أحداث كبيرة . ومن الملاحظ أن قوة العامل الأول تتنامى حين يؤدي تفجر الأحداث الى إسالة دم الانسان البريء الأعزل ، وحين يواجه هذا الانسان بالعنصرية والارهاب والقمع . فنحن نعيش في عصرنا الخوف من تسلط الانظمة الجمعية على الانسان ، وفي أذهاننا الكابوس الذي عاشه بطل قصة جورج اورويل ١٩٨٤ .

إن انتفاضة شعبنا العظيمة بكل مافيها من صور التصدي للعنصرية الصهيونية الغاشمة فرضت على اعلام الأزمات الغربي أن يتابعها . ولم يتعارض ذلك مع السياسات الاعلامية لكثير من الدول الغربية ، لأن هذه الدول ضاقت بغطرسة السياسة الاسرائيلية . ويبقى أن أشير الى أن نفوذ اليهودية بالعالمية في الاعلام الغربي يجعل هذا الاعلام مركزاً على مايجري في الكيان الصهيوني . وقد شكا بعض الخبراء الاعلاميين الصهاينة من هذا التركيز في أعقاب قيام الاسرائيليين بتدبير مذابح صبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢ ، وحملوه مسؤولية تشويه صورة الاسرائيلي في الغرب ولو عن غير قصد .

وقلت لابننا الشاب « منظمة التحرير الفلسطينية هي كيان شعب فلسطين . وقد تم بناؤها على أساس أن كل فلسطيني عربي هو عضو طبيعي فيها كما تقول المادة الأولى في ميثاقها . وهذا مادعانا الى أن نعتبرها الأرض الرمزية التي يقف عليها شعبنا الموجود داخل وطننا المحتل وخارجه اينما كان . ومن هنا فإن انتفاضة شعبنا هذه هي نبض كيانه ومنظمته . هذا هو الخط الرئيسي الذي يحكم فهمنا لما يجري . ولكن سؤالك ينصرف الى علاقة قيادة المنظمة بالانتفاضة ايضاً . ومعلوم أن بعض الكتابات في وسائل الاعلام شككت

بوجود دور للقيادة في احداث الانتفاضة ، الأمر الذي دعا البعض للرد رداً يتسم بالحدة والانفعال .

إن لنا للإجابة عن هذا السؤال أن نتأمل في « آلية الانتفاض » . فالانتفاض هو وليد عوامل مختلفة موجودة . وتحتاج هذه العوامل كي تتفاعل الى مناخ صالح . ويتوافر هذا المناخ الصالح احياناً بفعل حوادث معينة مثل تلك التي حدثت في شهر تشرين الثاني — نوفمبر الماضي ، من احياء ذكرى تصريح بلفور المشؤوم ، الى انعقاد القمة العربية ، الى عملية « شهداء قبية » بنسرها الطائر ، الى احياء ذكرى التقسيم ويوم فلسطين . ولاتلبث أن تحدث شرارة بفعل حادث مباشر مثل حادث السيارة في احد مخيمات قطاع غزة ، فتنطلق الجموع تلقائياً في بداية الأمر . ثم يلمح بها الفعالون من ابناء شعبنا . ولايلبث أن يتحقق ترابط الداخل والخارج في تحرك الانتفاضة . فالخارج يستمد من الداخل قوة ويمده بقوة ، والداخل يستمد من الخارج قوة ويمده بقوة . وإن لسان حال الجميع هو قول هارون الرشيد وهو يتأمل تلك السحابة « أينما سقطت فسيأتيني خراجك » . فكل تحرك في الداخل والخارج على السواء هو ملك لشعبنا ولأمتنا ولمنظمة التحرير .

وقلت لابنتنا الشاب « الحسم في هذا الصراع العربي الصهيوني يتطلب ثلاثة أمور ، يتوافر منها اثنان هذه الأيام ، ولكن الثالث غير متوافر . الأمر الأول هو اتصال المقاومة داخل وطننا المحتل . والأمر الثاني هو اتصال المقاومة في جنوب لبنان ، والابقاء على بؤرة التوتر التي تسبب نزيفاً دائماً للعدو . والأمر الثالث هو نشوب الحرب الشاملة حين تتوافر لنا نحن العرب شرائط خوض هذه الحرب .

إن الانتفاضة توفر الأمر الأول كأحسن مايكون . وإن المقاومة المباركة في جنوب لبنان تتكامل معها ، ولكن الحسم بحاجة الى الأمر الثالث . فلنتابع جهادنا في توفير الأمرين الى أن يحين ظرف توفير الأمر الثالث .

* * *

تكرر طرح سؤال علي يتعلق باحتمال أن تعلن منظمة التحرير الفلسطينية حكومة فلسطينية ، قبيل انعقاد المجلس المركزي وفي اعقابه مرات كثيرة ، بعد أن صدرت تصريحات فلسطينية حول احتمال ذلك وتصريحات أخرى ترفض الفكرة .

لم يتضمن جدول أعمال المجلس المركزي بنداً خاصاً لمناقشة هذا الموضوع لأن اجتماعه كان مخصصاً لموضوع الانتفاضة وحدها . وقد تطرقت العروض والمناقشات لاشارات حول الموضوع ، وأحيط المجلس علماً بأن اللجنة التنفيذية طلبت الى اللجنة القانونية في المجلس المركزي دراسة الموضوع من وجهة نظر قانونية .

إن لهذا الموضوع — كما هو معلوم — جانبه القانوني وجانبه السياسي . وقد احلت من سألوني الى ماورد في كتابي « العرب وتحديات المستقبل » في مقال حكومة فلسطينية الذي كتبته عام ١٩٧٥ ، وتناولت فيه بالدراسة الجانبين معتمداً في الجانب القانوني على دراسة قيمة كتبها د.عز الدين فوده حوله . وانتهيت في تلك الدراسة الى أن الاعلان يصبح وارداً حين تتكامل شروط معينة بفعل تصاعد النضال آخرها أن تكون الثورة قد اوشكت على الامساك بجزء من ارض الوطن . وهذا يعني أن إحسان توقيت الاعلان ضروري لنجاح الخطوة . ومن هنا فإن من المطلوب استحضار طبيعة الفترة التي نعيشها .

لقد أوضحت الانتفاضة ورد الفعل الصهيوني عليها اننا في فترة مواجهة ستستمر مع توقع تكثيف عدونا اجراءاته الارهابية على مدى هذا العام . وهاهي أعمال شامير ورابين وتصريحاتهما تؤكد ذلك . وهذا يعني كما تردد في اجتماع المجلس المركزي اننا في مرحلة زرع وعلينا الا نستعجل الحصاد قبل أوانه ، لأن المطلوب انضاج الزرع أولاً ويلفت النظر أن الانتفاضة العظيمة طرحت الحديث عمّا يسمى « بالعصيان المدني » الذي هو احدى صور

المقاومة ، تعبيراً عن أننا لانزال في فترة مواجهة ومرحلة زرع توجد فيها حقائق جديدة على أرض الصراع تفرض على عدونا أن يغير مواقفه .

* * *

سؤال آخر طرحه عليّ أخ عربي مختص بالإعلام من وحي متابعته لما يكتب عن الانتفاضة في الاعلام العربي ــ وقد طرح سؤاله وهو يعرض حصيلة متابعته هذه قائلاً « ما أعظم تجاوب الاعلام العربي مع هذه الانتفاضة العظيمة . وقد استطاعت كتابات كثيرة أن توفي مسؤولية القلم حقها ، بتناولها أخبار الانتفاضة بالعرض والتحليل والدعوة الى أداء الواجبات . ولكن يلفت النظر أن نوعاً معيناً من الكتابات بدأ يظهر مع استمرار الانتفاضة ودخولها اسبوعها الخامس ، يحاول بطرق ملتوية تحويل القارىء العربي عن القضية الأساس التي هي انهاء الاحتلال الصهيوني وتحرير الأرض الفلسطينية الى قضايا فرعية جزئية ، كما يحاول تحويله عن مواجهة العدو الصهيوني باثارة شبهات حولنا نحن العرب . فكيف تفسر هذه الظاهرة » .

قلت لأخي العربي « لقد تداعت الى خاطري وأنا الاحظ ظهور هذه الكتابات الآيات الأولى في سورة البقرة التي تحدثت عن المتقين بخمس آيات وعن الكافرين بآيتين ثم عن المنافقين بآيات كثيرة تضمنت شرح مواقفهم تفصيلاً وضرب أمثلة عليها .

إن لنا أن نقف عند توقيت ظهور الكتابات فنلاحظ أنه جاء بعد ان أصبحت الانتفاضة عميقة التأثير في وجدان أمتنا وبدأت تفاعلاتها تظهر نتائج طيبة . عندها استشعر اصحاب هذه الكتابات الخطر فخرجوا من صمتهم الذي واجهوا به الانتفاضة بداية لينطقوا كفراً .

لنا أيضاً أن نقف أمام اسلوبهم في تحويل الانظار عن العدو . فهم يعمدون الى الاشادة بالانتفاضة كمدخل ثم ينتقلون الى التهجم على أمتهم وينتهون الى الدعوة للحوار والتفاهم وكأن عدونا قد سلّم بحقوقنا ونبذ العدوان والتوسع ،

وهو الذي يمارس ابشع القطاعات .

هل سينجح هؤلاء في محاولاتهم صرف امتنا عن المواجهة ؟ لاشك أنهم يثيرون شكوكاً ونقعاً ، ولكن تأثيرهم يتضاءل في ظل الصحوة التي ظهرت بداياتها بوضوح . وقد أصبحت عزلتهم مؤكدة بعد أن لحق بهم لقب المفسدين وان علينا أن نركز جهودنا على البناء ..

* * *

ان لهذه الانتفاضة حقوقاً كثيرة علينا . وفهمنا الصحيح لها يساعدنا على اداء هذه الحقوق .

الانتفاضة والأولويات

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة تدخل اسبوعها التاسع . وقد امضيت ساعات من الأسبوع السابع وأنا استمع الى اخوة قادمين من وطننا المحتل وهم يروون ماحدث ويطرحون وجهات انظارهم ويجيبون عن اسئلة نوجهها اليهم . وأمضيت ساعات من الأسبوع الثامن وأنا على سفر أتابع التطورات من خلال تقارير مقروءة ومسموعة ، وأحاور أخوة مختصين حول ماينبغي عمله ، وأتأمل . ووجدت نفسي أمام عدد من الأفكار .

* * *

الفكرة الأولى تتعلق بالشعار الذي بلورته هذه الانتفاضة . إنه شعار يتضمن كلمة واحدة هي « التحرير » . وسيتابع شعبنا انتفاضته حتى يبلغ هدف تحرير وطنه .

لقد حاول عدونا بكل السبل أن يلتف على هدف التحرير ، فطرح شعار حكم ذاتي أو اداري أو ادارة ذاتية . وحاولت معه الولايات المتحدة الأمريكية . ولكن انتفاضة شعبنا العظيمة اعادت رفع الشعار ، فلا بديل عن « التحرير » .

إن التحرير هو روح العصر ، منذ أن تفجرت ثورة التحرير في اعقاب الحرب العالمية الثانية وتدفقت موجات التحرير موجة اثر موجة وكم حقق التحرير للانسانية التي امتهنها الاستعمار بأشكاله المختلفة ، وما أروع

الانتصارات التي حققتها حركات التحرير في آسيا وافريقيا ، وبخاصة بعد هزيمة العدوان الثلاثي في حرب السويس عام ١٩٥٦ .

لقد اتخذت منظمة التحرير الفلسطينية عند انشائها عام ١٩٦٤ شعاراً لها هو « الوحدة الوطنية والتعبئة القومية والتحرير » . وهاهي انتفاضة شعبنا العظيمة تجسد هذا الشعار .

اننا مدعوون للحديث عن التحرير ، ولاستخدام مصطلحاتنا في التعبير عن كل مايتعلق بقضيتنا ؛ وإن علينا أن نرفض استخدام مصطلحات العدو التي تستهدف تغيير الحقائق وقلبها . فلا يجوز مثلاً السكوت عن مصطلح « دورة العنف » الذي يساوي بين جرائم الاحتلال الصهيوني ومقاومة الشعب وهو يدافع عن نفسه .

* * *

الفكرة الثانية تتعلق بما عبرت عن الانتفاضة العظيمة من وحدة الشعب . فهذا الشعب الذي حلّت به نكبة عام ١٩٤٨ ، ففرضت على جزء منه أن يكون منفياً في وطنه المغتصب ــ فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ ــ وفرضت على جزء آخر منه أن يتشرد فتتعدد أماكن تجمعه ، يهب هبة واحدة ويترابط داخل وطنه المحتل وخارجه مجسداً وحدته الفعلية ووحدته الوطنية .

لقد كان من أكثر مالفت النظر في انتفاضة شعبنا العظيمة وقفة اهلنا في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ مع اخوانهم في الضفة والقطاع . وكم اقلقت هذه الوقفة عدونا حتى أن الحكومة الاسرائيلية خصصت اجتماعاً لبحثها . ويتضح مما نشرته جريدة بوست يوم ١٩٨٧/١٢/٢٨ أن حاييم بارليف وزير الشرطة الاسرائيلي تحدث عن أن الاضراب الذي تمت الدعوة اليه في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨ كان فعالاً ، وأن احداثاً وقعت في تسعة وعشرين موقعاً عربياً ، وأن ماجرى في يافا وشفا عمرو مثل حالتين خاصتين ، وكانت الصورة خطرة في الناصرة وام الفحم وعابرة واللد . وقد طلب شامير من

زملائه ان لايقولوا شيئاً لوسائل الاعلام عن المناقشة المتعلقة بما يسمونه « الوسط العربي » لأن من الحكمة اسدال ستار من التعتيم على الموضوع برمته .

إن لنا أن نقف أمام هتاف ردده المتظاهرون من أهلنا في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ « ياشامير ياشارون هذا بلدنا واحنا هون » . فكل فلسطيني اينما كان لسان حاله هو « فلسطين وطننا » وهي بلادنا وكل موقع فيها بلدنا . وهكذا يحقق الانتماء الى الوطن وحدة شعب فلسطين اينما كان افراد هذا الشعب .

إن لنا أن نقف أيضاً امام حقيقة أن المشاركين في الانتفاضة العظيمة كان فيهم الأطفال ، وكان فيهم الشبان والشابات ، وكان فيهم المسنون من الشيوخ ، كما ذكرت مصادر العدو الرسمية . وهذا يعني أن الشعب كله بجميع اجياله انتفض . وقد اعتبر اوري افنيرى هذا الانتفاض بمثابة « المارد الذي خرج من قمقمه » . ولاشك في أن وحدة شعبنا العربي الفلسطيني ستحقق الكثير على طريق تحرير فلسطين . فكيف نعمل لتنمية هذه الوحدة ؟

* * *

الفكرة الثالثة تتعلق بما احاطت به جماهير امتنا العربية هذه الانتفاضة العظيمة . فقد تابعت هذه الجماهير من المحيط الى الخليج مايجري لحظة بلحظة . وعاشت مع اهلها في الوطن المحتل روعة تصديهم للطغيان الصهيوني وآلام معاناتهم ، وعبرت بصور مختلفة عن تلاحمها معهم .

لقد فعلت الانتفاضة فعلها في « روح امتنا » ، واعطت كل فرد من ابناء الأمة الكثير . اعطتهم الثقة بالنفس والانتماء الى الذات والفخر بالقدرة على مواجهة الظلم . كل ذلك على صعيد قضية فلسطين التي هي قضية كل عربي تعيش في ضميره وتملك عليه مشاعره . والحق ان أثر كل المحاولات لتحويل انظار الانسان العربي عن قضيته الفلسطينية يتبدد حالما تحدث الوقفة المطلوبة في

مواجهة العدو .

إن جماهير امتنا تواقة لتعطي هي الانتفاضة الكثير . والمطلوب من أولي الأمر ان ييسروا لها ذلك ، وأن يحسنوا توظيف حيويتها .

* * *

الفكرة الرابعة تتعلق بتزايد التأييد في أوساط الرأي العام الدولي لقضية فلسطين بفعل انتفاضة شعبنا العظيمة . فالجديد في هذه الظاهرة هو انتقالنا بشكل خاص الى دائرة الغرب الأوروبي والأمريكي . ولقد كان هناك تأييد لقضيتنا في العالم الثالث وفي دول المنظومة الاشتراكية وفي قطاعات محدودة في الغرب . وها نحن نرى اليوم تزايد التأييد في بلاد كبريطانيا مثلاً التي كانت وسائل اعلامها محتكرة لتأييد الصهيونية . كما نرى التعبير عن التأييد في ايطاليا يأخذ اشكالاً جماهيرية .

ان اللحظة مناسبة لتوظيف هذا التأييد وتعميقه ليحقق عدداً من الاهداف في مقدمتها محاصرة الصهيونية في مهدها .

* * *

الفكرة الخامسة تتعلق برد فعل العدو الصهيوني على الانتفاضة . فقد جاء رد الفعل هذا كما توقعناه معبراً عن فقدان الأعصاب ونفسية العنصرية الصهيونية المجرمة والخوف من صاحب الحق ، وتجلى في انتهاج سياسة القتل والارهاب واحكام « القبضة الحديدية » والضرب ، وكل اشكال العسف . وان لنا أن نقف بخاصة أمام تصريحات شامير ورابين وبيريز وشارون التي كشفت عن رد الفعل هذا . فشامير يجاهر بأن على الجيش الاسرائيلي أن يرعب الفلسطينيين حتى يسكنوا وتسكن حركتهم . ورابين يجاهر بأنه سيتابع اصدار الأوامر للجنود كي يقوموا بجرائمهم . وبيريز يتابع تصريحات زخرف القول . وشارون يهدد ويتوعد الفلسطينيين والعرب والعالم .

واضح أن هذا الاجرام الصهيوني سيستمر مستهدفاً شعبنا الأعزل الذي

صمم على متابعة المقاومة والمواجهة . والسؤال الملح علينا اليوم في الدائرة العربية بخاصة وفي الدائرة الدولية بعامة كيف نروع هذا المجرم الصهيوني لتكف يده عن المضي في اقتراف جرائمه ؟

* * *

الفكرة السادسة تتعلق برد فعل الولايات المتحدة الأمريكية على الانتفاضة . والحق أن التاريخ المعاصر لم يشهد في مثل بشاعة رد الفعل الأمريكي هذا . فالولايات المتحدة التي تعتبر قوة عظمى تستخدم حق النقض مرتين لتمنع صدور قرارين عن مجلس الأمن يندادان بالجرائم الصهيونية . والولايات المتحدة تشجع المجرم الصهيوني على المضي في اجرامه . وهي تستمر في انكارها لحقوق شعب عظيم وتجاهر غير خجلة بالحديث عن « تحسين اوضاع المعيشة » في الوقت الذى تتحدث فيه عن حقوق الانسان والحرية . وهي تسعى بكل السبل لتمنع شعبنا عن ممارسة حقه في النضال وتتحدث عن الارهاب والعنف ، وتحاول فرض الاستسلام على امة العرب وتفعل ذلك كله غير آبهة بشيء ، ثم تعمد حين يشتد الضغط عليها التحرك بهدف التحرك لتمييع الأمور .

واضح أن هذا العداء الأمريكي لشعب فلسطين العربي وللأمة العربية بلغ درجة لم يعرفها عداء الغرب لنا في العصر الحديث . والسؤال الملح علينا اليوم هو كيف نعمل لنفرض على الولايات المتحدة مراجعة موقفها ! .

* * *

الفكرة السابعة تتعلق بأولويات ماينبغي علينا عمله لنعطي انتفاضة شعبنا العظيمة حقها .

إن الأولوية هي لردع المحتل الصهيوني وكفّ يده . فلا يجوز بحال أن نترك الشعب الأعزل الذي يقاوم وحده . والحق ان هناك الكثير مما يمكن عمله على هذا الصعيد .

لابد أن تتكثف عمليات المقاومة في الجنوب اللبناني خلال هذه الفترة ، لتفرض على العدو أن ينقل بعض قواته الى هناك ، ولتخفف من ضغطه على شعبنا . ونحن مدعوون أن نعمل بكل السبل لتكثيف هذه العمليات .

لابد أن تشعر الدول العربية العدو أنها لن تبقى مكتوفة الأيدي وهي تراه يستهدف الشعب العربي الفلسطيني الأعزل بانتقامه . وان لبعض هذه الدول أن ترسل اشارات عملية للعدو على امكانية تحركها ، لتفرض عليه أن يوزع قواته .

لابد أن تكثف منظماتنا الفلسطينية من عملياتها داخل وطنها المحتلة ، وتنفذ عمليات نوعية ابداعية تفرض على العدو أن ينشغل بها عن حصار المخيمات .

لابد أن تعاقب بعض رموز الأجرام الصهيوني . وتلك مسؤولية احرار العالم الذين يعادون الفاشية والنازية والصهيونية . ولاشك في أن انزال العقاب بمجرمي الحرب الصهاينة سيساعد الانتفاضة على الصمود في وجه الأجرام الصهيوني .

إن الأولوية هي ايضاً للعمل على أن تراجع الولايات المتحدة موقفها . فلا يجوز بحال أن يسكت ويسكت العالم على هذا الموقف الأمريكي غير الأخلاقي وهذه السياسة الأمريكية العدوانية التي تسبب لنا وللعالم كل هذه المعاناة .

ما الذي يمكن عمله على هذا الصعيد ؟

هناك الكثير مما يمكن عمله وهو يستحق أن يفرد له مقال .

إنه الأسبوع التاسع للانتفاضة العظيمة ، فلنجعل أيامه مليئة بالعمل من أجلها .

محاولة لقراءة الانتفاضة

حوار مع احمد صدقي الدجاني
أجراه سعيد شحات في ١٩٨٨/١/٢١
بالقاهرة لجريدة صوت العرب

●وكالات الانباء تتحدث عن الطفل الفلسطيني الذى لايهرب خوفا من الجنود والدبابات فأى واقع شكل هذا الرجل الصغير ؟

ــ شعبنا في الوطن المحتل يقترب من ٢/١ ٢ مليون نسمة ، وهذا العدد ينتمى الى جيلى النماء والحداثة ، ونحن دوما في دراستنا لمستقبل أمتنا نذكر بهذه الحقيقة ، وبأن جيل الحداثة من الشباب له سماته التى من أبرزها تطلعه الى العطاء ، فشبابنا يعيش في المدن والقرى والنجوع والمخيمات ــ والتى اخصها بالذكر هنا ــ وهؤلاء يلتقون معا في المدارس والجامعات والتى قامت بأعظم دور فى عملية التنوير وفى التعبير عن نبض الشعب ، وهناك من يقول لماذا لايخرج الرجال والنساء من سن الرشد والكهولة وكنا نشير الى أن هؤلاء من يدفعوا بأبنائهم للخروج ، وتحول دون خروجهم ظروف خاصة في الأوضاع العادية ، ولكن من الواضح إصرار شعبنا على تربية أولاده من جيلى النماء والحداثة على المعانى الوطنية صحيح أن هناك جزءا من شبابنا اضطر للعمل في الوطن المحتل ضمن شريحة العمال ، لكنه قط لم يغفل عن قضيته ، وطبيعة الاصرار على مقاومة العدو بأسلوب النفس الطويل تجعل أنه لامفر من استخدام

أسلوب الكر والفر واتفاق التعامل مع العدو الى أن تصل الى قهره ، ولابد من الاشارة إلى أن الشباب والطلاب والعمال كانوا دوما على صلة بأهل الرأى في الداخل يبلورون معهم ولهم معاني المقاومة .. وانفجارات الأرض المحتلة تحدث دوما في المخيمات .

لأن طبيعة المخيم تساعد على ذلك وأيضا في الأحياء القديمة للمدن حيث الطبيعة الاجتماعية والمكانية تساعد ويتعذر على العدو الدخول إليها للكثافة السكانية العليا بها والتى تساعد على تلاحم الناس مع بعضهم البعض .. إذن الأحياء القديمة في المدن والمخيمات هي المؤهلة أكثر للانفجار ، وهذا لايعنى أن الامتداد لم يكن يحدث في الأحياء الجديدة ... والجدير بالذكر في الانتفاضة هذه المرة أن كلمة المقاومة أصبحت هي العليا في فرض الواقع الحياتى في التجمعات السكانية ، واذكر حديث ذلك التاجر من أبناء شعبنا الذى قال لى ببساطة ، « قبل هذه الانتفاضة كنا ندعى الى الاضراب ثم يأتي الجندى أو الضابط الصهيوني ويهددنا بالضرب أو بعقوبة السجن ، ان لم تفتح فتتنازل عن الاضراب ، لكن جديدا حدث هذه المرة ، هو أن قياداتى من الشباب كانوا يأتوننا بعد الفتح ويقولوا ، انتم أهلنا ان فتحتم سنضطر إلى تحطيم المحلات ، وقد نظرنا الى الأمور ووجدنا أنهم على صواب ، ولذا رأينا أن كلمتهم هي الصحيحة وهى العليا ، ولذا أصررنا على الاغلاق حتى لو تعرضنا لعقوبة أخرى ...

• كونك أحد القيادات الفلسطينية البارزة ، هل ترى أن هذه الانتفاضة جاءت مفاجأة ، وماهو المناخ الذي أحاط بتفجرها ؟

هذه الانتفاضة لم تكن مفاجأة ، وأذكر أنني بخاصة عكفت في صيف ٨٧ لأبلور حصيلة صيف ساخن مر على وطننا المحتل وأذكر انني قدمت هذه الحصيلة فى اجتماع المجلس المركزى الفلسطيني في أوائل اكتوبر ١٩٨٧ وتضمنت هذه الحصيلة مايلى :

●الصيف بدأ بإضراب شامل في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ وذلك يوم ٢٦ يونيو ويومها بلغ قلق العدو مداه حيث أعلن أهلنا البالغ عددهم ٣/٤ مليون نسمة والمفروض عليهم الهوية الاسرائيلية ، انتماءهم لشعبنا وانتماءهم لجذورهم ، كذلك أشرت إلى تلك العملية المتميزة ، حينما قام بعض الفدائيين بالتصدى لسيارة حافلة تنقل العديد من المجندين الصهيونيين الذين يأتون الى حائط المبكى للتبرك ، وقد رمزت هذه العملية للكثير ، وأذكر انني وقفت امام عملية انزال العقاب بالمجرم الصهيونى الأول فى قطاع غزة رئيس الشرطة العسكرية الذى امتهن كل القيم الانسانية ، فقاده عدد من الفدائيين فى وضح النهار وأردوه قتيلا ، يومها قال رابين « أنها عملية متميزة ، وحالة استثنائية خاصة » !!.... اذا المناخ كان مهيئا منذ الصيف ، والحق أنه برز بصورة أكثر في خريف العام الماضى وبخاصة خلال نوفمبر ، وأشير هنا الى أهلنا الذين عاشوا مع قضيتهم وتعبيرهم عن هذا العيش وقت انعقاد القمة العربية وإلى تفاعلهم مع أعظم عملية فدائية.من نوعها حدثت يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٨٧ ، تلك عملية « شهداء القبية » التى قادها النسر الطائر أبو ثائر متفردا بقتال قاعدة عسكرية بأكملها مليئة بالجنود الصهاينة .

غير أن هناك مناخا آخر هيأ الجو للانتفاضة قد بدأ منذ عدة سنوات وبالتحديد عام ١٩٨٣ ، ومناخ هذه المرحلة الذى اصطلح على تسميتها « مرحلة الصحوة العربية لمقاومة الغزوة الصهيونية » وملامح هذه المرحلة بدأت في جنوب لبنان ، مع فرض الانسحاب الصهيونى من صيدا وصور والنبطية ثم اسقاط اتفاق ١٧ أيار . هذه هى العوامل التى تفاعلت في صنع الانتفاضة (الظاهرة الصحوة) والتى استوقفنا فيها عامل استحضار الهوية ببعده العقيدى وبعد انتمائه القومى ، كذلك الخبرة التى تراكمت والعمق الذى تحقق في جنوب لبنان ، وأشير أيضا الى العدو الذى يمارس العنصرية بكل صورها ويرتكب أحط الجرائم ، وذلك أوصل الناس الى حالة عبرنا عنها بالمثل الذى يقول « ان الشاه المذبوحة لاتخشى السلخ » والحق أن شعبنا من خلال معاناة فريدة عاش

حالة من الصحوة عرف فيها نفسه ووثق بذاته وعرف فيها علوه بجوانب قوته وضعفه ووطن نفسه على منازلته واستشعر عمق جذوره فى وطنه .

●هذا عن المناخ ... ماذا عن كيفية حدوث الانتفاضة ؟

الانتفاضة حدثت بفعل توفر المناخ ، بعد أن قدحت الشرارة والشرارة هى تلك الحادثة التى وقعت في قطاع غزة ، حين أقدم المجرمون الصهاينة بقتل أربعة من أهل القطاع ، ثم قتل بارد لفتاة فى الرابعة عشرة من عمرها ، أمام ذلك كان لابد وأن يحدث الانفجار في المخيم ثم التحام الأطر الشابة وهى كثيرة بهذا الانفجار ، ثم التحام الداخل بالخارج والخارج بالداخل ، فآلية حدوث الانتفاضة اذا .. مناخ صالح وشارة تقدح ، وتفجر يحدث ، وترابط بين الداخل والخارج ثم مالبث أن عم ماحدث في قطاع غزة كل الأرض المحتلة .

●لنا أن نقف هنا عند التحرك الذى قام به فلسطينيو ٤٨ ، من حيث دلالته ؟

ــ كنت اقرأ اخبارا عن اجتماع الحكومة الاسرائيلية التى ناقشت فيه تحرك أهل فلسطين المحتلة ، ووقفت عما قدمه حاييم بارليف وزير الشرطة الاسرائيلي والمجرم الصهيوني ، حيث ذكر حدوث تحركات شعبية في ٢٩ موقعا وأشار بخاصة الى ماحدث في يافا وشفا عمرو ، وحين نحكى عن يافا ، أحكي عن بضعة آلاف بقوا من أهلها بعد أن جرت محاولة القضاء عليهم بكل السبل وها هم صامدون ، ولا أجد أدل من الحديث الصريح والواضح الذى تردد فى المظاهرة الكبيرة التى خرجت فى الناصرة ، حيث قال أحد أقطاب شعبنا « توفيق زياد » لقد آن الأوان أن يعرف الكل اننا جزء من شعب هو شعب فلسطين العربي ، يسموننا اسماء اخرى ، كل هذا غير صحيح ، يقولون عرب اسرائيل أو عرب المناطق أو العرب في كذا ، لكن نحن جزء من هذا الشعب نعرف انتماءنا ، صحيح فرض علينا أن نحمل جنسية اخرى لكننا نعرف هويتنا

ان أبعاد مشاركة أهلنا في فلسطين ٤٨ مع إخوانهم في الضفة والقطاع في وقت واحد ، وقد سبق لهم قيادة انتفاضة يوم الأرض العظيمة ، يعطي دلالة كبيرة وعظيمة مع دلالة مشاركة كل الأجيال والذكور والاناث والشجاعة التي اذهلت كل العالم ، لاناس يفتحون صدورهم لرصاصات عدو غاشم . والحق أننا كجزء من هذا الشعب وتاريخه لم نفاجأ بذلك ، ولكن ذاكرة الآخرين نسيت وتلتمس لهم الاعذار .

فمنذ نصف قرن في ثورة ١٩٣٦ وكل الأجيال تشارك ، كذلك امتداد العديد من الانتفاضات الى داخل فلسطين ٤٨ ، ويهمني أن أقرأ الصورة بالشكل التالي :

هذا شعب ممتد الجذور في التاريخ يعتز بانتمائه إلى أمة عظيمة هي الأمة العربية ، يعرف مدى مالأرضه في وطننا الكبير من قيمة كبرى ، وخبرة التاريخ علمته منازله كل الغزاة ثم يكتب له النصر في النهاية ، ولذا فإنه يعبر دوما عن هذه الشجاعة الفائقة والحق أن هذه الشجاعة أذهلت الكثير وبخاصة في قطاعات واسعة من الرأى العام العالمي ، فقد اتيح لها ولأول مرة عبر الصوت والصورة أن ترى مايحدث اذا أجملنا سمات الانتفاضة الحالية فسنحددها في ثلاث نقاط :

الأولى : شمولها وطننا المحتل بكامله ، الضفة الغربية وقطاع غزة وفلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ .

الثانية : شمولها لكل اجيال شعبنا ، الأطفال والشباب والذكور والاناث المسنين ، وتقارير العدو تكشف عن وجود هذه الأجيال جنبا إلى جنب .

الثالثة : تميزها بالاتصال والاستمرار حيث استمرت لفترة لم تعرفها أية انتفاضة منذ عام ١٩٦٧ .

●زلزلت الانتفاضة كثيرا من الثوابت التي حاول البعض إرساءها في الفترة الماضية في صراعنا مع العدو الصهيوني مما يجعلنا نتساءل عن الآثار التي ستحدثها هذه الانتفاضة ومن ثم الواجبات الملقاة علينا جميعا ؟

• نحن بحاجة الى أن نعمل الفعل لتحسم التوقع ، ومن ثم لننهض بواجبنا ازاء هذه الانتفاضة وتأتي توقعاتى كالتالى :

• التوقع الأول : أن العدو سيلجأ الى أقصى درجات التطرف في العنف وسوف يغرق في اقتراف الجرائم . وقد قلت هذا قبل حوالى ستة أسابيع وجاءت الأسابيع التالية حافلة بما توقعناه وبالشواهد .. فالمجرم شامير يعتقد بأن هذه الجرائم ستجعله يفرض ما يسمى بنظرية الأمن الاسرائيلى التى تقول بضرورة ارعاب وارهاب الشعب الفلسطيني حتى يضطر للسكوت ، وهذا رابين يجاهر بأنه يأمر بإطلاق الرصاص . وها هو مايحدث يوميا من سقوط شهيد تلو الشهيد .. والسؤال الذى يواجهنا في ذلك ، كيف نكف ونمنع ونعاقب العدو ؟ .

التوقع الثاني أن شعبنا سوف يواصل الانتفاضة على الرغم من كل ذلك موطنا نفسه على الصبر والسؤال كيف ندعم صموده ونمكنه من أن يطول صبره حتى يبلغ الهدف ؟

التوقع الثالث : ان الأمة العربية ستعبر عن حيويتها والتحامها بهذا الحادث والسؤال المطروح علينا كيف توظف هذه الحيوية لبلوغ أهدافنا .

التوقع الرابع : الرأى العام العالمى وبخاصة ولأول مرة في الغرب الأوروبى وأمريكا يتفهم اصل القضية ويعبر عن ذلك والسؤال كيف نوظف هذه الظاهرة في محاصرة الصهيونية في قلعتها القريبة ؟

• ماذا عن الواجبات إذن ؟

ماأكثر الواجبات الملقاة على عاتقنا هذه الأيام .

وأول الواجبات تعميم الشعار الذى أعلنته هذه الانتفاضة وهو شعار التحرير الذى يأتى بالاستقلال نعود اذن الى عام الاستقلال والتحرير الذى واجهته أمتنا حين واجهت بالاستعمار الغربى وأى حديث أخر حاول عدونا عبثا هو

والولايات المتحدة الأمريكية أن يعودنا عليه سيرا وراء السراب المطلوب ببساطة اعطاء شعار التحرير حقه وضرورة توطين انفسنا متابعة خوض معركتنا الأخيرة .

ثانى الواجبات اعمال فكرة ضرب نظرية الأمن الصهيونية فى مختلف جوانبها ابتداء بدول الجوار العربى وداخل الأرض المحتلة وفى جنوب لبنان وهناك أولويات ملحة لذلك هى :

الأولوية الأولى تكثيف العمليات في جنوب لبنان وذلك لضمان استمرار بؤرة التوتر ولضرب نظرية الأمن الاسرائيلي في الجنوب ولكى تفرض على العدو نقل بعض قواته الى هناك ومن ثم التخفيف عن الانتفاضة .

الأولوية الثانية تكثيف منظماتنا لعمليات نوعية تتجسم مع طبيعة الانتفاضة وتظهر للعالم ان هذا الشعب الاعزل قادر على الصمود وقادر على العقاب .

الأولوية الثالثة : انزال العقاب على مجرمى الصهاينة وهنا نستطيع الاستعانة بالرأى العام الدولى ونفتح ملف جريمة الحرب لنوضح ان جميع مواصفاتها تنطبق على الكيان الصهيونى وكذلك مواصفات مجرمى الحرب تنطبق على شامير ورابين وبيريز وشارون ولااستثنى بيريز لأنه رمز من رموز الحرب .

الأولوية الرابعة : ان تعبر الدول العربية عن عدم امكانية صمتها عما يجرى واتحدث عن الدول بما فيها من مؤسسات سياسية وعسكرية واقتصادية يجب أن يعلم العدو بأنه لا قِبَلَ لأحد في هذه الأمة أن يتحمل مايجرى ولابد ان يعرف أن هناك امكانية للحركة .

واضح ان هذه الواجبات تتجه لتحقيق أمرين هما :

الأول : كف يد العدو عن المزيد من الجرائم .

الثانى : اقناع الولايات المتحدة بالكف عن مواقفها فالموقف الذى اتخذته طيلة الانتفاضة سبة في تاريخ دولة عظمى فهى تنكر على شعبنا كل حقوقه وتجاهر في مجلس الأمن بنقد قرارات تدين الصهيونية غير ابهة بمشاعر الأمة

ولاحتى بمصالحها في هذا الوطن الكبير والحق أن السؤال الذى يتحدانا ما الذى ينبغي عمله لكى نفرض عليها اعادة النظر في موقفها ؟ وفي هذا أرى ضرورة فتح ملفها تجاه قضيتنا وعلى رجال السياسة والفكر بلورة مالدينا من أوراق وأدوات لاجبارها على ذلك وأنا عاكف الآن على هذا الأمر .

ومجمل القول ان هذه الانتفاضة قد أعطت الكثير لامتنا وأمتنا مدعوة لأن تعطيها الكثير لقد اشعرت كل انسان عربى من المحيط الى الخليج بمعنى الجهاد والكبرياء والكرامة وبامكانات المستقبل العظيمة ويقينا فان كل انسان عربى راغب فى العطاء لها .

● بصراحة ماموقع منظمة التحرير في هذه الانتفاضة العظيمة وما تأثير الانتفاضة على مسيرتها وعلى مسيرة المبادرات السلمية في المنطقة بشكل عام ؟

الترابط بين شعبنا والمنظمة ترابط قوى واحب أن اذكر هنا ان المنظمة هى الأمر الرمزى التي يقف عنده شعب فلسطين وكل فلسطيني هو عضو طبيعي فيها والحق أن أجهزة المنظمة ومؤسساتها حرصت على مدى السنوات الماضية على قوة التواصل مع أهلنا في الداخل ويطول الحديث لو ضربت أمثلة على ذلك والحق أن هناك قصورا ولايجوز لأحد القول أنه يغطى الحقيقة كلها ونحن الآن في مؤسسات المنظمة نعمل ليل نهار لمتابعة هذا التواصل مع الداخل وتوفير متطلبات شعبنا هناك وأيضا يوجد عكوف الآن على دراسة سبل مقاومة العدو ومن ثم تنفيذ العصيان المدنى والحق أن نجاح مثل هذه المقاومة يقتضى تحضيرا ليس بالقليل فحين تريد الاعلان عن مقاطعة البضائع الاسرائيلية ينبغى أن نكون قد وفرنا بديلا وخاصة أن هناك احتلالا وهو يعرقل هذا كثيرا والأمثلة في ذلك عديدة غير أن هذا لاينفى أن هناك دوما امكانات .

واذا كنا قد ذكرنا ضرورة توفير الدعم للانتفاضة ماديا ومعنويا وضرورة خلق قنوات اتصال بيننا وبينها فاننى اقول أن أولويات الدعم هذه ومسئولياتها

لاتقع على كاهل المنظمة وحدها بل على الحكومات والمؤسسات العربية وفي هذا يأتى ضرورة مواجهة العدو الصهيوني فى موقعه والولايات المتحدة كذلك .

ومن لم ينهض بذلك اعتقد انه سيأوى الى الفراش في الليل وشعور من الاثم متسلط عليه لأنه لم يعط الانتفاضة حقها .

أما عن مسار المنظمة والثورة الفلسطينية في المرحلة القادمة فأنا أراها مرحلة مواجهة والنضال السياسى لابد وأن يخدم ذلك وأن لايقع أبدا في السير وراء سراب مايسمى بتسويات سلمية لأنه من الواضح تماما ان عقد التسوية قد انتهى وان العدو مصمم على عدوانه والحق اننى اقبل كواحد من قيادات المنظمة النقد لبعض مسارها الذى حدث لكن في نفس الوقت اجد أن النقد منصرف على مرحلة عربية بعينها واحذر من الوقوع فى محظور التركيز على جزئية من الصورة دون الصورة كلها وقادما سوف يكون مسار الثورة الصحيح هو الاهتمام دوما بشعبها وأمتها .

يبقى اذن الحديث عن المبادرات السلمية التى لاأرى موقعا لها في المستقبل فضمن توقعاتى ان العدو سيلجأ الى التطرف اكثر اما الولايات المتحدة فستلجأ الى التمييع ولابد لنا ان نتابع بعض الوقت لنضغط عليها لتغيير موقفها الذى يبدأ بكلمة واحدة لو سمعناها فان جديدا سوف يحدث وهذه الكلمة هى الانسحاب الاسرائيلى الفورى وأى حديث آخر هو ضياع ودخول في متاهات لاتنتهى .

الانتفاضة والولايات المتحدة وأربع حقائق

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة دخلت شهرها الثالث وأسبوعها العاشر. والسؤال المطروح علينا بالحاح ضمن عدة اسئلة جوهرية هو :

كيف نعمل نحن العرب كي نفرض على الولايات المتحدة الأمريكية أن تعيد النظر في سياستها العدوانية التي تواجهنا بها ؟

السؤال مطروح بالحاح بعد سلسلة المواقف التي وقفتها الادارة الأمريكية من الانتفاضة سواء في مجلس الأمن أو في تحركها السياسي اليوم . وقد عبرت هذه المواقف عن « عداءٍ لشعب فلسطين العربي وللأمة العربية بلغ درجة لم يعرفها عداء الغرب لنا في العصر الحديث » ، وكشفت عن سلوك غير أخلاقي يجسد أزمة القيم التي تعاني منها السياسة الأمريكية .

السؤال مطروح بالحاح بعد أن باشرت الادارة الأمريكية تحركاً في منطقتنا ، بدأ بقيام فيليب حبيب مبعوث الرئيس الأمريكي بزيارة للأردن ، ثم بقيام ريتشارد مورفي مبعوث الخارجية بزيارة عدد من الأقطار العربية . وواضح أن هذا التحرك شأنه شأن كل تحرك أمريكي سبقه لايزال اسير أهداف السياسة اللأمريكية العدوانية التي تستهدف تمكين الكيان الصهيوني من الهيمنة على المنطقة والاستمرار في ممارسة سياساته العنصرية العدوانية التوسعية .

* * *

إن تقديم الاجابة عن هذا السؤال المطروح بالحاح ، يقتضي منا نحن

العرب التوافق على مجموعة حقائق

الحقيقة الأولى هي أن الولايات المتحدة الأمريكية تواجه شعب فلسطين العربي والأمة العربية جمعاء بالعداء ، على الرغم من مصالحها الكثيرة في الوطن العربي والعالم الاسلامي . والشواهد على هذه الحقيقة كثيرة كثيرة ، وهي تتالى يوماً بعد يوم . وقد استوقفني ما قاله بول ماكلوسكي النائب السابق في مجلس النواب الأمريكي على مدى خمسة عشر عاماً عن ولاية كاليفورنيا في محاضرة القاها في الندوة الدبلوماسية في ابوظبي العام الماضي ، وهو يتحدث عن سياسة بلاده تجاه منطقتنا التي تمتلك اكثر من ٤٠٪ من احتياطي النفط العالمي .

« إن الولايات المتحدة تعتمد على النفط المنتج هنا الى حد كبير في بناء قوتها العسكرية والاقتصادية . وسيستمر اعتمادها عليه خلال الخمسين عاماً القادمة . وليس سراً أن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية تبدو في احيان كثيرة مناقضة تماماً لمصالحها . وذلك لأنه بينما مصلحتها أن تصادق وتعاون دول الخليج والأقطار الاسلامية ، فإن سياستها الخارجية تكون احياناً مكرسة لاذلال العرب والمسلمين والاساءة لهم ، وهم الذين من المفترض فيهم ان يكونوا اصدقاءها . فلماذا تدعم الولايات المتحدة احتلال اسرائيل للضفة الغربية وغزة ؟ ولماذا تؤيد الغزو الاسرائيلي للبنان ؟ ولماذا تزيد بدلاً من ان تقطع العون الذي تقدمه لاسرائيل حين تقوم هذه بخرق قرارات الأمم المتحدة وانتهاك حقوق الانسان وتؤيد النظام العنصري في بريتوريا ؟ ولماذا تطلب الولايات المتحدة من جميع الدول وقف امدادات الأسلحة لايران ، وتقوم هي واسرائيل سراً بارسال الأسلحة اليها ؟ وباختصار لماذا تقوم الولايات المتحدة بارتكاب أعمال ضد مصلحتها في المنطقة ؟ »

واضح أن مايستوقفنا في حديث ماكلوسكي هذا هو مدى العداء الذي تواجهنا به الولايات المتحدة ، والذي تجسده سياستها الخارجية « التي تكون احياناً مكرسة لاذلال العرب والمسلمين والاساءة لهم » .

مطلوب اذن أن تتوافر القناعة عند كل عربي بهذه الحقيقة الأولى ، وأن يتحقق التوافق العربي عليها ، لنأخذها في الاعتبار ونحن نجيب عن السؤال المطروح بالحاح .

الحقيقة الثانية هي ان الولايات المتحدة الأمريكية وإن كانت قوة عظمى في عالمنا المعاصر ، الا أنها لاتستطيع أن تفرض بمنطق القوة الغاشمة على الأمم الحية والشعوب المجاهدة « باطلها » . وهي تعاني من ضغوط في داخلها ومن خارجها تجعل بالامكان مواجهة سياستها العدوانية ، واكراهها على مراجعة النفس .

-

لقد استوقفني ماقاله وليد الخالدي في محاضرته في الندوة الدبلوماسية ايضاً حول الصراع العربي الصهيوني وابعاده الدولية والعربية ، وهو يلخص رؤيته لامريكا بعد أن شرَّح (بتشديد الراء) سياستها .

« امريكا جبارة ، ولكنها ليست القوة الوحيدة في العالم . والفاخوري الأمريكي لاقدرة له على أن يجبل العالم بأسره في قوالبه . وللولايات المتحدة مصالحها الطويلة الأمد في بلادنا وبقاعنا . ومنطق السيادات السياسية منطق حدبدي يقول باستحاله تطابق مصالح بلدين كأمريكا واسرائيل تطابقاً سرمدياً . ولعلنا نرى بعض المؤشرات لذلك بُعيد فضيحتي الجاسوسية والأسلحة » .

إن الشواهد على هذه الحقيقة الثانية كثيرة كثيرة ، تعززها الدراسات المستقبلية التس تستشرف وتتشوف مستقبل الولايات المتحدة خلال العقود الثلاثة القادمة وتبلور رؤية حول هذا المستقبل . ولقد استحضرت في محاضرتي مستقبل الصراع العربي الصهيوني التي القيتها في الندوة الديبلوماسية ايضاً قبل أيام حصيلة هذه الدراسات وأوجزتُ ما أوردته في كتابي الأخير الذي يحمل العنوان نفسه .

« ستعمد الولايات المتحدة الى محاولة احكام قبضتها على النظام العالمي ، ولكنها ستواجه ضغوطاً من خارجها . كما ستغالي في الانفاق وتستنزف مواردها .. ومن المتوقع أن تقوى التفاعلات داخل المجتمع الأمريكي ، ويتزايد تطرف مايسمى باليمين الأمريكي ... ومن المتوقع أن تقوى تحديات السياسة الأمريكية في العالم معتمدة على « غطرسة القوة » ، وتشتد محاولات الولايات المتحدة اسكات المعارضين لسياستها وتتتالى حملاتها عليهم باسم مكافحة « الارهاب » الذي يشمل في المفهوم الأمريكي كل مقاومة لفرض الأمر الواقع الأمريكي . ومن المتوقع أن تواجه هذه التحديات في أماكن كثيرة من عالمنا ، وتتكاثف قوى كثيرة للوقوف في وجه مايعرف بارهاب الدولة الأمريكي الرسمي . وتتزايد بصورة خاصة المقاومة الفردية للسياسة الأمريكية على صعيد الشعوب ، بعد أن تتراجع صورة « الأمريكي الطيب » والرخاء الأمريكي وتحل محلها صورة « الأمريكي القبيح » و« التخريب الأمريكي » .

مطلوب أن تتوافر القناعة عند كل عربي بهذه الحقيقة الثانية ، وأن يتحقق التوافق العربي عليها . فبالامكان الوقوف في وجه « باطل » السياسة الأمريكية .

الحقيقة الثالثة هي أن الولايات المتحدة الأمريكية هي اليوم بفعل انتفاضة شعبنا العظيمة « مزنوءة » « مزنوقة » ومعها تابعها « الكيان الصهيوني » .

إن متخذي القرارات العرب مدعوون الى الوصول الى هذه الحقيقة من خلال اجابتهم عن سؤال حيوي « من المزنوء » « المزنوق » الآن أنحن أم الادارة الأمريكية وحكومة الكيان الصهيوني معها ؟ » والمزنوء في لسان العرب هو « المضيَّق عليه » . فالكلمة الشائعة على السنة العامة فصيحة . أما « المزنوق » فهو المربوط بالزناق الذي هو حلقة توضع تحت حنك الدابة ثم يجعل فيها خيط يشد برأسه يمنع بها جماحها . فهذه الكلمة الشائعة على السنة العامة فصيحة ايضاً .

الجواب الذي تطرحه انتفاضة شعبنا العظيمة هو يجسم « الادارة الامريكية ومعها تابعها هما المزنوءان المزنوقان وليس نحن . فلم يعد هنا شيء فظيع لم يستخدمه التحالف الاستراتيجي الأمريكي الصهيوني في مواجهة انتفاضة شعبنا . وهاهو الرأي العام العالمي يشير اليه بأصبع الاتهام ، وهو لايطيق صبراً على الجرائم التي يقترفها هذا التحالف بحق شعب أعزل إلا من الايمان والارادة والتمسك بالحق .

إن التوافق على هذه الحقيقة في أوساط متخذي القرارات العرب ضروري لاحسان التعامل مع التحرك الأمريكي الذي بدأ . فهذا التحرك جاء لأن الادارة الأمريكية « مزنوءة » « مزنوقة » . وهي بحاجة اليه ، بينما نحن لانحتاج بالمرة الى « تحرك » امريكي شبيه بالتحركات الأمريكية التي سبقته ، وجميعها كانت كما أوضحنا من خلال الدراسة « تحرك بهدف التحرك وليس بهدف الوصول الى انسحاب المحتل الاسرائيلي من الأراضي العربية التي يحتلها » .

مطلوب إذن أن يتصرف متخذو القرارات العرب وهم آخذون في الاعتبار الحقائق الجديدة التي صنعتها انتفاضة شعبنا العظيمة وأوجدتها على مسرح الصراع . فلا يلتفتون الى المقولات الأمريكية القديمة التي يرددها المبعوثون الأمريكيون في تحركاتهم وكأنها اسطوانه مشروخة ، ويطالبون الولايات المتحدة بأن تراجع موقفها وتطرح جديداً مفيداً ، ويتصرفون بثقة موقنين بأن التيار معهم ماداموا مع الانتفاضة .

الحقيقة الرابعة هي أن الولايات المتحدة على الرغم من أنها مزنوءة مزنوقة هي وتابعها الصهيوني ، الا أنها لاتزال أسيرة الفكرة الواحدة التي تسيطر عليها ، وهي قدرتها على فرض الأمر الواقع علينا ، ودفعنا الى « تسوية » تتم وفق الشروط الامريكية الاسرائيلية . وقد تضمنت التقارير الواردة عما قاله فيليب حبيب وما قاله ريتشارد مورفي في عدة عواصم عربية مايدل على هذه الحقيقة . فالأول حمل معه اقتراحاً لايتجاوز الحكم الذاتي ، والآخر بقي اسير

خطة ريجان . وهكذا فإن الحقائق التي اوجدتها الانتفاضة لم تصل بالولايات المتحدة بعد الى اعادة النظر في سياستها . ومازلنا بحاجة الى مزيد من الحقائق نوجدها حتى يتحقق لنا مانريد . وهذا يعني أننا في مرحلة مواجهة وأن الشرائط اللازم توافرها للوصول الى « تسوية عادلة » لم تتوافر بعد . ولابد لنا من ثم أن نخرج الولايات المتحدة باستخدام اوراقنا من « الوهم » الذي صنعته لنفسها وتعمل على اقناع الآخرين به .

لقد استوقفني تجسد « هذا الوهم » في حديث السفير الأمريكي للكيان الصهيوني بيكرنج مع جريدة دافار في عيد الميلاد الماضي . فقد قال « يجب اقناع جميع الأطراف المشاركة ، بأن الأمور تسير سيراً حسناً ، وأن اوضاعهم في تحسن مستمر ، مقارنة بما كانت عليه لدى بدء المفاوضات ورغم المشاكل التي يواجهونها ورغم أنهم لم يحققوا جميع تطلعاتهم ، وانهم في نهاية الأمر يتوصلون الى سلام دائم لاينفجر » .

ان الولايات المتحدة بحاجة الى مزيد من الحقائق نوجدها في ساحة الصراع لتستفيق على حقيقة أن سياستها الراهنة لن تثمر الا خراباً في المنطقة واضراراً بالغاً بمصالحها فيها . ومطلوب أن يتحقق التوافق بيننا نحن العرب على اننا في مرحلة مواجهة فرضتها علينا السياسة الأمريكية ، وأن علينا أن نحسن المواجهة .

* * *

ان توافقنا على هذه الحقائق الأربع ، وتمثلنا لها ، يمكننا من أن نجيب عن سؤال كيف نعمل ؟ فلننطلق من هذه الحقائق الأربع للاجابة عن السؤال المطروح علينا بالحاح كيف نعمل نحن العرب كي نفرض على الولايات المتحدة الأمريكية . ان تعيد النظر في سياستها العدوانية التي تواجهنا بها ؟ وهذه الاجابة لها حديث آخر .

الانتفاضة وعمل عربي على الصعيد الرسمي الامريكي

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة دخلت اسبوعها الحادي عشر . وقد شهد هذا الأسبوع انتفاض اهلنا في هضبة الجولان في الذكرى السادسة لاعلان العدو الصهيوني تطبيق القانون الاسرائيلي عليها ـ أي ضمها ـ مؤكدين رفضهم للاحتلال الصهيوني ، وتلاحمهم مع اخوانهم في مختلف انحاء فلسطيننا المحتلة . كما شهد هذا الأسبوع اشتداد التفاعلات الجارية داخل الكيان الصهيوني ومحاولة القادة الصهاينة أسكاتها ، وانكشاف مزيد من الجرائم الصهيونية التي فاقت في فظاعتها جرائم النازية ، واستمرار مقاومة شعبنا المتصاعدة في مواجهة الارهاب الصهيوني العنصري .

لايزال السؤال المطروح علينا بالحاح هو :

كيف نعمل نحن العرب كي نفرض على الولايات المتحدة الأمريكية أن تعيد النظر في سياستها العدوانية التي تواجهنا بها ؟

لنا أن ننطلق في الاجابة عن هذا السؤال من الحقائق الأربع المتعلقة بالولايات المتحدة الأمريكية التي أصبحت واضحة وضوح الشمس .

○ حقيقة أن الولايات المتحدة تواجه شعب فلسطين العربي والأمة العربية جميعا بالعداء ، على الرغم من مصالحها الكثيرة في الوطن العربي والعالم الاسلامي .

○ حقيقة أن الولايات المتحدة ، وان كانت قوة عظمى في عالمنا المعاصر ، الا أنها لاتستطيع أن تفرض بمنطق القوة الغاشمة « باطلها » على الأمم الحية والشعوب المجاهدة . وهي تعاني من ضغوط في داخلها ومن خارجها تجعل بالامكان مواجهة سياستها العدوانية ، واكراهها على مراجعة النفس .

○ حقيقة أن الولايات المتحدة هي اليوم بفعل انتفاضة شعبنا العظيمة « مزنوءة ، مزنوقة » ومعها تابعها الكيان الصهيوني . وليس هذا حالنا .

○ حقيقة أن الولايات المتحدة على الرغم من أنها « مزنوءة ، مزنوقة » الا أنها لاتزال اسيرة الاعتقاد بقدرتها على فرض الأمر الواقع علينا ، ودفعنا الى تسوية تتم وفق الشروط الأمريكية الاسرائيلية ، وهي من ثم تفرض علينا مواجهتها لتستفيق من هذا « الوهم » الذي صنعته لنفسها وتعمل على اقناع الآخرين به .

إن الانطلاق من هذه الحقائق الأربع يمكننا من تقديم الاجابة الصحيحة على السؤال المطروح ، « كيف نعمل » .

* * *

يتجه الذهن أول مايتجه الى عمل يجب أن نقوم به نحن العرب تجاه الولايات المتحدة على عدة مستويات .

هناك العمل على المستوى الرسمي الذي يتجه الى القيادة الأمريكية . وهذا العمل يجب أن يبدأ بمواجهتنا هذه القيادة برأينا في سياستها العدوانية ورفضنا لها . وقد يبدو أن هذا الأمر « تحصيل حاصل » كما يقول القول الشائع ، ولكن حقيقة الأمر أنه ليس متحققاً بعد في كثير من الاتصالات العربية التي تتم مع مسؤولين أمريكيين . وهذا ماحدا بالنائب الأمريكي السابق بول ماكلوسكي أن ينصح القيادات العربية والاسلامية في محاضرته التي القاها العام الماضي في أبوظبي « لاترددوا في أن تقولوا للقادة الأمريكيين ان سياساتهم خاطئة ، وحتى الرئيس ريجان نجده الآن يتمنى لو أن أحداً نصحه بعدم الثقة في

الاسرائيليين الذين اشاروا عليه بالاتصال بعناصر معينة في ايران » . وقد مهّد ماكلوسكي لنصحيته بحديث لبق ينتقد الاسلوب الغالب في التعامل مع الادارة الامريكية عند قيادات العرب والمسلمين ، حيث قال « بما أن من طبيعة هذه القيادات أن يكونوا مهذبين ومتواضعين فإن ذلك قد يخلق انطباعاً عكسياً عنهم لدى القيادات الأمريكية التي اعتادت على المناقشات والنقد الساخن . فهي قد تعتبر خطأ الأدب والتأدب على أنهما يعنيان الرضا والقبول » .

إن رفضنا للسياسة الامريكية العدوانية « الخاطئة » يجب أن يقرن القول بالعمل . فلابد من القيام بالتعبير عن هذا الرفض اذا لم ينفع القول . ويخطر على البال مَثَلٌ على هذا التعبير من وحي التحركات الأمريكية المتتالية . وقد طرحه سياسي عربي مخضرم متسائلاً « لماذا تفتح كل الأبواب العربية فوراً لأي مبعوث أمريكي على الرغم من أن مايحمله معروف ومرفوض ، وعلى الرغم من أن تحركه هو بهدف التحرك وامتصاص « الغضب الساطع » ؟؟؟ الا يمكن أن تعلم الادارة الأمريكية مسبقاً بأن مثل هذه الزيارات غير مرحب بها اذا هي لم تسفر عن نتيجة عملية ، وأنه لابد من ثم أن يُقدّم بين يدي أية زيارة موقف متقدم يحمل في طياته دليلاً على تراجع عن السياسة الأمريكية العدوانية الخاطئة » ويقول هذا السياسي العربي المخضرم شارحاً تساؤله « ليس منا من هو ضد الحوار . ولكن علينا بأن نحذر من « حوار الصم البكم » . ومانطلبه ليس بدعاً فهو شائع في تعامل الدول مع بعضها . وكم من زيارة اقترن القيام بها بنتائج خطط مقدماً كي تسفر عنها الزيارة».

الأمر نفسه يصدق على الزيارات التي يقوم بها مسؤولون عرب الى العاصمة الأمريكية. فلابد من أن يسبقها تحضير يوفر لها النجاح الذي يتجسد بنتائج عملية. وقد استمع السياسي العربي المخضرم الى سفير عربي ـــ كان في واشنطن اثناء زيارة اثنين من فلسطينيي الأراضي المحتلة لها ومقابلتهما شولتز وزير الخارجية الأمريكي ـــ وهو يقول «لم تسفر الزيارة عن شيء. وقد تردد أن شولتز لم يشأ أن تلتقط له معهما الصورة التذكارية المعتادة». وتساءل السياسي

العربي المخضرم «أما كان يمكن انتظار القيام بالزيارة حتى يتم التحضير لها والتأكد من نتائجها»؟! وتابع قائلاً «أنا أعرف أن هناك وجهة نظر ترى في أن حدوث مثل هذا اللقاء في حد ذاته اشارة الى أن الادارة الأمريكية تعترف ضمناً بفلسطيني الوطن المحتل، كما أنه يتيح الفرصة كي يؤكد الفلسطينيون أن منظمة التحرير هي ممثلهم الشرعي والوحيد، ولكن ألم نتجاوز ذلك منذ مدة!! ونحن نذكر أن وزير الخارجية الأمريكي التقى باثنين من رؤساء البلدية الفلسطينيين المبعدين، ونذكر أن عدداً من الشخصيات الفلسطينية في الداخل قاطعت لقاءات شولتز في زيارته الأخيرة للكيان الصهيوني قبل ثلاثة شهور لأنها وجدت في تصريحاته حديث «الأسطوانة المشروخة» المكرر، واكتفت بتقديم مذكرة اوضحت فيها موقف شعبنا في الداخل والخارج.

لابد ايضاً عند التوجه للعمل على المستوى الرسمي الأمريكي أن تعلن القيادات العربية أنه لاشأن لها بأمور الولايات المتحدة الداخلية ، فهي تتعامل مع حكومة تمثل « محصلة القوى » . وهي من ثم لاتقبل مقولة « انتظار » إجراء الانتخابات الامريكية كذريعة لتقاعس الادارة الأمريكية عن القيام بالتزاماتها ، أو مقولة « أن الادارة تكون في سنتها الأولى مشغولة في التعرف على الأوضاع الجديدة وتصبح منذ سنتها الثالثة غير قادرة على اتخاذ القرار ، أما في سنتها الثانية فهي تمضيها في مقارعة مراكز القوى الامريكية الأخرى » . وواضح أن الكثير من القيادات العربية وقع أسير هاتين المقولتين اللتين استخدمتهما السياسة الأمريكية واحداً وعشرين عاماً متصلة لتثبيت الاحتلال الصهيوني للأراضي الفلسطينية والعربية كأمر واقع منذ عام ١٩٦٧ . وقد عانت امتنا الكثير من أسر هاتين المقولتين حتى تأكدت بتراكم الخبرة من زيفهما . فالدول تواجه بعضها وكل منها يتحمل مسؤولياته ، وهي متوافقة على أن الشؤون الداخلية في كل دولة من صميم اختصاص تلك الدولة ، ولايمكن للحياة أن تتوقف في انتظار « جودو » الذي لن يأتي . فالولايات المتحدة نفسها لاتنتظر أحداً حين يمس الأمر جوهر مصالحها ، فكيف اذا كان

الأمر بالنسبة لنا مسألة مصيرية !

لقد آن الأوان عند التوجه العربي للعمل على المستوى الرسمي الأمريكي أن يُرَدّ على كل موقف امريكي بموقف عربي يماثله حجماً أو يزيد عليه ، ولا يجيء بالرطل الا الرطلان « كما يقول المثل الشائع » ، « ولايفل الحديد الا الحديد » كما يقول مثلنا العربي . وهذا يقتضي من كل دولة عربية أن تحصر الأوراق التى بأيديها لتستخدمها في الوقت المناسب بغض النظر عن حجم الدولة وكبر الأوراق أو صغرها . ومعلوم أنه ما من دولة عربية الا وبيدها أوراق تتراوح بين « اضعف الايمان وأقوى الايمان » ومعلوم أيضاً أن كثيراً من الساسة الأمريكيين المتفهمين للمواقف العربية وقضية فلسطين يطالبون باستخدام هذه الأوراق بالحاح . وقد عبرّ عن ذلك ماكلوسكي بقوله للقيادات العربية « اذا كنتم تعتقدون انه لايمكن توسيع العلاقات التجارية مع واشنطن حتى تطلب الأخيرة من اسرائيل الالتزام بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ — كما نُطالب نحن الامريكيين الفلسطينيين بذلك — فلا تترددوا أن تخبروا رجال الأعمال الأمريكيين بانكم تريدون منهم أن يضغطوا في ذلك الاتجاه » . ولنا أن نتصور مدى وفرة الأوراق التي بأيدينا حين نستذكر ميزان التبادل التجارى بين الولايات المتحدة الأمريكية وعدد من الدول العربية .

واضح أن التوجه العربي للعمل على المستوى الرسمي الأمريكي بهدف أن تعيد الولايات المتحدة النظر في سياستها العدوانية تجاه شعب فلسطين والأمة العربية ، يقتضي فضلاً عن الانطلاق من الحقائق الأربع المتعلقة بواشنطن ، توافر الارادة والقدرة معاً . وواقع الأمر في السياسات العربية أنه اذا توافرت الارادة عند البعض فإنها تشلّ بفعل اعتقاد عدم توافر القدرة نتيجة قيود المعونات الأمريكية التي كبلت بها بعض الدول العربية . ويذكر السياسي العربي المخضرم كم من مرة جرى التعبير عن الشعور بالعجز على السنة مسؤولين عرب وهم يشيرون إلى أن اتخاذ المواقف المعبرة عن الارادة ستوقف شحنات القمح الأمريكية أو شحنات السلاح الأمريكية التي ترسل شهرياً . وهذا

الشعور بالعجز يطرح مسألة بالغة الأهمية والحيوية هي « مسألة هامش التحرك » الموجود على مستوى القيادات .

يقول السياسي العربي المخضرم في شرح هذه المسألة « لاتوجد قيادة سياسية الا ولديها « هامش تحرك » تستطيع أن تتحرك ضمنه بحرية ، فتتقدم وتتأخر و« تناور » لتحقق أهدافها وتصل الى غاياتها . والقيادة السياسية القديرة هي التي تعرف هامش تحركها بدقة تماماً كما تعرف « الخطوط الحمر » التي تحدد تحركها ، وهي التي تتقن رسم حركتها بحيث توسع من ساحتها . أما القيادة العظيمة فهي التي تستطيع من خلال توظيف تحركها المدروس في « هامش التحرك » اختراق الخطوط الحمر أو بعضها لتوجد واقعاً جديداً . وتبقى القيادة السياسية الضعيفة أسيرة ضعفها غافلة عن هامش التحرك أو خائفة من ولوج ساحته ، مؤثرةً القعود والسكون ضمن دائرة ضيقة داخل المساحة التي تحددها الخطوط الحمر ، تحسباً من أخطار تهولها بخيالها . وهي تبرر لنفسها هذا القعود والسكون باجراء حسابات خاطئة تفقدها قدرتها في مواجهة قدرة الغير وتشل ارادتها أمام إراداتهم . ومسكينة الشعوب التي تُرزأ بهذا النوع من القيادات الضعيفة العاجزة التي « تميت على الشعوب دينها » .

لقد حفل تاريخنا العربي الحديث بأمثلة على أنواع القيادات الثلاثة ، وسجلّ انتصارات كثيرة للعظيمة منها والقديرة . كما سجل هزائم مرة للضعيفة العاجزة .

واضح اننا مدعوون اليوم كعرب الى توظيف « هامش التحرك » كأحسن مايكون التوظيف . وهذا يقتضي تنبيه القيادات السياسية من النوع الثالث الى ضرورة أن تعرف هامش تحركها بداية ، وتدرسه بعمق ، ثم تباشر حركتها . وقد عبرّ السياسي العربي المخضرم عن أساه وتحسره حين لمس في مواقف بعض هذه القيادات من انتفاضة شعبنا العظيمة مايكشف عن غفلة عن هامش التحرك أو خوفها من ولوجه . ولكنه توقع أن تفعل الانتفاضة فعلها في

تنبيه هذه القيادات وتشجيعها وصدق توقعه .

إن من أعظم ماحققته انتفاضة شعبنا العظيمة هو اعادة الثقة الى قيادات سياسية كانت فاقدة الثقة بشعوبها وقبل ذلك بأنفسها ، وهذا يخبر في حد ذاته عن ميلاد جديد . وهو يمكن من احسان التعامل مع الولايات المتحدة الأمريكية بخاصة ، ويمهد الطريق أمام التوجه العربي لعمل فعال يستهدف الصعيد الرسمي الأمريكي ليفرض على الولايات المتحدة أن تعيد النظر في سياساتها العدوانية التي تواجهها نحن العرب -با . فلنباشر إذن بعون الله هذا العمل الفعال . ويبقى أن نستكشف مجالات العمل على صعد امريكية أخرى ومنها صعيد الكونجرس الأمريكي ، وتلك لها حديث آخر . ومباركة هي انتفاضة شعبنا العظيمة . ومبارك باذن الله حصادها :

الانتفاضة ومواجهة العداء الأمريكي

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة دخلت أسبوعها الثاني عشر ، محققة الكثير على مختلف الصعد . ويشهد هذا الأسبوع تحركاً امريكياً رسمياً يقوده جورج شولتز في المنطقة . وقد مهدّ الرئيس ريجان لهذا التحرك بتصريحات أدلى بها في أول مؤتمر صحفي يعقده منذ أربعة شهور . وجاءت هذه التصريحات تعبيراً عن الحقائق الأربع المتعلقة بموقف الولايات المتحدة من الانتفاضة ، وهي حقيقة أن الولايات المتحدة تواجهنا بالعداء على الرغم من مصالحها في وطننا ، وحقيقة أنها وهي قوة عظمى تعاني من ضغوط في داخلها ومن خارجها ، وحقيقة أنها اليوم بفعل الانتفاضة « مزنوءة مزنوقة » ومعها تابعها الصهيوني ، وحقيقة أنها على الرغم من ذلك لاتزال تحاول فرض الاستسلام علينا . ويلفت النظر أن الرئيس ريجان الذي دعا في بداية تصريحاته اطراف الصراع « الى تغيير عاداتها القديمة ، وتغيير مواقفها الجامدة » بقي هو على الموقف الأمريكي الجامد حين مضى في تصريحاته وقال « إن العنف يأتي من الجانبين » ، وحاول تشويه الانتفاضة بالحديث عن « عناصر خارجية ارهابية كانت وراءها » ، وكرر التأكيد على « احتياجات اسرائيل الأمنية » قبل « احتياجات الفلسطينيين » على حد قوله منكراً أن هؤلاء الفلسطينيين شعب له حقوقه ، فذكرنا بالمثل الشائع « رجعت حليمه لعادتها القديمة » .

لايزال السؤال المطروح علينا بالحاح هو :

كيف نعمل نحن العرب كي نفرض على الولايات المتحدة الأمريكية أن تعيد النظر في سياستها العدوانية التي تواجهنا بها ؟

لقد عملت الانتفاضة الكثير . ونحن مدعوون إلى أن نتابع . وكم هو مفيد بين يدي متابعتنا أن نتعرف على مافعلته الانتفاضة في الساحة الأمريكية . ولقد استوقفني ماقاله بيلين المدير السياسي للخارجية الأسرائيلية بعد عودته من زيارة لامريكا قبل شهر « ممالاشك فيه ، ان مايجرى هنا (يقصد الانتفاضة) له تأثيره على الموقف الأمريكي . فقد أعاد أصحاب القرار هناك مسألة الشرق الأوسط الى جدول أعمالهم السياسي » . ونزيد بقولنا « وفرضت على شولتز أن يتحرك » . وأوضح بيلين أنه وجد في الولايات المتحدة « جواً صعباً » ، وهو على حد قوله « أصعب جو معادٍ لاسرائيل في الولايات المتحدة منذ الحرب اللبنانية ، فوسائل الاعلام هناك تشنّ حملات شعواء ضدنا ، بسبب مايجرى في المناطق المحتلة . كما أن التقارير حول مايجري هنا تتوالى هناك بشكل عاجل ومكثف . وقد خلقت رأياً عاماً مضاداً لاسرائيل هذه الأيام » . واستوقفني الانتقاد الشديد اللهجة الذي وجهته « الرابطة المناهضة للتشهير التابعة لمنظمة بني بريث الصهيونية » — وهي من هي في صهيونيتها — الى شبكة التلفزة آ . بي — سي لأنها قارنت في برنامج بثته عن الأراضي العربية المحتلة « اسرائيل بجنوب افريقيا » متسائلة كيف يمكن تبرير مثل هذه المقارنة !!؟؟ وقد تكررت هذه المقارنة في تحذير عدد من الشخصيات الأمريكية منهم يهود امريكيون ، « اسرائيل » من تآكل الدعم الشعبي الأمريكي لها ، وحثوها بقوة على أن توقف فوراً سياسة الضرب القمعية العنصرية . والأسئلة كثيرة على مافعلته الانتفاضة في الساحة الأمريكية .

نحن مدعوون الى أن نتابع العمل على مختلف الصعد الأمريكية والمستويات . وأمامنا أثناء زيارة شولتز للمنطقة فرصة تطبيق الأفكار التي تبلورت حول كيفية العمل العربي مع الادارة الأمريكية على ضوء حقائق الموقف الأمريكي . ولنضع نصب أعيننا أن يدرك شولتز أن طريقه مسدود مالم

يعترف بحقوق شعب فلسطين ، ومالم يسلم بداية بضرورة الانسحاب الاسرائيلي من كل الأراضي العربية المحتلة ، ومالم يعلن التزامه بالشرعية الدولية ممثلة في كل قرارات الأمم المتحدة .

ماذا عن العمل على صعد أمريكية أخرى ومنها صعيد الكونجرس الأمريكي ؟

لقد طرح الواقع الجديد الذي أوجدته الانتفاضة هذا السؤال . وآن لنا أن نبدأ بتحديد هذه الصعد ، فنشير الى صعيد الأمريكيين الذين يعملون في وطننا الكبير ، والى صعيد الأمريكيين الذين يزورون وطننا كممثلين لمؤسسات أهلية أمريكية ، والى العرب الامريكيين والمسلمين الامريكيين الذين يقيمون في الولايات المتحدة بعد أن أصبحوا مواطنين فيها ، والى مختلف الجماعات الامريكية ، واخيراً الى الكونجرس الأمريكي .

إن في وطننا الكثير من الأمريكيين الذين يقيمون فيه بهدف العمل . وهل هؤلاء مؤهلون للتعرف على حقيقة قضية فلسطين وحقيقة الصراع العربي الصهيوني ، ولاتخاذ مواقف تؤيد حقوقنا وتطالب بالعدل . أما القلة الباقية فهم أسرى الموقف الأمريكي الرسمي العدائي . وواضح أن المجال مفتوح أمام العمل العربي في هذه الدائرة شرحاً للحقائق ودعوة لاتخاذ مواقف وتعبئة لطاقاتهم في طرح الحقائق على قومهم . واذكر ان استاذاً جامعياً من هؤلاء قصدني بعد الانتفاضة عن غير سابق معرفة ، وعن طريق أحد اصدقائه العرب ، وتحدث طويلاً عن الانتفاضة التي توقع حدوثها في مقال كتبه قبل شهور حين زار الضفة والقطاع ، فسألته ماهو دوركم كأمريكيين تقيمون في وطننا وتعرفون الحقائق في دعم هذه الانتفاضة ؟ ورجوته ان يفكر في السؤال ولايسارع في الاجابة . واذكر أني سألت عدداً من مثقفينا العرب الذين درسوا في الولايات المتحدة عن تصورهم لدور هؤلاء . وواضح أن الاجابة متيسرة ، والمطلوب هو أن يكون هناك عمل عربي شعبي على هذا الصعيد ، يصل بهؤلاء

الامريكيين الى التحرك لمواجهة خطايا سياسة حكومتهم التي لابد أن تؤثر على مصالحهم ان عاجلاً أو آجلاً .

ما أكثر الزيارات التي يقوم بها امريكيون يمثلون مؤسسات اهلية الى وطننا العربي . ولبعض هذه المؤسسات مكاتب في بلادنا . وهي تبدي اهتماماً خاصاً بالصراع العربي الصهيوني . ويصدر بعضها تقارير عنه . وواضح أن هناك مجالاً للعمل في هذه الدائرة ايضاً شرحاً للحقائق ودعوة لاتخاذ مواقف وتعبئة للطاقات في طرح الحقائق على الأمريكيين . واذكر أن ممثل واحدة من هذه المؤسسات زارني مؤخراً ليوجه بعض الأسئلة عن الانتفاضة ، فقلت له بعد أن استمعت لاسئلته « دعني أسألك أنا بداية عن الموقف الذي اتخذته مؤسستكم ازاء مايجري في وطننا فلسطين ؟ » وكنت واضحاً في حديثي حول تحملهم مسؤولية اتخاذ موقف يندد بالارهاب الصهيوني ويطالب الادارة الأمريكية بالاعتراف بحقوق شعب فلسطين الوطنية ، ويدعو الى الانسحاب الاسرائيلي الفوري من الأراضي المحتلة . وحين اطلعني على مضمون ماطالبت به مؤسستهم الأهلية الخارجية الأمريكية حرصت على أن أصارحه بأن هذه المطالب هي دون الموقف الواجب اتخاذه . وقد بدا جلياً أن الحوار الذي دار أشعره بأننا ننتظر منهم النهوض بمسؤوليات من عرف الحقائق . فأول هذه المسؤوليات الضغط على حكومتهم ومقاومة الصهيونية المتغلغلة فيها .

معلوم أن العقد الماضي من السنين شهد ارتفاعاً في اعداد العرب والمسلمين الذين أصبحوا مواطنين امريكيين بعد أن حصلوا على الجنسية الأمريكية . وقد شهد ايضاً تقدماً في أحوال هؤلاء ، وفي تعاملهم مع المجتمع الذي يعيشون فيه ، وفي محاولاتهم لتنظيم انفسهم . وواضح أن لاخوتنا هؤلاء حقاً علينا أن نتواصل معهم ونقوي الروابط التي تربطهم بأصولهم ، كما أن المجال واسع امامهم للعمل في الساحة الأمريكية من أجل كسب التأييد لقضية فلسطين ومقاومة الصهيونية والضغط على مراكز القوى الأمريكية لتغيير سياسة العداء تجاه شعب فلسطين والأمة العربية . واذكر انني لمست ذلك عن كثب

حين تواصلت مع بعضهم اثناء ترددي على الأمم المتحدة ضمن وفد فلسطين لعدة سنوات . كما اذكر أن أخاً منهم زارني مؤخراً ، وتحدث باسهاب عما يمكن عمله على هذا الصعيد . وكان حديثه غنياً بحكم ممارسته العمل العام فترة طويلة في الوطن أولاً قبل أن يستقر هناك ويصبح « مواطناً امريكياً » . وقد أرسل لي منذ أيام افكاره التي طرحها على تجمع عربي في الغرب الأمريكي بمناسبة « الانتفاضة العظيمة وفي ذكرى الانطلاقة » . وهي تتضمن اعتماد استراتيجية تعمل على « اضعاف القوة الصهيونية » و« توجيه القوى الفلسطينية والعربية في الولايات المتحدة وجهة واحدة » . وتتضمن تحديد دور هذه القوى في الساحة الأمريكية سواء على صعيد دعم نضال شعبنا في الوطن المحتل أو على صعيد تحسين أوضاع الجاليات العربية أو على صعيد مواجهة الحركة الصهيونية . ولفت انتباهي أنه حدد دوائر انتماء ثلاث ينطلق منها اخوتنا هناك هي انتماؤهم الفلسطيني ، وانتماؤهم العربي ، واكتسابهم « صفة المواطنة لدولة كبرى حولتها الصهيونية الى معقل لها » . كما لفت انتباهي ايضاً البرنامج المقترح لتنفيذ ذلك كله . وواضح أن العمل على هذا الصعيد مطلوب ، وهو عمل طويل المدى ، ومن مجالاته التحرك على الصعيدين الشعبي والرسمي هناك للتعريف بقضيتنا وكسب التأييد لها ومواجهة التحرك الصهيوني . أما العمل على صعيد الكونجرس الأمريكي فيحتاج حديثاً آخر .

أعود الى زيارة شولتز للمنطقة ، لألاحظ أن شعبنا العظيم الذي يقوم بهذه الانتفاضة العظيمة ، قدّم النموذج لكيفية التعامل مع العداء الأمريكي له ولأمته العربية ، وواجه هذا العداء كما ينبغي أن يواجه بالاضراب والتظاهر والمقاطعة . وقد صدق حسّه ، وحسّه دائماً صادق ، لأن البيان الذي ألقاه شولتز امام الصحفيين في الفندق الذي لم يحضر إليه من دعاهم من « الفلسطينيين » ، جاء تعبيراً عن اصرار الادارة الامريكية على عدم الاعتراف بحقوق شعب فلسطين ، ومحاولتها الالتفاف على هذه الحقوق باستعمال اللغة اياها التي تستخدمها منذ عام ١٩٦٧ تمكن الاحتلال الاسرائيلي للأراضي الفلسطينية والعربية من الاستمرار .

واضح ايضاً أن عدونا الصهيوني سادر في غية ، يتابع اقتراف جرائمه يومياً ، بعد أن هزت الانتفاضة العظيمة كيانه . وقد فاق في فظائعه النازية . ولا يزال شامير متشبثاً في موقفه ، يحاول عبثاً مع رابين وبيريز إنهاء الانتفاضة ، ويرفض الاعتراف بأي حق لنا .

لنركز اهتمامنا اذن على أن تستمر الانتفاضة العظيمة وتتصاعد . وهاهو شعبنا المعطاء البطل يواصل عطاءه ، ويقدم الشهداء في سبيل الله كي يتحرر الوطن . ويبقى أن تنهض أمتنا بمسؤولياتها كاملة تجاه استمرار الانتفاضة وبلوغها هدف التحرير .

لابديل عن تحرير الأرض والعودة اليها وممارسة شعبنا لجميع حقوقه . ولنثق أن بامكاننا ان نحقق ذلك كله . ولاوقت نضيعه في أحاديث « تحريك عملية السلام » و« طرح أفكار جديدة » و« إعادة قوة الدفع » و « التفاوض المباشر بدون شروط » و« التوقف عن العنف » ، وما الى ذلك من مصطلحات امريكية ، لأن الطريق الوحيد الى السلام هو التحرير والعودة . ولابد أن يفرض نضالنا على واشنطن التسليم بالتحرير ، والاعتراف بكل حقوقنا كشعب ، وليس كمجرد أناس لاهوية لهم ، كما تحاول الولايات المتحدة أن توحي حين تتحدث عن « فلسطينيين » .

إن أمتنا اليوم في « صحوة عربية تواجه الغزوة الصهيونية » . وقد بدأت هذه الصحوة بعد الغزو الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ ، وهيأت بداية الصحوة المناخ الصالح للانتفاض . وهاهي انتفاضة شعبنا العظيمة تكمل البداية وتستكمل الصحوة . وما اكثر الواجبات التي يجب أن نقوم بها تعبيراً عن هذه الصحوة . فلنعمل اذن لنفرض على الولايات المتحدة ـــ المارد الذي يواجه الضغوط في داخله ومن خارجه ـــ أن تعترف بحقوقنا بداية . ولنعمل اذن لنفرض على الصهاينة العنصريين الانسحاب من أراضينا . ولنثق باننا منتصرون بإذن الله .

ديلوماسية عربية تستلهم روح الانتفاضة

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة دخلت اسبوعها الثالث عشر ، وهي تغذّ السير في طريق تحرير الوطن ، وتتابع بناء صرح مستقبل الأمة . وقد بات واضحاً اليوم للقاضي والداني أن هذه الحلقة من سلسلة حلقات جهاد شعبنا تتميز بثلاث مزايا

الأولى شمولها وطننا المحتل بكامله .. فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ والضفة والقطاع والجولان ، مدناً وقرىً ونجوعاً .

الثانية مشاركة جميع الأجيال فيها أطفالاً وشباباً وكهولاً وشيوخاً .. ذكوراً وإناثاً .

الثالثة استمرارها واتصالها أياماً وأسابيع وشهوراً . وهذه المزايا تجعلها بين حلقات جهاد شعبنا منذ عام ١٩٦٧ الأكثر صلابة وتوهجاً .

لقد سجل الأسبوع المنصرم غرق عدونا الصهيوني في جرائمه التي فاقت في فظاعتها الجرائم النازية ، وجرائم النظام العنصري في جنوب افريقيا . ويكفي أن نشير الى قتل الأطفال العزل بالرصاص في صدورهم وفي ظهورهم ، ودفن الفتيان احياءً ، وكسر العظام صبراً . وسجّل في الوقت نفسه أروع صور المقاومة الشعبية التي يقاوم بها شعبنا البطل هذا العدو الصهيوني العنصري . ولنا أن نشير الى ماحفلت به الأخبار المصورة من هذه الصور كما سجلّ زيارة

جورج شولتز للمنطقة وقيامه بعرض افكار امريكية تستهدف « تهدئة الأوضاع » و« تحريك عملية السلام » و« إبرام تسوية امريكية » وما الى ذلك من « اصطلاحات » ما انزل الله بها من سلطان ، وتعملَ للالتفاف على الانتفاضة في حقيقة الأمر ، مادامت لاتتحدث عن الانسحاب الاسرائيلي ، ولاتسلم بحقوق شعب فلسطين وبتحرير جميع الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة .

تتالت تصريحات شولتز أثناء زيارته . وقد لفت النظر فيها أنه لايزال يضع الشروط علينا نحن العرب ، باللغة الامريكية القديمة اياها متصوراً أننا « المزنوءون المزنوقون » وليس بلاده وتابعها الصهيوني . كما لفت النظر في التصريحات وفي التحرك بعامة أنه لايزال أسير أفكار ماقبل الانتفاضة التي جمد عليها العقل الأمريكي .

تداعي الى خاطري وأنا استمع الى تصريحات شولتز ماقاله موريس درايبر القنصل الأمريكي العام لدى الكيان الصهيوني في محاضرة له بالجامعة العبرية في منتصف شهر يناير — كانون ثان الماضي ، ونشرته علهمشمار يوم ١٩٨٨/١/١٥ .

« إن مايحدث الآن خطر ومهم . يجب الا نسمح لأنفسنا بالوقوف مكتوفي الأيدي ، بل يجب أن نقوم بدور ذي مسؤولية اكثر ، ويجب أن يكون هذا الدور كبيراً ونشيطاً . إن على الفلسطينيين أن يوافقوا على حل سياسي وواقعي . وقد حاولتُ اثناء فترة عملي هنا أن اوصل لهم رسالتين . الأولى انه لايكفي التفاوض مع معسكر السلام والمحاربين من اجل حقوق الانسان في اسرائيل ، بل يجب عليهم التفاوض مع حزب ليكود والطرف الآخر . والأخرى أنهم مجبرون على قبول مايقترح عليهم مثل الحكم الذاتي لأن الفرصة لايجاد تسوية نهائية غير متوافرة أبداً » .

هل حقاً نحن مجبرون على قبول « صك العبودية » الذي تسميه واشنطن

الحكم الذاتي ؟ وهل يقبل أحد منا أن « يتفاوض » على هذا الأساس سواء مع تجمع العمل أو مع تكتل ليكود ؟

إن انتفاضة شعبنا العظيمة التي هي تتويج لنضال عقد من السنين في مواجهة اتفاقيات كامب دافيد تؤكد أننا أحرار ندق باب الحرية ، وأن كل بغي الكيان الصهيوني ومعه بغي الولايات المتحدة وجبروتها لايجبرنا على الاستسلام . وقد آن الأوان أن تستوعب واشنطن حقيقة مايجرى ورسالة الانتفاضة اليها ، ومضمونها أنها هي « المجبرة » على تغيير الأفكار التي جمد عليها عقلها ، وأنها هي التي ستسعى في النهاية الى مخاطبة شعبنا كشعب من خلال ممثله الشرعي والوحيد الذي ارتضاه وارتضته معه جميع الدول العربية .

تداعى الى خاطري ايضاً مادأبت الادارة الأمريكية على ترديده بعد اعلانها « مبادرة ريغان » عام ١٩٨٢ ، وهي تخاطب العرب « خذوها كاملةً أو اتركوها » في محاولة للضغط عليهم . وتتالت الأيام والأشهر والسنون وفشلت الادارة الأمريكية في اجبارنا على القبول بالحكم الذاتي . وهاهي انتفاضة شعبنا العظيمة تدعو الولايات المتحدة الى أن « تحرر » عقلها ، وتفرض عليها أن تواجه حقائق الواقع في المنطقة .

* * *

هل ستواجه الولايات المتحدة هذه الحقائق ، وتصل من خلال هذه المواجهة الى تحرير عقلها من الأفكار الجامدة ، وبلورة افكار جديدة تسلم بحقوق شعب فلسطين وبضرورة الانسحاب الصهيوني العاجل من الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة ، والتعبير عن هذه الأفكار باللغة الصحيحة التي تتحدث عن التحرير والاستقلال ؟

إن استمرار انتفاضة شعبنا العظيمة وتصاعدها سيفرض على الولايات المتحدة هذه المواجهة لحقائق الواقع في المنطقة ، في نهاية الأمر . وسيعجل في ذلك نجاح أمتنا العربية في التعبير عن دعمها للانتفاضة تعبيراً عملياً على

مختلف الصعد ، وبخاصة صعيد مواجهة الدعم الأمريكي غير المحدود للعدو الصهيوني العنصري . كما سيساعد على ذلك قيام « الدبلوماسية العربية » في هذه الفترة تحديداً بواجبها في وضع الولايات المتحدة أمام حقائق الواقع في المنطقة ، وفي اتقان التعامل مع « الدبلوماسية الأمريكية » وأساليبها التي تعتمد الاجبار .

لماذا تتجه الأنظار الى « الدبلوماسية العربية » الآن ؟

لقد فرضت انتفاضة شعبنا العظيمة على الولايات المتحدة أن « تتحرك » ، تماماً كما فعلت حرب رمضان عام ١٩٧٣ . وواضح اننا كعرب نتعامل مع هذا التحرك . فلنتعامل معه بصورة صحيحة لكي لايبقى « تحركاً بهدف التحرك » كما حدث مرات من قبل ، ولكي لاينتهي الى نتيجة لاتعبر عن ارادة شعبنا ولاتحقق اهداف انتفاضه . وهنا يبرز الدور الخاص للدبلوماسية العربية في تجسيد التعامل مع التحرك الأمريكي بصورة صحيحة ، وتتجه الأنظار اليها .

إن قيام الدبلوماسية العربية بواجبها على وجه مرض يقتضي أن تتوافر للعاملين فيها رؤية نافذة للانتفاضة ، ورؤية نافذة لحقيقة أوضاع الكيان الصهيوني . كما تقتضي أن يستلهموا روح الانتفاضة ، ليتجاوزوا « احباط العمل الدبلوماسي » وينطلقوا الى آفاق « النضال الدبلوماسي » الذي يتناغم مع نضال الشعب بكل صوره .

ماذا نعني باحباط العمل الدبلوماسي ؟

بانه تلك الحالة من الاحباط التي يعاني منها « الدبلوماسي » حين يتعذر تحقيق تقدم ، وتجمد المواقف السياسية بفعل سكون الواقع القائم ، فيصبح مايقوم به من عمل « طحناً للاشيء » أو « جعجعة تسمع » ويعرف من مارس العمل الدبلوماسي مدى وطأة هذه الحالة . وقد تحدث عنها الكثيرون منهم فيما كتبوه عن مهماتهم . واذكر أن واحداً منهم كتب ملاحظاً أن طبيعة العمل

الدبلوماسي تستوجب صرف جهود كثيرة ، وأن الانجاز يتحقق فيه خلال وقت طويل ، ونادراً مايتجسد في انتصارات ضخمة أو يحقق اختراقات ، ولذلك فإن كثيراً ممن يمارسونه يعانون من احباط ، كما أن لحظات الانتصار فيه تكون رائعة لندرتها .

إن اخطر ماينجم عن حالة الاحباط هذه ، أن من يصاب بها يصبح عرضة للوقوع فريسة أحكام خاطئة تصل به الى قبول مايفرض عليه . وكم تستغل « الدبلوماسية المواجهة » هذه الحالة لافتراس ضحاياها ، بعد أن تكون قد تمكنت من عزلهم عن محيطهم ووضعتهم في محيط تتحكم هي فيه .

واضح أن من أعظم ماحققته انتفاضة شعبنا العظيمة هو إعادة ثقة الكثيرين من العرب في أمتهم بعد أن عانوا فترة من فقدان ثقتهم فيها ومن ثم في انفسهم ، ومن بين هؤلاء دبلوماسيين اصيبوا بالاحباط وقد أصبحوا قادرين الآن على تجاوزه . واذكر انني لقيت أخاً عربياً منهم مؤخراً، فسألته عن رؤيته ، فإذا بي اسمع مايعبر عن روح قوية ومعنويات عالية . وتداعى الى خاطري حديثه قبل شهور المفعم بالاحباط حين كان عائداً من واشنطن حيث يقيم وقوله « يجب ان نواجه انفسنا ونقبل الأمر الواقع ونجلس الى المائدة ». وقد سألته يومها « هل هناك شيء معروض لانعرفه ؟ ولماذا نقبل الأمر الواقع ؟ » كان جوابه « لأننا مجبرون وليس هناك شيء معروض . ولعلنا نحصل على أي شيء أثناء التفاوض ». وكان علي أن اذكره بأن التفاوض بهذه الصورة لايمكن من الحصول على شيء وينتهي بالتسليم. ثم كان علي أن احدثه باسهاب عما يجري في وطننا المحتل وفي اوساط عدونا لعله يرى ظاهرة « بداية الصحوة العربية في مواجهة الغزوة الصهيونية » ويتابع جيشان الأوضاع في وطننا المحتل. وكم اسعدني أن ارى ماذا فعلت الانتفاضة في هذا الدبلوماسي العتيق، وكيف نقلته من «محيط» الآخر الى محيطة وأخذته كالأم الرؤوم في احضانها، فانطلق الى آفاق النضال الدبلوماسي في تحركه.

لابد من الاشارة هنا الى أن بعض العاملين في « الديبلوماسية العربية » لايزالون أسرى حالة الاحباط ، وفي أحسن الأحوال موزعين بين مايسببه الاحباط من شك وتعود وما تدعو اليه الانتفاضة من ايمان وعمل ، فهم بين شد وجذب . وقد لقيت واحداً منهم فسألته عن رؤيته ، فوجدته مستعجلاً على قبول الأفكار الأمريكية « لأن شيكاً افضل من لاشيء » ، ولأنه « يخشى على الأهل » ولأن « الانتفاضة لايمكن أن تستمر » ولأن « الزمن ليس في صالحنا » ولأن « الادارة الامريكية تقول هذا أقصى مالديّ فاقبلوا به كما هو أو اتركوه » . وحين تحدثت اليه عما تقوله الانتفاضة بالحقائق التي توجدها بدا موزعاً وقال « اعترف أنها أوجدت حقائق كثيرة ، وكنت قبل شهور اردد بأن قضية فلسطين وضعت على الرف لسنوات فإذا بالإنتفاضة تفرض قضية فلسطين على العالم أجمع . ولكنني في شك مما تقوله ان الزمن يعمل في صالحنا مادمنا نعمل ، وأن باستطاعتنا من خلال متابعة العمل الوصول بالولايات المتحدة الى الاعتراف بحقوق شعب فلسطين . وهذا الشك هو الذي يدعوني الى الاستعجال « لأن شيئاً افضل من لاشيء » . وكان عليّ أن ادعوه الى « متابعة اخبار الانتفاضة » لعله يستلهم روحها ، فيحسن التعبير عنها بعد أن يلتحم بها .

تتجه الانظار اليوم الى « الديبلوماسية العربية » بعد أن تقدم جورج شولتز باقتراحات امريكية مكتوبة حول عملية التسوية الى جميع الأطراف المعنية ، وطلب ردوداً مكتوبة عليها في غضون اسبوعين . وكلنا أمل أن تستلهم الديبلوماسية العربية روح الانتفاضة في صياغة ردودها ، وأن تضع الحقائق التي أوجدتها الانتفاضة في اعتبارها ، وأن تتكامل في تحركها مع حركة الانتفاضة .

اننا كعرب مدعوون اليوم لمزيد من دعم الانتفاضة التي لاصوت يعلو على صوتها ، وهي تغذ السير في طريق تحرير الوطن ، وتتابع بناء صرح مستقبل الأمة . فانتفاضة شعبنا العظيمة هي التي فرضت على الولايات المتحدة ان تتحرك وتباشر مواجهة الواقع القائم ومراجعة موقفها ، وهي التي ستفرض استمرار هذا التحرك واستكمال هذه المراجعة والتسليم بحقوقنا .

الانتفاضة واختراق العدو

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة دخلت اسبوعها الرابع عشر ، وقد برهنت على أنها « ولود » و« واعدة » ، مؤكدة أنها ثمرة أرضنا « الولود » التي باركها الله . وما أروع أرضنا حين « تنتفض » فتلد الخير للانسان ، وتوصف بأنها « نفوض » أي كثيرة الولد . وما أروع ابناءها وهم « ينتفضون » فيزلزلون أركان هذا الكيان الصهيوني الاستعماري الاستيطاني العنصري ، ونصب اعينهم « ثورة » تعم تفرض على عدوهم أن يُسلِّم بحقيقتهم ويحترم حقوقهم .

لقد كان من أهم ماسجله الأسبوع المنصرم أن انتفاضة شعبنا العظيمة لم تصمد أمام « نَقْع ــ أي غبار ــ التحرك الأمريكي » الذي ملأ الأجواء فحسب ، بل غذت السير في طريقها محققة اكثر من اختراق في جبهة عدونا الذي لايقاتلنا « الا في قرى محصنة أو من وراء حجب » الأمر الذي يضاعف من حرصنا على النهوض بمسؤولياتنا في الالتحام بها .

* * *

ماأسرع ماصفت أجواء وطننا من نقع التحرك الأمريكي بفضل استلهام روح الانتفاضة . فما أن قدم جورج شولتز في جولته الثانية مشروعه في نقاط ، وكانت نقاطه تتحدث عن « حكم ذاتي اداري » حتى عرف العالم « المكتوب من عنوانه » ، وتمخض تحركه في جولته الأولى الذي أحاطه بسرية

شديدة عن لاشيء يذكر ، ولم « يلد الجبل حتى فأراً » ؟

لقد اتصف التحرك الأمريكي هذه المرة بالكثافة ، واتسم بالمراوغة ، فبدا كرياح تهب وتملأ الأجواء غباراً يأتي من عدة جهات . واقترن هذا التحرك بإعلام ركزّ خلال الجولة الأولى على الحديث عن « مشروع سلام متكامل قائم على اساس جدول زمني يربط بين كل مرحلة وأخرى بحيث تؤدي المرحلة الأولى الى المرحلة التي تليها الى أن يتم الحل الكامل على جميع الجبهات » على حد وصف مساعدي شولتز لما حمله ، وقد ابرز هذا الاعلام الأمريكي رفض اسحق شامير للمشروع . الأمر الذي دعا بعض المراقبين العرب الى وضع احتمال ضئيل لايتجاوز العشرة بالمئة بأن تكون السياسة الامريكية قد بدأت بمواجهة حقائق الواقع والتحول ولو بمقدار زاوية حادة قياسها ست درجات . وانتظر هؤلاء تقديم شولتز مشروعه كتابة ليقطعوا بعد إطلاعهم على مضمونه بأن السياسة الأمريكية قد تبدأ بعد مواجهة حقائق الواقع ، وبأن هذا التحرك ايضاً يمكن أن يقال عنه هو « تحرك بهدف التحرك » وبأنه يخدم محاولات الكيان الصهيوني فرض الاستسلام على العرب ، وبأنه جاء هو نفسه محاولة للتستر على الجرائم الصهيونية ضد انتفاضة شعبنا العظيمة ولتهدئة الانتفاضة . أما بالنسبة للاشارات القليلة التي تستر وراءها هذا التحرك مثل حديث شولتز في رسالته « للفلسطينيين » عن حق الشعب الفلسطيني في تقرير برامجه السياسية والاقتصادية لو قبل التفاوض !! أو مثل وضع برنامج زمني لخطوات لانهاية لها ، فقد وضح أنها كانت للتمويه وللتأثير على من لم يسلهموا بوح الانتفاضة بعد .

ليس هذا القطع مقصوراً على الراسخين في العلم من العرب ، بل هو شامل للراسخين في العلم من ساسة عالمنا . وقد سألتُ واحداً منهم زار منطقتنا مؤخراً عن رؤيته لهذا التحرك الأمريكي فقال « إني متشائم جدا . فالأمريكيون لايريدون أن يدللوا على أنهم جادون في السعي لسلام عادل . وسلوكهم سيدفع الاسرائيليين الى أقصى درجات التطرف والتخبط . ونحن في

أوروبا قلقون جداً .. ، ويلاحظ آخرون في معرض تدليلهم على عدم جدية الأمريكيين أن صياغة الجدول الرسمي والأفكار بعامة في مشروع شولتز تأخذ في الاعتبار أن الرئيس ريجان سيكون قد خرج من الحكم الى بيته .

لقد ردت انتفاضة شعبنا العظيمة على هذا التحرك الأمريكي كما ينبغي أن يكون الرد . وتجاوب وطننا العربي في مختلف أنحائه معها ومع ردها ، وبخاصة وأن طرح شولتز لمشروعه الذي يتحدث عن « حكم ذاتي اداري » كان يتضمن فيما يتضمن اهانة لنا نحن العرب . وهل من اهانة أشد من دعوة أمة الى القبول بمحاولة اضفاء الشرعية على احتلال عدوها أراضيها، لأن هذا هو معنى الحكم الذاتي الاداري. واننا نتطلع الى أن يصل تجاوب وطننا العربي مع رد الانتفاضة الى قطع الطريق أمام أي تحرك أمريكي قادم يتجرأ على توجيه الإهانة لامتنا. والدبلوماسية العربية التي تستلهم روح الانتفاضة تعرف من أين يبدأ الحوار، وتأبى أن تباشر حواراً حول « محرمات » لأنها تعلم أنها إن جُرّت الى ذلك تكون قد قبلت الاهانة وبدأت بالتفريط. وقد آن الأوان أن تعرف واشنطن بأن احداً من العرب لايقبل ان يسمع منها حديثاً عن « حكم ذاتي اداري »، ولايسمح بأن تهينه بطرح هذا الحديث على مسامعه، ويكفي ماعانته امتنا على مدى عشر سنوات بفعل قبول الرئيس السادات ذلك.

ما أشد المرارة التي نستشعرها ونحن نذكر فصول هذه المعاناة . وقد وقفت أمام ماقاله الارهابي مناحم بيجين وهو يستعيد ذكرياته مع الصحفي دان باتير حول اتفاقية عام ١٩٧٩ مع مصر بمناسبة مضي عشر سنوات على زيارة السادات للكنيست ، « وجدت اننا ملزمون تقديم مشروع حل بشأن يهودا والسامرة وغزة ، فبلورت اقتراح ادارة ذاتية وليس سيادة : ادارة ذاتية وليس دولة فلسطينية . وبالتالي فإن المضمون الاساسي لاقتراحنا هو ان تكون مؤسسة الادارة الذاتية مجلساً ادارياً . من اين جئتُ بهذا التمييز ؟ تذكرت دائماً فكرة البريطانيين الشهيرة في العشرينات ، وبعد ذلك في الثلاثينات بشأن اقامة

مجلس تشريعي تكون فيه الأغلبية للعرب ، والأقلية لليهود ، والجهة الثالثة المقررة هي البريطانيون . وتذكرت جيداً أنه كان ثمة اتفاق في الرأي في هذا الشأن بين حاييم وايزمن وزئيف جابوتنسكي ودافيد بن جوريون . فالادارة الذاتية عند بيجين هي استعمار كالاستعمار البريطاني في منطلقها ، ولكنه تجاوز كل صور الاستعمار حين صرح بأنها تنصرف الى الناس دون الأرض ، ليصل الى ابشع صور الاستعمار . وقد ادعى في حديثه أنه كان سيتوصل الى اتفاق مع السادات في الاسماعيلية حول الادارة الذاتية ولكن كما يقول « رأينا بعيوننا كيف أن مستشاريه منعوه من الموافقة . كان يريد أن يوافق . وبعد ذلك اعلنا ماسمي بالاتفاق على الا نتفق . هم يؤيدون دولة فلسطينية ، ونحن نؤيد الادارة الذاتية » . وقد نشرت هذا الحديث جريدة يديعوت احرنوت في ملحقها يوم ٨٧/١١/١٣ .

لقد ناضل شعبنا على مدى عقد من السنين ضد الحكم الذاتي والادارة الذاتية ، لأنه كان يعلم أن هذه الصيغة هي بمثابة اضفاء الشرعية على الاحتلال الصهيوني غير الشرعي . وتوج شعبنا نضاله بهذه الانتفاضة العظيمة . ومع ذلك لايزال جورج شولتز يتحدث عن حكم ذاتي إداري ، وقد آن الأوان أن يعلم ان هذا الحديث ولو اقترن بذكر فترة انتقالية هو من « المحرمات » . وهذا ما مكّن انتفاضة شعبنا العظيمة من أن تبدد نقع التحرك الأمريكي بسرعة فائقة .

* * *

حققت انتفاضة شعبنا العظيمة في الوقت نفسه اكثر من اختراق في جبهة عدونا . ولنا أن نقف أمام العملية البطولية التي قام بها ثلاثة من ابطال شعبنا في صحراء النقب ، لأنها تمثل اختراقاً يذكرنا بالاختراق الذي حققته عملية شهداء قبية ونسرها الطائر قبل ثلاثة شهور ونصف .

لقد استهدفت هذه العملية « العسكرية الصهيونية » الغارقة في إثم صناعة أسلحة الدمار النووية . وتجح ابطالها ليس في لفت انظار العالم فحسب الى

التخريب الصهيوني الذي يجري في « ديمونه » والذي كشف شيئاً منه فانونو قبل شهور ، بل نجحوا ايضاً في مواجهة هذه العسكرية الصهيونية وتكليفها أن تدفع ثمناً باهظاً قبل أن يستشهدوا ويصبحوا احياء عند ربهم يرزقون . وقد أثبتوا ايضاً ان يد الفداء قادرة على أن تطول العسكريين الصهاينة اينما كانوا في شمالي فلسطين وفي جنوبها ، وأن هذه اليد تجاهد لتحمي ابناء شعبنا من عنت الاحتلال . وكم كان عظيماً ان يطالب الأبطال باطلاق سراح جميع الفلسطينيين الذين تعتقلهم اسرائيل في سجونها منذ أن بدأت الانتفاضة .

طبيعي أن يثير هذا الاختراق عدونا ويصيبه بصدمة عيفة ، وبحالة من الذعر والهلع اصابت الدوائر العسكرية الصهيونية . ومتوقع أن يحاول عدونا تشويه هذه العملية بكل السبل . ومتوقع ايضاً أن يجند الدعاية الصهيونية في الغرب من اجل ذلك ويحكي عن قتل امرأتين . وقد يتأثر بعض اهلنا المقيمين بالغرب ويخشون من أن يقل التعاطف مع الانتفاضة الذي رأوه هناك مؤخراً . ولكن كل ذلك لن يغير من حقيقة أن هذه العملية مثلت « اختراقاً » ، وستكون لها آثارها الاعلامية الايجابية ، فضلاً عن آثارها على الصعد الأخرى . وقد لفت النظر ماصرح به مصدر دبلوماسي مسؤول في مصر — كما نشرت الأهرام يوم ٨٨/٣/٩ — « من أن هذه العملية الفدائية الفلسطينية لن تكون الأخيرة من نوعها . وأن هذه العملية التي استهدفت اطلاق سراح جميع الفلسطينيين المعتقلين منذ بداية الانتفاضة يمكن أن تتكرر طالما أن اسرائيل مازالت تواصل سياسات القمع والعنف بالأراضي المحتلة ولاتعترف بحقوق الشعب الفلسطيني » . وجاء هذا التصريح في الوقت الذي صدرت فيه تصريحات اسرائيلية عدة تزعم أن الفدائيين جاءوا عبر الحدود المصرية الفلسطينية . ولفت النظر أيضاً أن العدو الصهيوني قبض على أربعة من العسكريين الصهاينة وسيقدمهم للمحاكمة بتهمة التقصير لأنهم جبنوا أمام الفدائيين الابطال . ومعلوم أن ظاهرة الجبن الصهيوني هذه تكرر في جميع عمليات الاختراق ، لأن عدونا لايقاتلنا الا في قرى محصنة أو من وراء جدر .

لقد حققت انتفاضة شعبنا العظيمة اختراقات اخرى على صعيد مواجهة سلطات الاحتلال الصهيوني . وكم وقفت أمام مانقلته وكالات الأنباء من « أن محصلي الضرائب الفلسطينيين في قطاع غزة قدموا استقالات جماعية الى الحكومة العسكرية الاسرائيلية استجابة لنداء وجهته القيادات الفلسطينية المحلية في بيان تم توزيعه في الأسبوع الماضي » . ووقفت أمام قيام اللجان بمسؤولياتها كاملة في ادارة الأمور . وإن حديث القيادة الوطنية للانتفاضة يستحق مقالاً خاصاً .

* * *

واضح بعد أن تبدد « الغبار » الذي اثاره التحرك الأمريكي ، وصفا الجو من « النقع الامريكي » ، وواضح من خلال مسار الانتفاضة الصاعد أن المواجهة بيننا وبين عدونا ستشتد . وسيعمد الصهاينة فيها الى استخدام كل اساليب القمع والأرهاب . فالأمر يتطلب اذن استنفارا لطاقاتنا العربية كي تتلاحم مع الانتفاضة ، ويتطلب التفنن في تحقيق هذا التلاحم .

لابد من توفير الدعم المادي والمعنوي للانتفاضة . ولابد من متابعة اختراق العسكرية الصهيونية . ولابد من قيام الدول العربية بالتلويح بأنها لاتستطيع ان تقف مكتوفة الايدي أمام الجرائم الصهيونية . ولابد من التعاون مع القوى الدولية المؤيدة لنا من احل محاصرة الصهيونية العالمية . ولابد من توظيف ما بأيدينا من أوراق لنفرض على السياسة الامريكية أن تراجع مواقفها وتتوقف عن مواجهة شعبنا وامتنا بالعداء .

اننا نخوض صراع النفس الطويل . وقد وطنا انفسنا على متابعة النضال حتى تحقق انتفاضة شعبنا العظيمة اهدافها وننتصر ونحرر وطننا .

العمل لانتصار الانتفاضة

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة دخلت أسبوعها الخامس عشر ، وقد صعَّد (بتشديد العين) شعبنا مقاومته في مواجهة تزايد العسف الصهيوني الذي بلغ حداً فاق أفظع الممارسات العنصرية التي ابتلي بها عالمنا على أيدى النازية وأوروبي جنوب افريقيا والعنصريين في الغرب عموماً . وواضح أن عدونا الصهيوني عمد كما توقعنا الى اعتماد أقصى درجات العنف والأرهاب ليوقف الانتفاضة . واتخذ مجموعة اجراءات ليمنع نقل أخبار جرائمه ، وليحول دون الرأي العام العالمي ومعرفة مايجري في وطننا المحتل .

واضح ايضاً أن الولايات المتحدة الامريكية لاتزال تحاول إضعاف الانتفاضة من خلال استمرار تحركها السياسي الذي اثارت به « نقعاً » كثيفاً اثناء زيارة شولتز لم يلبث أن تبدد بفضل وعي شعبنا وأمتنا ، وهاهي ترسل فيليب حبيب لزيارة أخرى لبعض الدول العربية وللكيان الصهيوني ، بعد أن انتهت زيارة الأرهابي شامير الى واشنطن . وإن لنا كي نتأكد من هدف التحرك الأمريكي وحدوده أن نتوقف أمام بعض ماورد ببياني ريغان وشامير بعد انتهاء مباحثاتهما في واشنطن يوم ١٩٨٨/٣/١٧ .

لقد استهل الرئيس ريغان بيانه قائلا « ان علاقة فريدة مع اسرائيل . علاقة تقوم على الثقة والصداقة والمثاليات المشتركة » . ولنا أن نقف أمام تعبير « المثاليات المشتركة » للولايات المتحدة والكيان الصهيوني ، وفي اعتبارنا مابلوناه من « المثاليات الصهيونية » التي هي في الدرك الأسفل من « القيم

الدنيا » لما تتصف به من عنصرية وظلم واستهانة بالقيم الانسانية كلها . وقد تابع الرئيس ريجان بيانه قائلا « ويمكننا أن نفخر بالانجازات التي حققناها على مدى السنوات السبع الماضية في تكثيف مضمون العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة وتوسيعها . وسنواصل العمل في الفترة المتبقية من رئاستي على تعزيز هذه العلاقات » . ولنا أن نقف أمام « فخر ريجان » ، وفي اعتبارنا ماقام به التحالف الاستراتيجي الامريكي الصهيوني من أعمال شريرة تجاه شعبنا وامتنا خلال السنوات السبع الماضية ، لكي نفهم حقيقة هذه الانجازات ، ونستذكر الاجتياح الاسرائيلي بالاسلحة الأمريكية للبنان عام ١٩٨٢ وتمكين الولايات المتحدة الكيان الصهيوني من الاستمرار في احتلاله اراضينا الفلسطينية والعربية المحتلة . وهاهو الرئيس ريجان يعد بأن يختم رئاسته بمواصلة السير في هذا الطريق .

كان من أهم ماقاله الارهابي شامير في بيانه قوله « سيدي الرئيس لقد كنا متفقين دوماً اتفاقاً تاماً على مبدأ التفاوض من مركز القوة الذي ايدتموه دوماً » . فقد كشف في هذا القول عن حقيقة التحرك الأمريكي الذي عمل دوماً على دفع العرب الى الجلوس على مائدة المفاوضات مع الكيان الصهيوني وهم في مركز ضعف وعدوهم في مركز قوة . ومعلوم ماذا تكون عليه النتيجة الحتمية لمثل هذا التفاوض . وكان من أهم ماقاله الارهابي شامير ايضاً اعترافه بأن هذا الوقت هو « وقت عصيب لاسرائيل » . وكم يُشرِّف انتفاضة شعبنا العظيمة كونها جعلت اكبر قاعدة عدوانية وقلعة عنصرية في عالمنا تعيش « وقتاً عصيباً » . وقد أكد هذا القول حقيقة أن عدونا « مزنوء مزنوق » .

إن لنا إذن أن نركز اهتمامنا على حماية الانتفاضة ودعمها وتصعيدها حتى تحقق هدف تحرير الأراضي العربية المحتلة ، وتفرض على عدونا الانسحاب غير المشروط وقبل أي تفاوض . ولنا أن نتطلع وأن نتوقع في الوقت نفسه أن يكون كل تحرك سياسي عربي واضعاً نصب عينيه هذا الهدف ، وبخاصة حين يتعامل مع التحرك الامريكي أياً كان القائم بهذا التحرك مورفي أم شولتز أم حبيب .

كيف نعمل لحماية الانتفاضة ودعمها وتصعيدها ؟

ما أكثر مايبرز هذا السؤال أمام ابناء شعبنا وابناء امتنا واحرار العالم والواحد منهم يعيش بكل ذرة من كيانه وقائع الانتفاضة العظيمة يوماً بعد يوم . ومارأوع ماتفعله الانتفاضة في نفوس الناس . وما أعظم مايقدمه الناس للانتفاضة ومايمكن أن يقدموه . وكم تأملت خلال الفترة الماضية والأسبوع الأخير بخاصة في التأثير المتبادل بين « الناس والانتفاضة » ، و« الانتفاضة والناس » .

إن استمرار الانتفاضة وتصعيدها هو هدف هؤلاء الناس . وهو يستلزم منهم العطاء المعنوي والمادي ، لأن الانتفاضة بحاجة الى هذا العطاء ، وهم راغبون فيه مستعدون له باحثون عن مجالاته وسبله .

لقد تأملت وأنا انتقل بين بلد عربي وآخر ، في زيارات عمل علمي ، في ظاهرة توق الناس للعطاء المعنوي والمادي للانتفاضة ، ووقفت امام بعض الأمثلة . ووجدت نفسي أمام أمثلة كثيرة وأنا أشارك في اجتماع مجلس ادارة الصندوق القومي الفلسطيني الذي انعقد مؤخراً ليقوّم (بتشديد الوار) جهود « الخارج » في دعم « الداخل » ضمن التلاحم القائم بين الداخل والخارج في اطار وحدة شعبنا ووحدة منظمته ووحدة امتنا ووحدة أحرار العالم . ولي ان اختار من بين هذه الأمثلة الكثيرة .

التبرعات للانتفاضة ترد من دائرة العالم الخارجي حيث أحرار العالم . وهذا أخ من الجابون بافريقيا يبعث بمبلغ « ألفين » من عملته المحلية لشراء آلة لتكسير الحجارة التي يستخدمها أطفالنا في مقاومتهم العدو . وهؤلاء اصدقاء من ايطاليا يجمعون عدة ملايين من الدولارات ويقدمونها . وهؤلاء اخوة من تركيا واخوة من ماليزيا واخوة من البنجال يجمعون التبرعات وهذه لجان تشكلت في العديد من البلاد للغرض نفسه . وهؤلاء أبناء العروبة يبادرون بالتحرك من خلال لجان نصرة فلسطين هنا وهناك في وطننا الكبير . وقد

حرص بعض من هاجر بعيداً أن يتواصل ويلزم نفسه . ومأروع مثل ابناء شعبنا المقيمين هناك في جزر المارتينيك الذين كلفوا احدهم أن يتصل هاتفياً بقيادة المنظمة في تونس ليقول « نحن هنا تسع واربعون أسرة ، وقد حصصنا مبلغاً شهرياً من دخل كل أسرة للانتفاضة نرسله من خلالكم . ونحن على استعداد لأي تكليف » . وكثيرة هي المبادرات التي سمعت عنها في اجتماع الصندوق القومي الفلسطيني التي تشبه هذه المبادرة . وقد حفلت دائرة ابناء شعبنا خارج وطنهم المحتل بأمثلة كثيرة على العطاء والتلاحم مع الأهل في الداخل . وجميع هذه الأمثلة في الدوائر الثلاث العالمية والعربية والفلسطينية تجسد مانسميه « روح الانتفاضة » .

إن روح الانتفاضة هذه تتجسد كأروع مايكون في الداخل من خلال التكافل والايثار . ومأكثر الأمثلة التي طرحت في اجتماع الصندوق على التكافل القائم بين ابناء شعبنا في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ والصفة العربية وقطاع غزة . وما أعظم أن يكون السلوك السائد بين الأهل مصداقاً لقوله تعالى « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

واضح أن عدونا يحاول بكل جهده أن يحاصر الانتفاضة ويمنع عنها الامداد . وقد اتخذ الصهاينة العنصريون مجموعة اجراءات لتحقيق ذلك . أما الولايات المتحدة فتسعى منذ فترة لتجفيف منابع منظمة التحرير الفلسطينية المالية . وهي لم تخف ذلك ، وقد لجأت الى أساليب مختلفة لانجاح مسعاها ، من بينها اسلوب التشكيك في امكانية ايصال الدعم لأهلنا في الداخل ، واسلوب إشاعة شبهات حول الانفاق وحول وجود حاجة الى الدعم .

لقد درس مجلس ادارة الصندوق القومي دراسة متعمقة كل مايتعق بالدعم المادي للانتفاضة . ووقف وهو « حفيظ أمين » أمام « آلية » الانفاق ليتأكد من انتظام هذه الآلية وسلامة اجزائها . واطمأن الى تعدد قنوات الاتصال وانسيابها . كما أطمأن الى « الرقابة » التي يحرص على قيامها بواجبها منذ أن

تشكل عام ١٩٦٤ عند تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية . وعمد الصندوق بعد ذلك الى حصر ماوصل الى الانتفاضة من دعم ، وهو يدخل في صندوق خاص تم انشاؤه بتوصية من المجلس المركزي في اجتماعه الأخير . كما عمد الصندوق الى حصر ماتم انفاقه ، ومن ثم الى تقدير ما ينبغي جمعه . ويكفي كي نأخذ فكرة عن الانفاق وأوجهه ، أن نذكر أن ميزانية أسر الشهداء بلغت عام ١٩٨٧ خمسة وسبعين مليون دولار ، وقد ارتفعت المبالغ المخصصة للانفاق على أسر شهداء الانتفاضة وعلى جرحاها . كما نذكر أن القيادة حريصة على الوفاء بالحد الأدنى من متطلبات ابنائنا العمال على الأقل ، وهم ممتنعون عن العمل مع العدو ، وعددهم بفئاتهم المختلفة يقارب المائة الف . وانتهى الصندوق في اجتماعه الى وضع خطة لتنمية موارد صندوق الانتفاضة ، والى وضع خطة لاتاحة الفرصة لكل فلسطيني اينما كان أن يسهم في الصندوق من خلال دفع رسم الانتماء لتحرير فلسطين ودفع ضريبة التحرير .

إن دعم الانتفاضة مادياً واجب ملح ، وكذلك دعمها معنوياً . وقد رأيت امثلة رائعة للدعم المعنوي وأنا اتنقل بين عدة بلاد عربية ، وسمعت أمثلة رائعة أخرى من اخوة آخرين . من ذلك ماحدثني به أخ عضو في الصندوق هو الأستاذ صالح البرغوثي عن غلام في العاشرة من عمره رآه وهو يجمع تبرعات للانتفاضة في بادية قطر ، فإذا بالغلام يقرأ عليه قصيدة من الشعر الشعبي « النبط » تعبر عن الشوق الى القدس وضرورة الجهاد من اجل تحريرها وتدعو راكبي « المرسيدس الفاخرة » الى أن ينفقوا بعض مااعطاهم الله للانتفاضة في سبيل الله . ومن ذلك مارأيته من أخ أستاذ جامعي من ابناء شعبنا جندّ نفسه لطرح الرؤية الصائبة حين تلتبس الرؤية ، ولنشر روح الانتفاضة ، في كل مجلس شارك فيه ، وتفنيد مقولات اليأس والاحباط . ومن ذلك ماسمعته من سائق سيارة أجرة من عامة أهلنا « ملح الأرض » ، وهو يتحدث عن الانتفاضة وعن ذلك البطل الذي قام بعملية الطائرة الشراعية ويقول « إن مثل هذا يصاهر ويناسب بغض النظر عن شكل أخته ، لأن اولادها سيطلعون

مثل خالهم . وأنا عندي عدة بنات وقد علمت كبراهن لتكون ممرضة كي تسهم في حربنا للعدو بمعالجة جرحانا . وكم اتطلع الى أن اؤدي واجبي الى جانب ابطال الانتفاضة فأنا جندي قديم ، ولابد لهذه الانتفاضة ان تنتصر » . ولقد ألح علي وأنا انفعل بأمثلة الدعم المادي والدعم المعنوي قول الشاعر الشعبي المرحوم فؤاد حداد الذي توقع ولادة الانتفاضة في ديوانه « الحمل الفلسطيني » « حلفتكُم بالنعمة .. لازم تعيش المقاومة » . وليكن شعارنا يجب أن نحمي الانتفاضة وندعمها ونصعدها حتى تنتصر .

إن الدعم المادي والمعنوي للانتفاضة هو واحد من أوجه العمل من أجلها . ونحن مدعوون الى أن نقوم ببقية أوجه العمل في مختلف المجالات وعلى الصعد كافة . وقد تناولنا في مقالين سابقين كيف نعمل لمواجهة العداء الأمريكي لشعبنا خاصة ولأمتنا بعامة . ولاشك في أن من أهم أوجه العمل بلورة الأفكار التي تصل بنضالنا السياسي الى تحقيق هدف التحرير . وهذا يقتضي قيام أهل الاختصاص بالابداع على هذا الصعيد .

لقد عشت مؤخراً مثلاً رائعاً لما يمكن للأفكار الموحية أن تفعله في خدمة قضيتنا . وذلك في ندوة « العلاقات العربية السوفييتية في واقعها ومستقبلها » التي نظمها منتدى الفكر العربي وشارك فيها نخبة من العلماء السوفييت مع عدد من المفكرين والباحثين العرب . وكان من أهم ماطرحه الفكر العربي على الأصدقاء السوفييت ضرورة مراجعة النظرة السوفيتية للصراع العربي الصهيوني التي تراه في أحد وجهيه « صراعا بين قوميتين » . وذلك لأنه في حقيقة الأمر صراع بين امتنا العربية وغزوة استعمارية استيطانية صهيونية غربية عنصرية ، والادلة على ذلك لاتعد . كما طرح الفكر العربي على الأصدقاء السوفييت ضرورة مراجعة الأساس الصالح للتسوية العادلة بعد أن تأكدت عدم صلاحية قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ليكون الأساس لأن الصهاينة فسروه بالضم للأراضي العربية المحتلة ، ولأن الولايات المتحدة طرحت له مفهوماً لايبقي من الأراضي العربية المحتلة الا القليل حين اعتبرت المستوطنات الصهيونية ليست

غير شرعية وقالت بالقدس الموحدة تحت السيادة الاسرائيلية . ولأن الاتحاد السوفييتي كان قبل عدوان ١٩٦٧ يقول بأن مفهومه لحقوق شعب فلسطين هي ضمن قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ الشهير بقرار التقسيم وبقية القرارات . ولايجوز للعدوان أن يحقق مكاسب . ولكم كان الحوار ساخناً حول هذا الطرح الذي لابد أن يكون محل الدراسة المتعمقة في موسكو .

إن علينا أن نعمل الكثير من اجل حماية الانتفاضة العظيمة ودعمها وتصعيدها . وكل واحد منا مسؤول أن يفكر فيما يستطيع عمله ، ويحدد مجال هذا العمل وصعيده ووجهه ومن ثم يعمل بأقصى طاقته اقتحاماً ومواجهة . وهو الأقدر على محاسبة نفسه في آخر يومه « ماذا عمل ؟ » لتنتصر الانتفاضة ويتحرر الوطن .

الانتفاضة والرد على التهديد الاسرائيلي للسعودية

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة دخلت أسبوعها السادس عشر . والأنظار متجهة الى وطننا بمناسبة اقتراب موعد ذكرى يوم الأرض في الثلاثين من آذار مارس . وواضح أن قلقاً شديداً بعدونا من جراء خشيته أن تستمر الانتفاضة حتى منتصف أيار مايو القادم موعد احتفاله بمناسبة مرور أربعين سنة على إعلانه إقامة « اسرائيل » . وهو يحاول بعصبية تقترب من الجنون قمع الانتفاضة متخذاً أقسى الاجراءات لإرهاب شعبنا ومطلقاً التهديدات لتخويف أمتنا . وواضح أيضاً ان حالة من الغضب تعم وطننا العربي من جراء مايقترفه عدونا من جرائم في وطننا المحتل ، ومايستهدف به اهلنا من عسف .

لقد شهد الأسبوع المنصرم لقاء شولتز وشيفرنادزه وزيري خارجية الدولتين العظميين في واشنطن . ومع أن اللقاء أسفر عن تحديد موعد لقاء قمة ريجان جورباتشيف في أيار مايو القادم ، الا أن الخلاف حول صلاحيات المؤتمر الدولي الذي يمكن أن يكون اطاراً لتسوية الصراع العربي الصهيوني بقي قائماً لأن الولايات المتحدة لاتزال تريد مؤتمراً دولياً مظلة لاصلاحيات له . وواضح أن باب الحوار لم يغلق . كما شهد الأسبوع المنصرم عودة شامير من واشنطن وهو اكثر تجرؤاً على المضي في تنفيذ سياسة « الجرائم ضد الانسانية » تجاه شعبنا . وهكذا كثف رابين عمليات القتل والضرب والاعتقال والمحاصرة في الضفة والقطاع والجولان ، وقطع الاتصال بين أهلنا والخارج ، ومنع الاعلام من متابعة احداث الانتفاضة . ولم يلبث شامير أن تجرأ على التهديد بالاعتداء

على المملكة العربية السعودية لضرب الصواريخ التي اشترتها من الصين مؤخراً ثم أعقب ذلك قيام الطائرات الاسرائيلية في يومين متتالين بغارات على مواقع شرقي صيدا . وهكذا بلغت « عربدة » عدونا مداها . وشهد الأسبوع المنصرم ايضاً استمرار شعبنا في انتفاضته العظيمة ومواجهته العسف الصهيوني المتزايد وحشده طاقاته لتصعيد انتفاضة بمناسبة ذكرى يوم الأرض .

وسط هذه الأجواء يلّح سؤال على كثيرين منّا ... كيف نُفسّر هذا التهديد الاسرائيلي للسعودية وكيف نواجهه ؟ ويلح سؤال آخر .. كيف نعمل لمواجهة العربدة الصهيونية في وطننا المحتل وفي لبنان وتمكين الانتفاضة من الاستمرار حتى تبلغ أهدافها ؟ ويقترن هذا السؤال بسؤال ثالث يطرحه البعض بقلوب واجفة تمتلىء حباً للانتفاضة وخوفاً عليها وهي تواجه منفردة آلة العسكرية الصهيونية العنصرية ... الى متى تستطيع هذه الانتفاضة أن تستمر ؟ وهل ستقدر على الصمود وهي في الساحة وحدها ؟ وكأني بهؤلاء يستجيرون « بزرقاء اليمامة » لتمد بصرها النفاذ وتخبرهم بما سيحدث في الأيام القادمة .

* * *

إن التهديد الاسرائيلي بضرب الصواريخ في المملكة العربية السعودية أمر بالغ الخطورة . وهو يطرح من جديد علينا قضية مواجهة « الاستراتيجية العدوانية الصهيونية » وما تتضمنه من « نظرية أمن اسرائيلية » في اقسامها الأربعة المترابطة ويعد هذا التهديد ضمن القسم الثالث الخاص بدول العمق العربي النفطية . وترمز هذه الاستراتيجية لهذا القسم بخط أحمر يمتد من العراق الى الخليج الى الجزيرة العربية إلى السودان الى ليبيا وتونس والجزائر . وقد تحدث شارون عن هذا الخط في محاضرته في جامعة تل أبيب بعد ابرام التحالف الاستراتيجي الأمريكي الصهيوني أواخر عام ١٩٨١ . ونذكر أنه تحدث ايضاً عن خط يمر بدول الجوار العربي لفلسطين الذي يرمز للقسم الثاني من « نظرية الأمن الاسرائيلية » ، وعن خط ثالث يمّر بباكستان شرقاً والمغرب الأقصى غرباً يرمز للقسم الرابع من هذه النظرية . أما القسم الأول فخاص بفلسطين المحتلة

والجولان وسيناء وجنوب لبنان .

في تفسيرنا لهذا التهديد الاسرائيلي نلاحظ أيضاً توقيته ومضمونه . فقد جاء في أعقاب كشف الولايات المتحدة أمر الصواريخ التي اشترتها السعودية من الصين ، وتعبير واشنطن عن قلقها من هذا الأمر الذي تم بعيداً عن سوق سلاحها . وجاء التهديد الاسرائيلي ايضاً في وقت تستمر فيه انتفاضة شعبنا العظيمة فاضحة حقيقة العنصرية الصهيونية أمام الرأي العام العربي بخاصة . وهكذا اراد شامير بتهديده أن يصرف الأنظار عما يقوم به الكيان الصهيوني على صعيد قمع الانتفاضة من ناحية ، وأن يُذكِّر الغرب والولايات المتحدة بخاصة واحتكارات السلاح الغربية بالدور المرسوم للكيان الصهيوني في المنطقة ، وهو دور « كلب الحراسة » الذي يجري اطلاقه لتأمين مصالحهم . وهذا الاسم لدور الكيان الصهيوني استخدمه تشرشل وهو يوصي ايدن قبل سفره للتباحث مع قادة مصر في مطلع الخمسينات أن يلوح لهم بإمكانية اطلاق « كلب الحراسة » عليهم كما كشفت « وثائق السويس » التي أفرج عنها أخيراً . ويلفت النظر أن مدير مكتب شامير اراد أن يذكر بمزايا هذا الدور حين قال مكملاً تصريحات رئيسه « ان اسرائيل قد داع لها صيت ، واكتسبت لنفسها سمعة خاصة هي « عدم الانتظار » وفي اطار اغراء « الحليف الاستراتيجي » بالسكوت عن عدوان اسرائيلي يستهدف « ازالة » الصواريخ « فوراً » .

لنا أن نستحضر هنا أن القسم الثالث من نظرية الأمن الاسرائيلية الخاص بدول العمق العربي النفطية يستهدف القيام بعمليات تحول دون تطوير القوة الدفاعية لهذه الدول وتوحي بتفوق القوة الصهيونية الهجومية . ويحرص الكيان الصهيوني على المجاهرة بأهداف استراتيجيته العدوانية والاعلان عما لديه من وسائل لتنفيذها . ونذكر أن عدونا حين تمكن من تطوير صاروخ « أريحا » القادر على حمل رأس نووي لمسافة ١٥٠٠ كم بمساعدة حليفه الاستراتيجي في الصيف الماضي جاهر في معرض تطمينه للاتحاد السوفييتي بأن « هذه الصواريخ معدة لتلك العواصم العربية التي درجت في الماضي على ارسال قوات عسكرية

ضد اسرائيل ، والتي تقوم ايضاً ببناء قوتها العسكرية لتتدخل في حرب محتملة ضد اسرائيل » . ونذكر أيضاً ان عدونا لايني يسرب ابناء عن وجود سلاح نووي لديه . ولاننسى ابداً أنه قام بالاعتداء على العراق وضرب مفاعل تموز النووي في حزيران يونيو ١٩٨١ ، كما قام بالاعتداء على تونس وضرب حمام الشط في مطلع تشرين أول اكتوبر ١٩٨٥ تنفيذاً لمضمون هذا القسم من استراتيجيته العدوانية .

كيف نواجه هذا التهديد وقد فسرناه وفهمناه توقيتاً ومضموناً ؟

طبيعي أن نتجه بانظارنا الى الولايات المتحدة « الحليف الاستراتيجي » للكيان الصهيوني ، ونصب أعيننا أن نعمل مستخدمين كل أوراقنا كي نفهمها بأن موافقتها على « الاستراتيجية العدوانية الصهيونية ونظرية الأمن الاسرائيلية بأقسامها الأربعة » أمر لا يمكن أن نقبله نحن العرب ، وأننا لانقبل أيضاً موقف السكوت منها على « العربدة » الصهيونية ، وأننا موطنون العزم على مواجهة هذه الاستراتيجية بكل السبل لأنها تشعل النار في الهشيم وتجعل من منطقتنا ملعباً للجنون العنصري الصهيوني ، وهذا أمر نرفضه ونقاومه .

لقد كان أمراً طبيعياً أن يطرح بعض المسؤولين العرب مجموعة اسئلة في معرض استنكارهم للتهديد الاسرائيلي للسعودية ، ويتجهون بطرحهم واسئلتهم الى واشنطن التي تربطها بدولهم « علاقات وثيقة » . وكان من هذه الأسئلة « هل شامير سيعمل وصياً على كل الدول ؟ هل هو يريد الا تشتري أي دولة اسلحة الا باذن منه ؟ أية وصاية يريد أن يفرضها شامير وبأي حق ؟ هل يريد أن يتدخل في أعمال السيادة لأية دولة ؟ لماذا يعتبر شامير أن أي سلاح تمتلكه دولة هو موجه ضد اسرائيل ؟ » وقد أضاف الرئيس مبارك حين أعلن هذه الأسئلة في تصريحات له يوم ٨٨/٣/٢٤ تساؤله « اذا كان شامير يتحدث عن أن السعودية لديها صواريخ فإن لديه برنامجاً نووياً فلماذا لم نتكلم عنه بينما هو يلوح بالحرب ؟ » .

إن رد الفعل الامريكي الذي صدر على التهديد الاسرائيلي ، يؤكد جدوى قيام دولنا العربية بتحرك جماعي منسق تجاه الولايات المتحدة الأمريكية لتعرف رؤيتنا لما ينبغي أن تكون عليه علاقاتها معنا . فلقد صرح ناطق رسمي امريكي بأن الولايات المتحدة لاتوافق على هذا التهديد . ثم أعلن ريتشارد مورفي « أن السعودية لجأت لشراء الصواريخ من الصين بعد أن رفض الكونجرس الأمريكي تزويدها بصواريخ لانس » . ويلفت النظر في بقية تصريح مورفي أنه اشار بوضوح الى ماتتحمله الولايات المتحدة من خسائر بسبب انسياقها وراء اسرائيل ، حيث قال امام احدى لجان الكونجرس « ان المشكلة نفسها سبق أن تكررت عندما رفض الكونجرس تزويد السعودية بطائرات « إف ١٥ » ، فلجأت الرياض الى شراء طائرات تورنيدو من بريطانيا ، وبذلك خسرت امريكا الصفقة ولم يتحقق لاسرائيل الأمن الذي تريده » . وهكذا أثرت بداية التحرك العربي هذا الاعتراف الأمريكي بآثار انسياق واشنطن وراء اسرائيل . ولاشك أن هذا التحرك سيفرض حين يتصل ويقوى أن تفكر الولايات المتحدة بانتهاج سياسة تجاه وطننا العربي نابعة من مصالحها بدل أن تنساق وراء السياسة الاسرائيلية . وكم هو دقيق القول إن واشنطن تنفذ في منطقتنا السياسة الاسرائيلية .

طبيعي أيضاً أن نواجه كعرب التهديد الاسرائيلي مواجهة عملية مباشرة ، بعد أن نأخذه مأخذ الجد كأقوى ما يكون الجد . ونأخذ في الاعتبار ايضاً أنه أشد التهديدات الاسرائيلية ايلاماً لنا وجرحاً لكرامتنا . وقد حدث قبل ثمانية قرون أن تجرأ « ارناط » ارنولد دي شاتيلون على توجيه أمثلة لمقدساتنا في الجزيرة العربية ، فأبى صلاح الدين بعد انتصاره في حطين الا أن ينزل العقاب بارناط بيده ، وهو الذي عفا عن بقية ملوك الفرنجة . وها هو شامير « ارناط اليوم يمد برأسه غير معتبر بما حدث لمثيله ، ولابد أن يواجه » .

إن سبل هذه المواجهة العملية المباشرة لهذا التهديد الاسرائيلي كثيرة . ولابد أن نعكف كعرب على وضع الخطط التي تجسدها ضمن معاهدة الدفاع

المشترك . ولابد ايضاً أن تربط هذا الخطط بين متطلبات مواجهة القسم الثالث من استراتيجية العدوان الصهيونية ونظرية الأمن الاسرائيلية ومتطلبات مواجهة القسمين الأول والثاني . وهذا يعني بوضوح أن انتصار انتفاضة شعبنا العظيمة فيما يخص القسم الأول ، وأن انتصار المقاومة في جنوب لبنان فيما يخص القسم الثاني ، كفيلان بالرد على التهديد الاسرائيلي وتعطيله عملياً فيما يخص القسم الثالث .

مطلوب اذن على الصعيد العربي ابداع وسائل لدعم الانتفاضة وضمان استمرارها وتصعيدها ، ولدعم المقاومة في جنوب لبنان وضمان استمرارها وتصعيدها . ومطلوب ايضاً مكافحة الصهيونية ووضع خطة محاصرة لبلوغ هذا الهدف ، لأن محاصرة الصهيونية العالمية في نشاطاتها داخل منطقتنا العربية يؤثر مباشرة على هذا الكيان الصهيوني الذي يتهددنا .

ان الوقت مناسب لوضع هذه الخطة وتنفيذها . وتتحمل منظمة المؤتمر الاسلامي نصيبها من المسؤولية على هذا الصعيد . نقول هذا بمناسبة انعقاد اجتماع وزراء خارجية دول المنظمة قبل أيام في عمان . ونشير الى عدد من القرارات المهمة التي اتخذتها هذه المنظمة في اجتماعاتها السابقة ولاتزال تنتظر التنفيذ ، ومنها قرار المقاطعة الاسلامية للصهيونية ، وقرار انشاء مكتب عسكري لتحرير القدس . والحق أن الدائرة الاسلامية قادرة على تقديم الكثير قياماً بواجبها في مواجهة التهديد الاسرائيلي لمركزها ولمقدساتها وسيتضاعف هذا الكثير لو أن هذا الجرح الاسلامي الذي ينزف بغزارة في الحرب العراقية الايرانية يتوقف عن النزيف .

* * *

كيف نعمل لمواجهة العربدة الصهيونية في وطننا المحتل وفي لبنان ، ولتمكين الانتفاضة من الاستمرار حتى تبلغ أهدافها ؟!

لقد حاولنا الاجابة عن هذا السؤال في احاديثنا السابقة ، واوضحنا ان

هناك عملاً كثيراً يمكن القيام به على مختلف الصعد ولنا أن نؤكد اليوم على ضرورة تقديم الدعم المادي والدعم المعنوي لأهلنا هناك ، والتعاون على ايصاله . ولنتذكر أن مردود ماينفق في الداخل هو اضعاف ماينفق على السلاح الذي يجري تخزينه هنا وهناك في وطننا العربي من وجهة نظر أمنية ومن وجهة نظر معنوية . ونشير هنا الى أن الصندوق القومي الفلسطيني رحب في اجتماعه الأخير بكل جهد عربي لجمع التبرعات لصندوق الانتفاضة ، وتجاوب مع اقتراح تشكيل لجنة عليا عربية تضم نخبة من خيرة رجال العرب لتشرف على هذا الجمع وعلى ايصال التبرعات للأهل هناك .

لنا أن نؤكد ايضاً على جدوى قيام دولنا العربية بالتلويح بأنها لايمكن أن تسكت عن « العربدة الصهيونية » وتسبق هذا التلويح بمراجعة مالديها من أوراق تستخدمها فيه . ونلاحظ هنا أن بين السلام والحرب مجالا لأعمال كثيرة يمكن القيام بها ، وذلك في معرض البحث عن ارضية اللقاء بين أولئك العرب الذين يفضلون « لغة السلام » لظروف تحيط بهم وأولئك العرب أو مايسمون الاسماء بمسمياتها . وقد شهدت الأيام الماضية حداً أدنى من هذا التلويح دلل على مايمكن أن يحققه حين يستكمل شرائحه .

لنا أن نؤكد على وجوب استمرار القيام بعمليات متميزة ضد العسكرية الصهيونية في وطننا المحتل عام ١٩٤٨ وفي جنوب لبنان . ولنعمل على انجاز ذلك خلال الشهرين القادمين .

* * *

إن دلائل كثيرة تشير الى أن انتفاضة شعبنا العظيمة ستستمر . وقد دللت قيادتها على قدرات متميزة حين دعت الى تصعيدها بمناسبة ذكرى يوم الأرض . وكأنا بزرقاء اليمامة وهي تمد بصرها النفاذ عبر الأيام القادمة ترى حركة جماهيرية فلسطينية فعالة ، واحياءً لذكرى استشهاد عبد القادر الحسيني وتذكيراً بمذبحة دير ياسين في نهاية العشر الأول من شهر نيسان القادم ،

وشهداء آخرون يصبحون أحياء عند ربهم يتقدمون بشعبنا على طريق التحرير ، وتأكيداً أن شعبنا مصمم على ممارسة كل حقوقه التي نستذكرها في يوم فلسطين يوم الخامس عشر من أيار القادم بتفاصيلها . وكأنا بزرقاء اليمامة تمعن النظر لترى هل سيقترن مارأته بأعمال عربية تتكامل مع هذه الأعمال وتكون الرد على العربدة الصهيونية والتهديد الاسرائيلي للسعودية . وقد صدقت رؤيتها هذا الأسبوع حين اضطر شولتز الى لقاء اثنين من شخصياتنا الفلسطينية الأمريكية بصفتهما عضوين من اعضاء مجلسنا الوطني . وكان ذلك من ثمار انتفاضة شعبنا العظيمة . وهو ينبه دولاً أوربية غربية في مقدمتها بريطانيا الى أنها ستعترف عاجلاً أو آجلاً بمنظمة التحرير الفلسطينية .

مبارك يوم الأرض . مباركة انتفاضة شعبنا العظيمة . مبارك كل عمل لمكافحة الصهيونية العنصرية ولتحرير فلسطين .

الانتفاضة وروح المقاومة

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة في أسبوعها السابع عشر . ولقد اتجهت الأنظار الى وطننا فلسطين بمناسبة ذكرى يوم الأرض في الثلاثين من آذار مارس الذي يحل هذا العام في زمن الانتفاضة . ورأى العالم كيف احتفل شعبنا بالذكرى مصعداً انتفاضته ، بينما عدونا الصهيوني العنصري يتخبط وهو يتابع اقتراف جرائمه ضد الانسانية وحالة التوتر الشديد تنتابه .

فرض شعبنا ارادته في ذكرى يوم الأرض على الرغم من كل الاجراءات التي اتخذها عدونا ومنها عزل الضفة والقطاع . وقدم شعبنا عدداً من الشهداء فهم الذكرى وفيهم الانثى وفيهم الطفل والشاب والرجل والشيخ ، عادوا الى أمهم الأرض التي أنبتهم الله منها نباتاً حسناً وهم اليوم أحياء عند ربنا يرزقون .

اكتب وجورج شولتز يعود الى منطقتنا مرة أخرى ضمن التحرك الامريكي الذي فرضته الانتفاضة وما أكثر الشبهات التي تحيط بهذا التحرك بعد أن تأكد أن مشروع شولتز لايضع نصب عينه تحرير الأرض . ولاجدوى من أي حديث لاينطلق من التسليم بتحرير الأرض . وقد أعلن شعبنا هذه القناعة حين قررت قيادة الانتفاضة مقاطعة زيارة شولتز والاضراب يوم زيارته لوطننا فلسطين . وهذا يعني فيما يعني أن نركز اهتمامنا على مواجهتنا للعدو الصهيوني وللعداء الأمريكي لشعبنا وأمتنا ، ولانساق وراء « السبل » التي يحاول التحرك الأمريكي جرنا اليها لتتفرق بنا عن سبيل التحرير .

لقد ألح عليّ ضمن المشاركة في الاحتفال بذكرى يوم الأرض هذا العام

وفي نطاق « المواجهة » أن أتأمل في « روح المقاومة » التي تعبر عنها انتفاضة شعبنا العظيمة وصحوة أمتنا ، لأرداء معرفة بها ولاتعمق فهمها . ودعتني قصص البطولة التي يشهدها وطننا الى أن استرجع ذكريات جهادنا هذه الغزوة الصهيونية . ووجدت نفسي مقبلاً على قراءة شعرنا المقاوم الذي عبّر عن روح المقاومة . وكان الاختيار مطلوباً أمام غزارة هذا الشعر ، فاخترت شعر فدوى طوقان التي تبعث روح المقاومة في شعبها منذ نكبة عام ١٩٤٨ وأحسنت التعبير بلسان المرأة المقاومة أخت الرجال المقاومين .

* * *

كانت نكبة عام ١٩٤٨ بداية مرحلة جديدة من مراحل قضية فلسطين تختلف عن سابقاتها شهدت حدوث زلزال يوحي بزلزال الساعة ، نجم عنه تشريد شعبنا واقامة كيان صهيوني عنصري استعماري على جل ارض وطننا . وما أروع ماظهرت روح المقاومة مرة أخرى في أوساط الشعب المشرد الذي حمل قسم كبير منه اسم « لاجئين » . وقد رسمت لنا فدوى طوقان في ديوانها الأول « وحدي مع الأيام » صورة لاجئة في العيد تعيش تحدي النكبة وتستجيب له بتحديد هدفها . فهي بمناسبة العيد « ترنو الى اللاشيء » بين الخيام كالتمثال الشقي « منسرحاً مع الأفق البعيد » وتتساءل الشاعرة :

أترى ذكرت مباهج الأعياد في يافا الجميلة ؟
أهفت بقلبك ذكريات العيد أيام الطفولة ؟

وترى فيها « نار الذكريات وهي مشتعلة » وقصة « البؤس والعار » وهي تذكي روح المقاومة ، وترضع « اللاجئة » ابنها هذه الروح وتسكب لأعماقه مع لبنها « دفقة زاخرة » ، وتصف الشاعرة صورة « رقية »

تململ في حضنها فرخها فضمته محمومة ثائرة
ومالت عليه وفي صدرها مشاعر وحشية هادره
لترضعه من لظى حقدها ونار ضغائنها الغائرة
وتسكب من سم خلجاتها بأعماقه دفقة زاخرة

كما تصف الشاعرة في ديوانها « وجدتها » مدى إلحاح « نداء الأرض » على ابن فلسطين الذي يحيا بروح المقاومة . وقد حدد ابن فلسطين هدفه « سأرجع لابد من عودتي » . وتصور لنا شاعرتنا ذلك الشيخ الذي لبى « نداء الأرض » وسيطرت عليه فكرة العودة في سنوات الخمسينات فحزم أمره وعبر « الحدود » التي اقاموها بينه وبين أرضه ، في بطولة فردية رائدة مفعمة بالعاطفة

وأهوى على أرضه في انفعال يشم ثراها
يعانق أشجارها ويضم لآلي حصاها
ومرّغ كالطفل في صدرها الرحب خداً وفم
والقى على حضنها كل ثقل سنين الألم
وهزته أنفاسها وهي ترعش رعشة حبّ
وأصغى الى قلبها وهو يهمس همسة عتبِ
رجعتَ اليّ ؟!
.. رجعتُ اليك وهذي يدي
سأبقى هنا ، سأموت هنا ، هيئتي مرقدي
وكانت عيون العدو اللئيم على خطوتين..

تدفقت موجة التحرير في الخمسينات فعمت اجزاء كثيرة من وطننا العربي وآسيا وافريقيا . وقويت مع تدفقها روح المقاومة في شعب فلسطين العربي ، وكبرت معها أحلامه . ورفع هذا الشعب شعار الفداء في الستينات ، وأقام كيانه وباشر نضالاً على صعد عدة . واذا بنكسة ١٩٦٧ تقع ، واذا بالمدّ يتراجع . وتنادي شاعرتنا

أواه يامدينتي الصامتة الحزينة أهكذا في موسم القطاف
تحترق الغلال والثمار أواه يا نهاية المطاف

تَصَوّر أعداؤنا أن نكسة ١٩٦٧ قضت على الأمة العربية وخنقت روح المقاومة ، وعبرّ موشى ديان عن هذا التصور حين جلس ينتظر اتصالاً هاتفياً

عزيباً يعلن الاستسلام ولكن الأمة استجابت لتحدي النكسة بالصمود ، واستجاب شعبنا الفلسطيني بتصعيد المقاومة وصورت شاعرتنا روح المقاومة وهي تُبشر بقيام ومجيء الطير .

هتفوا ، ومضت عبر الأجـواء الغريبـة
تتصادي بالبشرى، الأنباء: هوت الشجرة!
ستقوم الشجرة ستقوم الشجرةُ والأغصانُ
ستنمو في الشمس وتخضرّ وستورق ضحكات الشجرة
في وجه الشمس وسيأتي الطير لابد سيأتي الطير
سيأتي الطير سيأتي الطير

تألق شعبنا وروح المقاومة تبعث حياة جديدة في الوطن الحبيب يراجه بها ارهاب الاحتلال . وقد خاطبت الشاعرة هذا الوطن الحبيب

من اختلاج الموت والحياة ستبعث الحياة فيك من جديد
ياجرحنا العميق انت ياعذابنا ياحُبّنـــا الوحيـــد .

وغذّى شعبنا أطفاله روح المقاومة . وحدثتهم شاعرتنا عن « قصص هنا جديدة » غير حكايا « سندباد البحر » ، هي من قصص النازي والنازية في أرضنا يشيب لهولها الولدان . وأجلت روايتها لهم حتى يكبروا .

لاتسألوا متى وكيف تنتهي حكاية الشتات والضيـاع
لن تفهموا اليوم الجواب وحين تكبرون ياأحبتـي
تنبيكمـو الأيـام ويومها ستحملون العبء مثلنا
وتأخـذون الـدور مثلنـا في قصة الكفـاح
ويومهـا ياكنزنـا المنـذور ستعرفون متى واين يلتقي المشتتون
وكيـف تنتهي حكايـة الشتـات والضيـاع

دخلت مقاومة شعبنا مرحلة جديدة بعد نكسة ١٩٦٧ ، وبرزت كأشرف ظاهرة في الحياة العربية المعاصرة . وقدمت الأرض « النفوض » كثيرة

الولد فتيانها للثورة . وتوصف المرأة بأنها نفوض حين تكون كثيرة الولد . وما أعظم أوجه الشبه بين الأرض والمرأة . وقد أبرزت شاعرتنا هذا الشبه في قصيدتها « حمزة » التي جسدت فيها روح المقاومة .

كان حمزة واحداً من بلدتي كالآخرين
طيباً يأكل خبزه بيد الكدح كقومي البسطاء الطيبين
قال لي حين التقينا ذات يوم وأنا اخبط في تيه الهزيمة
اصمدي يا ابنة عمي هذه الأرض التي تحصدهانار الجريمة
والتي تنكمش اليوم بحزن وسكوت هذه الأرض سيبقى قلبها المغدور
حياً لايموت

هذه الأرض امرأة في الأخاديد وفي الأرحام سر الخصب واحد
قوة السر التي تنبت نخلاً وسنابل تنبت الشعب المقاتل

ولقد قام أحد ابناء حمزة ليقاتل ، وتم القبض عليه وأصدر الحاكم العسكري أمره « انسفوا الدار وشدوا ابنه في غرفة التعذيب » ثم قام يتغنى « بمعاني الحب والأمن واحلال السلام ! » أما حمزة ابن الخامسة والستين فقد

فتح الشرفات حمزه تحت عين الجند للشمس وكبّر ثم نادى
«يافلسطين اطمئني أنا والدار وأولادي قرابين خلاصك نحن من اجلك نحيا ونموت» وسرت في عصب البلدة هزه حينما رد الصدى صرخة حمزة وطوى الدار خشوع وسكوت أمس أبصرت ابنَ عمي في الطريق يدفع الخطو على الدرب بعزم ويقين لم يزل حمزة مرفوع الجبين

شهدت ارضنا مخاضاً وصفته شاعرتنا في قصيدتها«خمس اغنيات للفدائيين»
الريح تنقل اللقاح وأرضنا تهزها في الليل رعشة المخاض
ياغدنا الفتي خبر الجلاد كيف تكون رعشةُ الميلادخيرّة كيف يولد الأقاح
من ألم الأرض وكيف يبعث الصباح من وردة الدماء في الجراح .

وكان لسان حال الفدائي الذي أنبته الله من الأرض نباتاً ، وهو يعطي أرضه حياته في سبيل الله

كفاني أموت على أرضها وأدفــــــــن فيهاوتحت ثراها أذوب وأفنى
وأبعث عشباً على أرضها وأبعث زهرة تعيث بهاكف طفل نمته بلادي
كفاني أظل بحضن بلادي ترابــــــاً وعشبـــــأوزهرة .
ويجلجل صوت المقاومة مردداً « حريتي ! حريتي ! حريتي »
ويردد النهر المقدس والجسور حريتي والضفتان ترددان حريتي
ومعابر الريح الغضوب والرعود والاعصار والأمطارفي وطني ترددهامعي حريتي

وتنشب حرب رمضان فتأخذ روح المقاومة ابعاداً جديدة في السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣

تفجر الصوت العظيم بالرعود والبروق حاملا النبوءةمجتثــــاً الخرافـــــة
وانطلق الجندل المسحوق نظرة على الطريق ونظرةعلى السماء الرحبة المضيئة
ونمط في القنـــــاة مقتسلاً متمماً وضوءوقـــــــامت الصلاة

ويتابع « الفداء » ماحققته حرب رمضان . وعبثا يحاول العدو قتل روح المقاومة . وحين استشهدت « منتهى » الطالبة ابنة السبعة عشر ربيعاً في مظاهرة يوم ١٩٧٤/٤/١٥ برصاص العدو قالت شاعرتنا

تفتح مريولها في الصباح شقائق حمراً وباقات ورد
وعادت الى الكتب المدرسية كلّ سطور الكفاح التي حذفوها
وعادت الى الصفحات خريطة أمس التــــي طمسوهــــا
ورفــرف مريــولها رايــــةً في صفـــــــوف المدارس
ومافتلوا منتهى وماصلبوها لكنما خرجت منتهى تعلن اقمار افراحها في السماء الكبيرة
وتعلن بأن المطاف القديم انتهى وتعلن أن المطاف الجديد ابتدأ

لقد كبر أطفالنا الذين تشربوا روح المقاومة « اكثر من سنوات العمر » وأمسكوا بالحجارة ليرجموا بها عدوهم . وقد سجلت شاعرتنا عام ١٩٧٦ بداية « اطفال الحجارة »

صاروا الصوت الرافض صاروا جدليـــة. هدم وبنـــاء
صاروا الـــغضب المشتعـــل على أطراف الأفق المسدود يكتسح
صفوف مدارهم؛
يجتـــاح شوارع وحـــواري يتمركز في قلب « الدوار »
وعلى الدبابـــات الجهمـــة يطلـــق رشاش الأحجـــار !

هكذا تفعل روح المقاومة ، تحول الطفل الى مقاوم ، فتزيد من روعة الطفولة وعطائها ، وتهزم اليأس . وبفضل هذه الروح يتفاءل المقاوم بالحياة ولسان حاله يردد

وأعلمُ أن الحياة تظل صديقة   وأن القمر، وان ضل عني سيعرف نحوى طريقه

ما أعظم ماتوحي به انتفاضة شعبنا ، وما أروع ماتعد به . وان فهم « روح المقاومة » كفيل بأن يفشل كل محاولات التحرك الامريكي الالتفاف على هدف تحرير الأرض . فلا بديل عن التحرير ، ولابديل عن تصعيد الانتفاضة حتى يتحقق التحرير . وقد وفرت هذه الانتفاضة لأمتنا فرصة لم نعرف مثيلاً لها منذ عام ١٩٧٣ . وأمتنا مدعوة الى أن تستهل هذه الفرصة بالقيام بأعمال تتكامل مع الانتفاضة وتفرض على عدونا أن يسلم بحقوقنا وعلى الولايات المتحدة أن تكف عن مواجهتنا بالعداء . ومطلوب أن نفكر في هذه الفرصة وفي الأعمال التي يجب أن نقوم بها . ومطلوب أن نعمل بكل طاقتنا .

الانتفاضة .. ووداع أبي جهاد

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة في أسبوعها التاسع عشر . وقد أمضيت الأسبوع الثامن عشر وأنا في تونس ثم المغرب ، أتابع أخبارها ، وأشارك في واجبات متصلة بعملنا الفلسطيني ، وأتأمل في مسار الأحداث ونصب عيني « تحرير الأرض » هدف الانتفاضة العظيم .

كم أسعدني بخاصة أن أتعرف على تفاعل أهلنا في المغرب الكبير مع الانتفاضة بعد أن تعرفت في الشهرين الماضيين على تفاعل أهلنا في المشرق معها . وقد تأكد لي أن هذه الانتفاضة هي عند جماهير أمتنا التعبير الأروع عن بداية الصحوة العربية في مواجهة الغزوة الصهيونية وتجلت لي وحدة أمتنا في أروع صورها من خلال تفاعل ابنائها في مشرق وطنهم ومغربه مع الانتفاضة . ورأيت مافعلته الانتفاضة في ايقاظ القوى الكامنة في شعوبنا . ومازلت أذكر قول أحد القيادات المغربية الشعبية لي وهو يجيبني عن سؤالي « كيف الحال ؟ » « إن أهلك وأخوانك في المغرب يعيشون مع انتفاضة أهلهم واخوتهم في فلسطين . وأنا لم أر على مدى اربعين سنة أمضتها في العمل لفلسطين مثل هذا التجاوب مع جهاد شعب فلسطين ، وأنت تعلم قوة ارتباطنا بقضية فلسطين . ويمكنني أن أشير الى ثلاث ظواهر لم أرها بهذه القوة وهذا الوضوح من قبل . أولها شمول التجاوب كل الناس بمختلف فئاتهم . وثانيها إجماع القوى السياسية على هذا التجاوب وعملها معاً للتعبير عنه ، وقد أوصل هذا العمل الى تجسيد الوحدة الوطنية بينها . وثالثها المشاركة الفعالة للمرأة في الفعمل من أجل الانتفاضة » .

وجدت نفسي وأنا أتأمل في مسار الأحداث على مدى أربعة شهور منذ بدأت الانتفاضة ، ناظراً في طبيعة الحرب الدائرة على أرض وطننا فلسطين ، ومحاولاً بلورة الاجابة عن سؤال يلّح في أوساط أمتنا حول مدى قدرة شعبنا على الاستمرار في العطاء السخي ، ومبلوراً الالتزامات التي يجب أن نوفي بها . وقد ساعدتني اللقاءات الحافلة التي شاركت فيها على أن استمع الى آراء أخوتي حول هذه الأمور ، وكل منهم يؤدي دوره القيادي في موقع متميز . واذكر بخاصة حديث أخي أبي جهاد .

* * *

أتابع الكتابة بعد أن توقفت عنها عند سماعي قبْل ساعات نبأ استشهاد أخي أبي جهاد ، ونحن في التاسع والعشرين من شعبان من سنة ١٤٠٨ هـ . الموافق السادس عشر من نيسان ١٩٨٨ م . توقفتُ لأصلي ، وأدعو ، وأتواصل مع بعض أخوتي نتبادل التعازي ، وأقرأ آيات بينات من القرآن الكريم نزلت بعد غزوة أحد وأعيش مع ذكرياتي عن « أمير الجهاد » أخي أبي جهاد .

سمعتُ باسم خليل الوزير لأول مرة عام ١٩٥٩ حين مررت بالقاهرة لألتحق بالدراسات العليا وأنا في طريقي الى طرابلس الغرب لأتابع عملي كمدرس فيها ، وكنت عائداً من دمشق التي تخرجت في جامعتها . وقد أسعدني ماسمعته من اخوة لنا من ابناء قطاع غزة عنه ، في معرض حديثنا عن العمل الفلسطيني الذي كنا مقبلين عليه وهو في بداية مرحلة جديدة من مراحله المتصلة . واذكر لقاءنا الأول بعد أربع سنوات في طرابلس حين بادرني بالاتصال والحديث المستفيض الذي دار بيننا حول آفاق عملنا الفلسطيني . وقد عزز ذلك الحديث تعارفاً بيننا تم عن بعد ، وبدأ الصفحة الأولى من كتاب علاقتنا الأخوية على مدى ربع قرن منذ أكتوبر تشرين الأول عام ١٩٦٣ . وكان أبو جهاد أحد مؤسسي حركة التحرير الوطني الفلسطيني .

يتتالى شريط الذكريات أمامي فأرى كيف تعاونا معاً في زيارته تلك لليبيا

وكيف أثمر ذلك التعاون خيراً على الصعيدين الشعبي والرسمي . وكانت ليبيا تشهد تحركاً قوياً من أجل قضية فلسطين . ثم أرى لقاءنا معاً في القدس في أيار مايو ١٩٦٤ ونحن نشارك في انشاء منظمة التحرير الفلسطينية كعضوين في أول مجلس وطني فلسطيني وقد عملنا معاً في اطار اللجنة السياسية وتفاعلنا مع بقية أعضاء المجلس . وجمعنا طريق العمل لتحرير فلسطين وكل يؤدي دوره من موقعه سنواتٍ متتالية ، حتى عملنا عن قرب طوال العقد الماضي من السنين .

تميز أبو جهاد بقدراته العملية ، وبدأبه ، وبهدوئه ، وبصفائه . وتخصص في العمل داخل الوطن المحتل ، فحقق الكثير . وشاء الله له أن يتوج جهاده بقيادته انتفاضة شعبنا العظيمة ، وأن يختاره الى جواره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، وأن يكرمه بالشهادة في سبيله وهو الذي حفظ لشهدائنا ماقدموه لشعبهم وأمتهم . وما أكثر مايمكن أن نكتبه عن أبي جهاد وبخاصة المعارك العسكرية التي قادها ضد العدو بأساليب متميزة تطرح بمجموعها فريداً في حروب التحرير ضد الاستعمار الاستيطاني . ولعلنا نتابع تناول ذلك في احاديث أخرى .

* * *

كان لقاؤنا الأخير في تونس قبل عشرة أيام وامتد لساعات ثلاث مع عدد من اخوتي اعضاء اللجنة المركزية . وقد استمعت اليه وهو يعلق على حديثي عن مسار الأحداث .

إن الحرب الدائرة على أرض وطننا فلسطين من طبيعة خاصة ، لم يسبق لعدونا أن خاض مثيلاً لها . وكان أبو جهاد مهتماً بأن نستحضر خسائر العدو في هذه الحرب لنقدر تقديراً دقيقاً ماحققته الانتفاضة . وقد أشار الى عدد السيارات الاسرائيلية العامة التي احترقت والسيارات الصغيرة والآليات المختلفة ، والى عدد العمال الفلسطينيين الذين توقفوا عن العمل في المصانع الاسرائيلية ومانجم عن ذلك من اضرار بالانتاج الاسرائيلي ، والى انخفاض

تصدير البضائع الاسرائيلية الى الضفة والقطاع ، والى ما أصاب السياحة الاسرائيلية من اضرار ، والى انخفاض العائدات المالية والجمركية الاسرائيلية . وكان يورد الاحصاءات والتقديرات . وقد فصل الحديث عن زيادة الانفاق العسكرى الاسرائيلي الذي تضاعف مرات كثيرة ، ليصل من ذلك كله الى ايضاح الطبيعة الخاصة للحرب الدائرة وإلى أن أمتنا العربية قادرة على أن تعلم عدونا بانتفاضة شعبنا العظيمة درساً لن ينساه .

إن قدرة شعبنا على العطاء عظيمة . وحين توجهت اليه بالسؤال عن مدى استمرار الانتفاضة بعد شهرين آخرين قائلاً له « دانت في موقع تجعلك الأقدر على التقدير الدقيق » ، أجابني « إنها ستستمر بإذن الله فترة طويلة حتى تحقق أهدافها . إن شعبنا يحيي كل أيامه الماضية وهو يتابع انتفاضته ، وما اكثر أيامه . وهو مصمم على المتابعة » . وكان واضحاً من الحديث أن على أمتنا أن تأخذ هذه الحقيقة في اعتبارها وهي تتعامل مع الأحداث الراهنة وتواجه عدونا الصهيوني في أفضع ممارساته .

إن الالتزامات التي يجب أن نوفي بها كثيرة على الصعيدين الفلسطيني والعربي . وقد شرح أبو جهاد ماتستلزمه الانتفاضة من دعم بالأرقام . وتبلور حديثنا عن مجموعة أفكار حول مايمكن للدول العربية أن تقوم به للوفاء بالتزاماتها تجاه الانتفاضة ، ولعلي أتناولها في حديث آخر .

* * *

واضح ان حدث استشهاد أخينا الحبيب أبي جهاد يفرض نفسه على مسار الأحداث . وهو حدث له مابعده . ويقيني أن شعبنا المؤمن شأن أمتنا المؤمنة سيستجيبان له الاستجابة الصحيحة مزيداً من الجهاد وفاء لذكرى أمير الجهاد أبي جهاد ، وإن لنا أن نستذكر الآيات الكريمة التي نزلت بعد معركة أحد واستشهاد حمزة بن عبد المطلب وعدد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . « ان يمسسكم قرح فقد مس القومَ قرح مثله . وتلك الأيام نداولها

بين الناس . أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ؟ » ونستذكر كيف أمر رسول الله بدفن شهداء أحد حيث قتلوا ، وكان يجمع بين الرجلين في ثوب واحد ثم يقول أيهم اكثر أخذاً للقرآن فإذا أشير الى أحدهما قدمه في اللحد وقال « أنا شهيد على هؤلاء أنه مامن جرج يجرح في سبيل الله الا والله يبعثه يوم القيامة يدمي جرحه ، اللون لون دم ، والريح ريح مسك » . ونستذكر كيف دفن اجدادنا موجدتهم في افئدتهم ولم يستسلموا لأحزان المصاب الجلل الذي حلّ بهم ، وتجلدوا ولم يتضعضعوا ، وعسكروا بعد « أحد » بحمراء الأسد في انتظار عودة اعدائهم . ثم نستذكر كيف تتالت الانتصارات بعد أحد حتى توجت بفتح مكة ، ونزلت سورة الفتح « اذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجاً ، فسبح بحمد ربك واستغفره ، انه كان تواباً » .

احداث كثيرة تجري في الأسبوع التاسع عشر من انتفاضة شعبنا العظيمة . فالانتفاضة مستمرة وقد سجلت يوم الجمعة منه تصاعداً هائلاً . وسجلتّ منظمة الأمم المتحدة قيام الولايات المتحدة بالاعتراض في مجلس الأمن على قرار يدين الكيان الصهيوني لابعاده بعض اهلنا ولممارسته . وواضح أن الولايات المتحدة مستمرة في طريق العداء لشعبنا أمتنا وسائرة في طريق العزلة عن الأسرة الدولية التي صوتت جميعها مع القرار . وواضح أيضاً أن هذا السير له عواقبه التي ستتنبه لها الإدارة الأمريكية بعد فوات الآوان . ويأتي حدث استشهاد أبي جهاد ليقترن بهذا الأسبوع ، وليصبح يوم السادس عشر من نيسان من أيام شهدائنا نقف فيه مستذكرين ونستلهم من جهاد أبي جهاد ما يدفع بمسيرة التحرير نحو هدفها .

إن الحدث يفرض علينا وقفة فلسطينية وأخرى عربية تصوغ فيهما الرد على الجرائم الصهيونية . ونتبادل العزاء في مصابنا بخليل الوزير الشهيد البطل أمير الجهاد أحد مؤسسي حركة التحرير الوطني الفلسطيني وعضو لجنتها المركزية ونائب القائد الأعلى لقوات الثورة الفلسطينية وأحد مؤسسي حركته

التحرير الفلسطينية وعضو مجلسها المركزي وأحد ابرز قياداتنا الفلسطينية .

رحم الله أبا جهاد ، وأخذ بيد شعبنا في انتفاضته العظيمة ، وأعاننا على أن نتابع الجهاد وفاء لذكرى أمير الجهاد وذكرى شهداء الانتفاضة جميعاً حتى نحرر الأرض . وأنها لساعة للعمل .

الانتفاضة وأداء الواجبات نحوها

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة في أسبوعها الحادي والعشرين . وقد ظهرت بدايات بعض التحولات المباركة التي توقعنا حدوثها في أعقاب تشييع جثمان شهيدنا أمير الجهاد أبي جهاد .

إن من ابرز هذه البدايات اللقاءات التي تمت في دمشق على الصعيد الفلسطيني ، وعلى صعيد العلاقات الفلسطينية السورية . وهي تتطلب عملاً لاستكمالها ، كي تكتمل الوحدة الوطنية الفلسطينية ، وتتخلص العلاقات الفلسطينية السورية من الشوائب العالقة بها ، ويحدث الانطلاق الى توثيق العلاقات بين دول المواجهة على قاعدة دعم الانتفاضة ومواجهة العدوان الصهيوني . وإن لنا أن نستلهم من روح أبي جهاد وتجربته في الحوار من أجل تحقيق الوحدة الوطنية وصبره عليه مايمكننا من انجاح هذا العمل ، مدركين أن هناك عقبات تواجهنا ، وأن علينا رأب صدوع حدثت منذ خمس سنوات . وسننجح بإذن الله لأن الانتفاضة تدعونا إلى أن نخضع كل التناقضات الثانوية في دائرتنا العربية لمتطلبات حسم تناقضنا الرئيسي مع عدونا الصهيوني .

* * *

حوادث مهمة عدة حدثت خلال الأسبوع الماضي صدّقت (بتشديد الدال) توقعاتنا التي توقعناها والانتفاضة في بداياتها . ولنا نشير على الصعيد الاسرائيلي الى اجراءات القمع الجديدة التي تستهدف تجريح أهلنا في المخيمات داخل وطننا المحتل وتحاول عبثاً زرع الخوف في قلوب شعبنا . كما نشير على الصعيد الفلسطيني الى استمرار الانتفاضة وتصاعدها والى نجاح الإضراب

الذى اعلنته قيادتها تعبيراً عن مشاركتها في وداع أبي جهاد واستمرارها في مواجهة العدوان الصهيوني . ونشير على الصعيد العربي إلى تكثيف عمليات المقاومة في جنوب لبنان ، والى العملية المتميزة التي جرت في شمال فلسطين ومثّلت اختراقا آخر لتحصينات العدو . وعلينا أن نشير ايضاً هنا الى الجريمة النكراء التي حدثت في طرابلس الشام وذهب ضحيتها العشرات من القتلى والجرحى حين انفجرت سيارة مفخخة في سوق الخضار ساعة ازدحامه . وقد تذكرت وأنا أتابع أخبار هذه الجريمة ماقاله مناحيم بيجين لبشير الجميل في نهاريا ـــ كما ذكر شقيقه في كتاب اصدره مؤخراً بالفرنسية ونقلت عنه الصحف الاسرائيلية ـــ حين رفض بشير التوقيع على اتفاق سلام مع اسرائيل « ليباركك ألرب ، انني لاأرغب في تدمير بلادكم ، ولكن اذا كان ماتقوله هو الرد النهائي فعلينا إنهاء ماقمنا به » . تذكرته لأن الذين قاموا بالجريمة هم أدوات بيجين وخلفاؤه . ويبقى أن نشير على الصعيد الدولي إلى مواقف الولايات المتحدة في مجلس الأمن التي اكدت استمرارها في مجابهتنا بالعداء كما توقعنا ، وإلى قيام جبهة عمالية ايطالية بحقن ليمون مستورد من الكيان الصهيوني بمادة تمنع أكله تعبيراً عن غضبها على جرائم الصهيونية في وطننا المحتل . وهذا الحادث يُصدِّق توقعنا أن تتحرك قوى أوروبية لمقاومة الصهيـ نية العنصرية وبخاصة في الدول الأوروبية المتوسطية ، وأول الغيث قطرة ثم ينهمرُ .

* * *

نتابع النظر فيما تحققه الانتفاضة على صعيد العدو ، ونتأمل بخاصة في ممارسات العدو لنتعرف على أفكاره حول كيفية التعامل مع الانتفاضة التي توشك أن تكمل شهرها الخامس ، وذلك كي نذكر بواجبات ملحة تدعونا إلى أن نقوم بها .

واضح من اجراءات القمع الصهيونية الجديدة التي تستهدف التجويع أن عدونا حتى أسير فكرة واحدة هي القضاء على الانتفاضة . وقد عبّر اسحق رابين عنها بقوله في حوار أجرته جريدة دافار معه « استخدام القوة حتى نحطم

أوهام المواطنين الفلسطينيين الذين يعتقدون بامكانية تحقيق شيء عن طريق المظاهرات » . ونقرأ برنامجاً انتخابياً لرفائيل ايتان عن « حركة تسومت » فنجد فيه « تأييد اتخاذ اجراءات ضد (الارهاب) داخل حدود اسرائيل وخارجها . وتأييد سيطرة القانون الاسرائيلي باستخدام كل الوسائل الممكنة من قبل قوات الأمن الاسرائيلية . وطرد كل عربي يؤيد المنظمات الفلسطينية ومصادرة ممتلكاته والغاء جنسيته .. » وايتان هذا هو أحد مجرمي الغزو الاسرائيلي للبنان ، وقد صرح مراراً اثناء الانتفاضة قائلا « يجب ضربهم بشكل أشد ، وان نذلهم مرة والى الأبد » .

إن عدونا يتعامل مع انتفاضة شعبنا العظيمة على أساس أنه يخوض حرباً بكل ماتعنيه كلمة الحرب وما تحمله من أبعاد . وقد عكف بعض الدارسين الاسرائيليين على تحليل هذه الحرب بعد أن استمرت ثلاثة شهور ، وانتهى احدهم وهو يورام بري الى « ان هذه الحرب تختلف اختلافاً بيناً عن الحروب الست التي سبقتها . وهي حرب لم يسبق للجيش الاسرائيلي ان خاض غمار مثلها من منذ وجود اسرائيل . فهي تختلف عن الحرب التي خاضها ضد الجيوش العربية النظامية ، وتختلف عن الحرب التي خاضها ضد ميليشيات منظمة التحرير وحركة أمل والميلشيات الدرزية في الحرب اللبنانية ، بل ان المقارنة بينها وبين احداث ٣٦ ــ ١٩٣٩ واهية للغاية » . وقد أوضح « أن كبار رجال هيئة الأركان العاملة في الجيش الإسرائيلي لا يستخفون بهذه الحرب ابداً ، بل يقول بعض جنرالاتها ، إن نتائجها بالنسبة الينا لن تكون أقل مصيرية مما كانت عليه نتائج حربي عام ١٩٦٧ وعام ١٩٧٣ » .

آلاف الصدامات حدثت في هذه الحرب ولاتزال تحدث بين جيش نظامي يسانده جيش شعبي من المستعمرين المستوطنين الصهاينة من جهة وجماهير شعبنا المدنية العزلاء من جهة أخرى . وقد استخدم عدونا في هذه الحرب كل أسلحة القمع من تكسير العظام الى نسف البيوت الى الابعاد الى غازات القنابل المسيلة للدموع الى الرصاص المطاطي الى الرصاص « الحي » ،

وجماهير شعبنا المدنية العزلاء تقاوم بالحجارة بدون كلل ، وكلها ثقة بالنصر .

لقد رتب عدونا أمره على أن يكسب هذه الحرب بالقضاء على الانتفاضة ، وباشر ممارسة أشد الضغوط على جماهير شعبنا المدنية العزلاء . وتتمثل هذه الضغوط « في اغلاق المناطق المحتلة أمام تدفق النقود من الخارج في وقت تدنّت فيه دخول المواطنين في اعقاب توقفهم عن العمل ، اضافة الى باقي مناحي الضغط الاقتصادي الأخرى » ، فضلا عن الاعتقال والترهيب والابعاد والقتل .

واضح أن جماهير شعبنا المدنية العزلاء موطنة النفس على الصمود أمام ذلك كله ، وعلى كسب معركة الحق التي اطلق عليها عدوها اسم « الحرب السابعة » ، وعلى بلوغ هدف انتفاضتها العظيمة وهو تحرير اراضيها المحتلة . والسؤال الذي يبرز بالحاح ونحن نتابع مايجري من ممارسات صهيونية عنصرية اجرامية ..

هل يجوز أن تبقى جماهير شعب فلسطين العزلاء وحدها في مواجهة العسكرية الصهيونية العنصرية ؟

والى متى يمكن أن يصبر العالم على الجرائم الصهيونية التي يجري اقترافها يومياً ؟

وما الذي يمكن عمله لايقاف هذه الجرائم ؟

وكيف نعمل ؟

ليس هناك عربي الا ولسان حاله يقول « لايجوز أن تبقى الانتفاضة التي اعطتني مااعطتنيه وحدها » ومثله المسلم وكل حرّ في عالمنا . ولنا ان نتوقع من ثم تحركات فعالة تعبر عن حيوية امتنا في المقام الأول ، وتوظف هذه الحيوية توظيفاً صحيحاً جيداً لايقاف العدوان الصهيوني ، وتنهض بالواجبات الملقاة على عاتق ابناء الأمة تجاه الانتفاضة .

إن النهوض بهذه الواجبات يقتضي قيام الحكومات العربية بمسؤولياتها . وقد آن الأوان لاتفاقها الجماعي على سبل دعم الانتفاضة والوقوف في وجه العدوان الصهيوني ، وقيام كل منها باستخدام مالديه من أوراق . وهي حين تنهض بمسؤولياتها انما تدافع عن نفسها في الوقت الذي تدافع فيه عن الانتفاضة ، لأن الانتفاضة كما كرر أخي السفير محمد الفرنواني مرات في الأونة الأخيرة « هي خط الدفاع الأول عن الحكومات والشعوب العربية » .

لابد لنا أن نفهم الصهاينة أن جرائمهم لن تمر دون عقاب . واذا كانوا قد حكموا بالاعدام شنقاً هذا الأسبوع على من سموه « ايفان الرهيب » لأنه من مجرمي النازية على جرائم اقترفها قبل بضع واربعين سنة ، فإن أمتنا ستلاحق مجرمي الحرب الصهاينة أينما كانوا .

لابد أن نفهم الصهاينة أن حربهم الانتفاضة لن يصل بهم الى شيء ، وأن مايصل بهم هو الاعتراف بشعب فلسطين العربي وحقوقه والانسحاب الفوري من الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة . وهم يخطئون اذا أجلوا هذا الاعتراف وهذا الانسحاب ، أو اذا قالوا اننا لن نتراجع عن اخماد الانتفاضة ، لأن ذلك سيصل بهم إلى الغرق في جرائمهم .

* * *

لقد صدقت بعض توقعاتنا ، ومازلنا ننتظر أن تصدق بقيتها . توقعنا أن تزداد المقاومة في جنوب لبنان قوة وصدق التوقع . ومطلوب أن تتصاعد هذه المقاومة اكثر واكثر . واذا كانت تفرض اليوم على الكيان الصهيوني ان يستنفر لها حوالى خمسة وعشرين ألف جندي فإنها حين تتصاعد ستفرض عليه ان يضاعف هذا العدد . وتوقعنا ان تتتالى العمليات الفدائية التي تخترق العدو وتستهدف العسكرية الصهيونية وصدق التوقع . ومطلوب أن تتضاعف هذه العمليات وتشغل أجهزة العدو وآلافاً من قواته بفعل ابداع القائمين بها وتحركهم براً وبحراً وجواً . وتوقعنا أن تُلوح الدول العربية بعدم قدرتها على

السكوت عن الجرائم الصهيونية ولقد قامت قيامة العدو حين نظمت دولة عربية مناورات على مقربة من حدوده ، واضطر الى أن يحشد قوات على جبهته مع تلك الدولة ، وسنتناول هذا الحادث بتفصيل في مقال آخر . ومطلوب أن يتكرر التلويح ويتكثف حتى يضطر العدو الى شغل اضعاف قواته . وتوقعنا أن يعبر ابناء امتنا عملياً عن غضبهم على الجرائم الصهيونية بأعمال ضد الصهيونية وكل من يواليها . ومازلنا ننتظر صدق هذا التوقع . وتوقعنا أن يعبر احرار العالم وبخاصة في أوروبا الغربية عن سخطهم على الجرائم الصهيونية ، وصدق التوقع مؤخراً . وما زلنا ننتظر الكثير على هذا الصعيد وتوقعنا أن يتحرك الاتحاد السوفيتي ضمن مسؤولياته كقوة عظمى ليحذر الصهيونية . وهناك بوادر أولى تشير الى اقتراب تحقق هذا التوقع . وحديث الاتحاد السوفيتي يستحق مقالا خاصاً

بقي ان نقول إن كل ماتوقعناه كأمة من انتفاضة شعبنا العظيمة صدق ، بل ان ماحققته فاق كل توقع . وهاهي تفرض على العدو أن يحشد في مواجهتها عشرات الألوف من جنوده الذين يواجهون لأول مرة — كما قال رابين « فلسطيني المناطق المحتلة وفلسطيني الانتداب منذ الخامس عشر من أيار ١٩٤٨ » ، في « حرب تحرير وطني ضد احتلال اجنبي وغير شرعي » كما قالت دراسة اسرائيلية . وقد اعترفت هذه الدراسة « ان الجيش الاسرائيلي يقف في الآونة الحالية أمام مفترق طرق محوري جديد على صعيد بنيته ، أو بمعنى آخر أمام ضرورة الاستعداد لمواجهة الحرب الدفاعية الثورية طويلة الأمد ، الأمر الذي سيحوله الى جيش احتلال حقيقي منذ الآن » . والحق أن الجيش الاسرائيلي كان دوماً جيش احتلال ، ولكن الصهاينة ظنوا أنهم سيكتفون بمئات منه للسيطرة على الضفة والقطاع ، وقد خيَّبت الانتفاضة ظنهم .

اننا مدعوون لأداء واجباتنا كي نوقف الجرائم الصهيونية .. كلٌ في موقعه ، وكل بحسب امكاناته ، وكل وفق مسؤولياته . ولابد للانتفاضة أن تنتصر ، وتنقذ الصهاينة من شرور انفسهم وسيئات أعمالهم .

الانتفاضة .. وحديث عن الاتحاد السوفييتي

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة في أسبوعها الثاني والعشرين ، وهي تفعل فعلها على الصعيد الدولي فارضة بحث قضية فلسطين في المحافل الدولية وفي الاتصالات الثنائية بين الدول . وقد رأينا كيف وجه الاتحاد السوفييتي الدعوة لقيادة منظمة التحرير الفلسطينية لزيارة موسكو ، وتم اللقاء بين جورباتشيف وأبي عمار في الأسبوع الثاني من نيسان ابريل ١٩٨٨ . كما لفت الانتباه ماورد في البيان المشترك عن المباحثات السوفيتية التركية التي جرت في انقره مؤخراً حول الانتفاضة وقضية فلسطين . وكان واضحاً اثناء المباحثات التي جرت بين شولتز وشيفرنادزه في موسكو يوم ٢٢ نيسان ابريل ١٩٨٨ أن قضية فلسطين احتلت مكاناً مهماً فيها . ولنا أن نتوقع أن يفرض استمرارا الانتفاضة وتصاعدها خلال شهر أيار . مايو وبمناسبة الذكرى الأربعين لنكبة فلسطين ، معاودة وزيري الخارجية الأمريكي السوفييتي النظر في قضية فلسطين حين يجتمعان قريباً لاستكمال التحضير للقاء القمة بين جورباتشيف وريجان أواخر مايو ١٩٨٨ .

واضح أن المباحثات السوفيتية الأمريكية تناقش عدة موضوعات متصلة ببؤر التوتر الاقليمية في عالمنا . وقد خطا الاتحاد السوفييتي خطوة مهمة على طريق سحب قواته من أفغانستان . وهاهي أخبار تتردد حول مباحثات تتم في لندن بين انجولا وكوبا والولايات المتحدة وجنوب افريقيا بشأن ناميبيا . وهكذا فإن الطريق مفتوح أمام مناقشة بقية الموضوعات ، ولن يكون ممكناً أن

لايناقش الزعيم السوفييتي والرئيس الأمريكي قضية فلسطين بعد ستة شهور من الانتفاضة العظيمة كما فعلا في اجتماعهما السابق يوم ١٩٨٧/١٢/٨ .

لقد صرح شولتز مؤخراً أمام لجنة الاعتمادات بمجلس الشيوخ ان مباحثاته مع نظيره السوفييتي شيفرنادزه « لم تحرز أي تقدم بالنسبة للشرق الأوسط » وقال « ان السوفييت تمسكوا خلال المباحثات بضرورة ان يكفل المؤتمر الدولي احلال السلام ، وان يكون له كامل الصلاحيات » . وهكذا صدق توقعنا الذي طرحناه في ندوة العلاقات العربية السوفيتية التي انعقدت بعمان يوم ١٩٨٨/٣/١٦ ، بعد ان تساءلنا عما سيكون عليه موقف الاتحاد السوفييتي من مشروع شولتز ، ولفتنا النظر الى أن شولتز تحدث في مشروعه عن موعد انعقاد المؤتمر الدولي ، وكأنه متفاهم مع الاتحاد السوفييتي حوله وبشأنه ، وقلنا « ان الاجابة عن هذا السؤال ستكون قاطعة بعد شهر . ولنا ان نتوقع تمسك الاتحاد السوفييتي بالخطوط الرئيسية لاقتراحاته بمبادئها الستة وباطارها وخطواتها ولنا أن نتوقع أيضاً أن يرفض الاتحاد السوفيتي أي حديث عن حكم ذاتي اداري للفلسطينيين لأن القبول بالحكم الذاتي هو بمثابة منح شرعية للاحتلال والاغتصاب » .

طبيعي أن تتجه انظارنا الى الاتحاد السوفيتي الصديق ونحن نعمل على بلوغ انتفاضة شعبنا العظيمة هدفها ، ونواجه استراتيجية العدوان الصهيونية ، مدركين ان هذه الاستراتيجية موجهة إليه أيضاً بعد ابرام التحالف الاستراتيجي بين الولايات المتحدة والكيان الصهيوني . وإن من حقه علينا أن يعرف رؤيتنا لما ينبغي عمله في هذه المواجهة على ضوء الحقائق الجديدة التي أوجدتها الانتفاضة . ولابد أن تكون رؤيتنا لدوره قائمة على ادراك للمرحلة التي يمرّ بها ، وفهم للتطورات الجارية في الاتحاد السوفييتي اليوم .

لقد مثلت ندوة العلاقات العربية السوفيتية التي نظمها منتدى الفكر العربي محاولة صادقة لتحقيق الفهم الموضوعي بيننا وبين الاتحاد السوفيتي ،

وقدمت نموذجاً لما يمكن للبحث العلمي أن يقدمه في توفير المعرفة اللازمة لتعزيز العلاقات بين الدول . وأتاحت هذه الندوة للمشاركين العرب ، وهم نخبة من المختصين ، أن يتعرفوا على مايجري في الاتحاد السوفييتي اليوم ويتأملوا فيه . وإن مايجري ليس بالقليل على مختلف الصعد وآثاره بالغة الأهمية .

* * *

إن الاتحاد السوفييتي يعيش اليوم مرحلة « اعادة البناء » التي بدأت عام ١٩٨٥ واقترنت بجورباتشيف رافع هذا الشعار . .وقد قرأت كثيري عن « بيروسترويكا » جورباتشيف في الصحف ، ولكني لم أحط بأبعاد المرحلة الا بعد تتبع العرض الشيق الذي قدمه الأستاذ ترويتسيف باللغة العربية عن « اعادة البناء » . فإعادة البناء « ليست مجرد طلاء جدران البيت ، ولا اجراء تغييرات محدودة فيه . وانما هي تغييرات تركيبية جذرية لأبعاد المجتمع كافة . فهي تغييرات ثورية » ، على حد قوله .

لقد أوضح ترويتسيف أن فهم هذه التغييرات بدأ يتصاعد في المجتمع بأسره . والقناعة التي تعم فيه من خلال هذا التصاعد مفادها « اما تغييرات جذرية ، واما تدهور اجتماعي واقتصادي ومعنوي روحي » . وتشمل هذه التغييرات « الأسس الاقتصادية ، والعلاقات الاجتماعية ، والنظر السياسي للمجتمع ، والحياة الروحية والثقافية » .

لماذا « إعادة البناء » في الاتحاد السوفييتي ؟

جواب جورباتشيف في كتابه هو « لأن الدولة السوفيتية بدأت تخسر منذ السبعينات اقتصادياً ومعنوياً ، داخلياً وخارجياً » .

لماذا حدث ذلك ؟

يقول ترويتسيف في تقديمه « الاجابة ليست بسيطة . فالأمر ليس متصلاً بما حدث في السنوات العشر الماضية ، وانما هو متصل بمرحلة طويلة المدى .

وهذا السؤال يناقش بمنتهى الصراحة على المستويات كافة . وتتناول المناقشات فترة تمتد بين عامي ١٩٢٩ و١٩٨٤ » . ومعلوم أن عام ١٩٢٩ شهد انفراد ستالين بالحكم وبدء مايسمى « بالستالينية » التي تولى خروشوف التصدي لها عام ١٩٥٦ في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفييتي . ويبرز في هذه المناقشات الدائرة رأيان يقول أولهما إن هذه الفترة كانت ضرورة لتطور الاشتراكية ، وما حدث فيها كان حتمياً . ويقول الآخر ان هذه الفترة شهدت نمو الورم البيروقراطي الذي يؤدي الى المأزق . والحق أن تقويم هذه الفترة لاينتهي بالبحث عن الحقيقة في الوسط بين الرأيين . فالمسألة كما قال ترويتسيف هي « أكثر تعقيداً من ذلك بكثير » . وقد أوجز جورباتشيف رؤيته لهذه الفترة في الاحتفال السبعيني بأنها شهدت « انجازات ، واخطاء ، وجرائم » والمقصود بالجرائم « الورم البيروقراطي » . أما الانجازات فمنها بناء قاعدة اقتصادية متينة ، وانتصار الاتحاد السوفييتي في الحرب ، والوصول الى المساواة العسكرية مع الغرب . والنتيجة التي توصلت اليها المناقشات هي أن المجتمع السوفييتي لايمكن أن يتطور على أساس ماحدث عام ١٩٢٩ . ومايجري فيه اليوم هو « الفضح الحاسم لما يسمى بالستالينية والقول لها « مع السلامة » الى غير رجعة ، بشكل اكثر عمقاً مما كان بعد المؤتمر العشرين .

لقد فصلّ ترويتسيف الحديث عن أبعاد « إعادة البناء » على الصعد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية وحفل حديثه بالنقد الذاتي واتسم بالصراحة . وليس مجال هذا المقال مناقشة جزئيات مايجري وتفاصيله ، لأن ماتريده من هذا التعريف الموجز بإعادة البناء ، التعرف على طبيعة المرحلة الراهنة في الاتحاد السوفيتي ، ولفت النظر الى الروح الجديدة التي تبرز فيه ، وتفعل فعلها في طريقة تعامله مع قضايا السياسة الخارجية السوفيتية . ولقد أشار الحوار الذي دار بكثافة حول هذه السياسة في منطقتنا بخاصة الى جوانب تصور فيها خلال عهد بريجنيف واتسامها احياناً برد الفعل والبطء في التعامل مع الأحداث .

كانت الندوة مناسبة ملائمة كي يطرح المشاركون العرب رؤيتهم للسياسة الخارجية السوفيتية في حاضرها وماضيها ومستقبلها تجاه مختلف قضايانا العربية وقضية فلسطين بخاصة . وقد اتسم الطرح بالموضوعية والعلمية والصراحة من موقع التقدير لمحصلة الموقف السوفييتي من قضية فلسطين والحرص على تعزيز الصداقة العربية السوفيتية المبني على ادراك العوامل التي تستوجبها . وانتهى الى توقعات تتضمن في طياتها تطلعات يستوجب تحققها جهوداً لابد أن تبذل في نطاق العلاقات العربية السوفيتية .

لقد طُرح — كما سبق أن ذكرنا — توقُّع أن يرفض الاتحاد السوفييتي مبادرة شولتز ويتمسك بالخطوط الرئيسية للإقتراحات السوفيتية ، وصدق هذا التوقع . وجرى الحديث عن سؤال مطروح على الاتحاد السوفييتي في المدى المتوسط هو « كيف يعمل لمواجهة تزايد اخطار الكيان الصهيوني على أمن الشعوب السوفيتية بعد أن كبر دور هذا الكيان كقاعدة لمواجهة الاتحاد السوفييتي في ظل التحالف الاستراتيجي الأمريكي الاسرائيلي » ؟ وذلك بعد قيام الكيان الصهيوني بتطوير صاروخ « اريحا » ، العابر للقارات والقادر على حمل رأس نووي تنفجر بوسعه ضرب هدف في أراضي الاتحاد السوفييتي . وكان التوقع أن يصل الاتحاد السوفييتي من خلال مواجهته للحركة الصهيونية العالمية الى اعتبار « اسرائيل » على الصعيد العقيدي « كياناً استعمارياً استيطانياً » ، والنظر من ثم الى الصراع العربي الصهيوني ليس على أنه « صراع بين قوتين » دائما هو صراع بين أمة عربية وغزوة صهيونية استعمارية استيطانية غربية ، والوقوف أمام أخطار « الصهيونية » على أمن عالمنا وسلامته وتأكيد قرار الأمم المتحدة باعتبار الصهيونية شكلاً من اشكال العنصرية الذي صدر عام ١٩٧٥ والوقوف امام المحاولات الصهيونية والأمريكية لتعطيله والغائه . ويلفت النظر أن هناك جهوداً سوفيتية مثمرة لتتبع النشاطات الصهيونية وفضحها ، وقد صدر مؤخراً كتابان في موسكو حول هذا الموضوع جرت ترجمتهما الى اللغة العربية . كما يلفت النظر أيضاً أن الصهيونية

العالمية تحاول بكل السبل إيجاد منافذ لها في المرحلة الراهنة من خلال المحادثات السوفيتية الأمريكية موظفةً مالديها من أوراق في الجانب الأمريكي . ولقد طرح الجانب العربي توقعه ان يقف الاتحاد السوفييتي امام السياسة الأمريكية التي دأبت منذ عام ١٩٦٧ بخاصة على تمكين اسرائيل من الاستمرار في احتلالها للأراضي العربية وتنفيذ المخططات الاسرائيلية التوسعية . ولفت باحث عربي النظر إلى أن هذه السياسة الأمريكية فسرت قرار ٢٤٢ بصورة أخلت بمضمونه واكدت حقيقته . أنه لايصلح أن يكون اساساً لاقامة تسوية عادلة ، وذكر من ثم بالحاجة الى أن تعتمد الدول الدائمة في مجلس الأمن جميع القرارات الدولية التي تمثل الشرعية الدولية الخاصة بقضية فلسطين والصراع العربي الصهيوني ، وفي مقدمة هذه القرارات قرار ١٨١ لسنة ١٩٨٤ الصادر عن الجمعية العامة . وتوقع هذا البحث أن يقوم الاتحاد السوفيتي بذلك وبخاصة أمام بروز حقيقة الوجود الفلسطيني في مختلف الأراضي الفلسطينية المحتلة .

* * *

إن انتفاضة شعبنا العظيمة دخلت شهرها السادس مؤكدة اننا نعيش في « زمن الانتفاضة » ، والأمر الأكثر الحاحاً اليوم هو مواجهة الممارسات العنصرية الصهيونية التي تحدث حالياً أمام سمع العالم وبصره في فلسطين المحتلة . وتقع مسؤولية هذه المواجهة فضلاً عن شعب فلسطين العربي على أمتنا العربية واصدقائنا في العالم . وقد وجدت نفسي اختم بحثي عن « الاتحاد السوفييتي والصراع العربي الصهيونى » الذي قدمته للندوة بعد تقرير هذه الحقيقة بالقول « واذا كان شعب فلسطين قد أكد للعالم تصميمه على العطاء الغامر من اجل حريته وحرية الانسان في عصرنا ، فإن لنا أن نتوقع أن يقف اصدقاؤه الذين يعادون العنصرية معه كي يبلغ بانتفاضته العظيمة غايتها ويحرر وطنه . وهذا مايدعونا الى ان نتطلع لقيام الاتحاد السوفييتي بدور خاص في الآونة الراهنة في مواجهة الممارسات الصهيونية العنصرية بأساليب عملية والعمل على حماية الانتفاضة العظيمة ودعمها . وهكذا فإن الوفاء بمتطلبات المستقبل على المدى

المتوسط يستوجب تحركاً فورياً للتجاوب مع روح الانتفاضة . وثقتنا أن أصدقاءنا في الاتحاد السوفييتي قادرون على القراءة المتعمقة لما يجري في زمن الانتفاضة التي هي التعبير الأصدق عن الصحوة العربية في مواجهة الغزوة الصهيونية » .

الانتفاضة .. واستراتيجية عربية مُواجِهة

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة في أسبوعها الثالث والعشرين ، وقد دخلت شهرها السادس وها نحن نقف أمام ذكرى مضي اربعين سنة على نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ بينما نعيش زمن الانتفاضة التي هي أروع تعبير عن الاستجابة الصحيحة لتحدى النكبة .

أتأمل في عطاء شعبنا خلال شهر رمضان المبارك فأجده كما توقعناه بالغ السخاء غامراً . وما أعظم البطولات التي قام بها أهلنا في وطننا المحتل وهم يستلهمون القيم الروحية ويؤدون عبادة الصوم ويحيون ذكريات أيام أمتهم في رمضان ، ومنها ذكرى حرب العاشر منه وذكرى بدر الكبرى وذكرى ليلة القدر .

انظر في مسار الانتفاضة ونحن في شهر أيار ــ مايو ١٩٨٨ فأجد أن خطها البياني في تصاعد تماماً كما توقع شهيدنا أبو جهاد في آخر حديث دار بيننا . ولنا أن نتوقع استمرار هذا التصاعد في شهر حزيران ــ يونيو القادم على ضوء البيان الأخير لقيادتها الوطنية . وهذا يعني أنه سيكون لها حضورها في قمة جورباتشيف ريجان القادمة التي تنعقد آخر هذا الشهر ، وفي القمة العربية التي قد تنعقد في الأسبوع الثاني من الشهر القادم .

استحضر ماحفل به هذا المسار من حوادث على مدى الشهور الخمسة الماضية وفي الأيام الأخيرة بخاصة ، فأجد أن مسلك عدونا جاء تعبيراً

لاستراتيجية العدوان الصهيونية التي لايزال اسيراً لها ، وتطبيقاً لنظرية الأمن الاسرائيلية بمختلف اقسامها . وقد جسدّ الهجوم الاسرائيلي الأخير على لبنان هذه الحقيقة وقدّم مثلاً آخر .

استشعر من خلال ذلك كله حاجتنا الماسة نحن العرب الى صياغة « استراتيجية عربية للمواجهة » في أسرع وقت ممكن تكون الانتفاضة نواتها ، والقمة العربية القادمة مناسبة صالحة لذلك .

* * *

لنا أن نتحدث إذن في الذكرى الأربعين لنكبة فلسطين عن « الاستراتيجية » التي هي « تحديد للأهداف ، وتحديد للقوة ، وتحديد للاتجاه الرئيسي للحركة » ، « العربية » التي تتعامل مع الوطن العربي كله كوحدة لها « أمنها العربي » بنظرة شاملة ، « المواجهة » (بكسر الجيم) التي تواجه استراتيجية العدوان الصهيونية . ونبحث في نظرية الأمن العربية النابعة منها التي يجب أن تحكم سياساتنا . وواضح أن مجموع « التعاملات » العربية على الصعيد الرسمي مع الانتفاضة خلال الشهور الخمسة الماضية أكد أمرين :

الأول هو عدم وجود هذه الاستراتيجية العربية المواجهة الواحدة .

الآخر هو وجود « خطوط استراتيجية » في مشاريع « استراتيجيات عربية قطرية » لم يحدث الربط بينها .

إن الوصول الى صياغة هذه « الاستراتيجية العربية » يقتضي النظر في مشاريع الاستراتيجيات القطرية ، والوقوف أمام الخطوط الاستراتيجية الموجودة فيها . ونقول مشاريع لأن واقع الحال يشير الى أن هذه الاستراتيجيات القطرية لم تتبلور بعد البلورة النهائية ، وهي تتراوح بين فقر بعضها الشديد وتضمن بعضها الآخر خطوطاً استراتيجية .

الخط الاستراتيجي الأول الذي نقف أمامه هو مقاومة الاحتلال الاسرائيلي للأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة بجميع صور المقاومة ، وفي مقدمتها الكفاح

المسلح . وهو موجود في استراتيجية الثورة الفلسطينية التي تقودها منظمة التحرير الفلسطينية . وتتبنى هذا الخط ايضاً فصائل المقاومة في جنوب لبنان . وتعترف الدول العربية من حيث المبدأ بحق مقاومة الاحتلال الذي تعترف به من حيث المبدأ ايضاً منظمة الأمم المتحدة والقانون الدولي وقبل ذلك كله شريعة الله . وتتفاوت مواقف الدول العربية العملية من مساندة ممارسة شعب فلسطين العربي لحق مقاومة الاحتلال . وتخضع هذه المواقف للأمن القطري لكل دولة على حدة الذي تحدد بمعزل عن متطلبات الأمن العربي الشامل ، ولظروف الدولة . وهكذا نجد من بينها من يساند بالتدريب أو بالدعم بالسلاح أو بالدعم بالمال أو بالدعم بالاعلام أو بمجرد الدعم اللفظي . كما نجد من يؤيد الكفاح المسلح ومن لا يستطيع أن يجاهر بتأييده ، ومن هو ملتزم بمنع أي نشاط يتصل به في ارضها ، ومن هو لايسمح بأي تحرك على هذا الصعيد من جبهاتها . ويشير الواقع القائم الى أن لبنان بحكم الظروف المحيطة به هو الجبهة الوحيدة المفتوحة امام المقاومة المسلحة . وهذا هو مادعا العدو لتخصيص قسم من نظريته الأمنية لهذه الجبهة تتجسد فيه استراتيجيته العدوانية باحتلال أراض لبنانية واستباحة بر لبنان وبحره وجوه بالعمليات العدوانية المنظمة . وواضح أن الحاجة ملحة الى بلورة موقف عربي استراتيجي واحد من هذا الخط الاستراتيجي الأول ، ينطلق من تبنّيه من حيث المبدأ ويقوم على تحديد دور كل دولة عربية في ضوء ظروفها وعلى اساس الوفاء بمتطلبات الأمن العربي الشامل وأمنها القطري .

الخط الاستراتيجي الثاني الذي نقف أمامه هو الوقوف في وجه استراتيجية العدوان الصهيونية التي تستهدف مختلف الدول العربية في عدة صور ، أي مواجهة هذه الاستراتيجية في نطاق ممارسة حق الدفاع عن النفس . ويوجد هذا الخط في الاستراتيجيات القطرية لبعض الدول العربية بشكل واضح ، كما يوجد بشكل غير واضح في سياسات دول عربية أخرى لم تبلور بعد استراتيجياتها القطرية . والأمر الملفت للنظر انه لايوجد البتة احياناً مع ان

استراتيجية العدوان الصهيونية اكدت نظرياً وعملياً أنها لاتستثني أيّ دولة عربية ، بل انها تمتد الى دول تقع ضمن دائرة الحضارة العربية الاسلامية .

إن الحاجة ماسة لوجود هذا الخط الاستراتيجي في كل استراتيجية عربية قطرية موجودة ، وفي كل استراتيجية قطرية آن أوان وجودها ، وفي الاستراتيجية العربية المواجهة التي يجب أن تحكم هذه الاستراتيجيات القطرية جميعها . وقد تأكدت هذه الحاجة في العقد الأخير من الستين بعد أن كشف عدونا صراحة عن استراتيجيته العدوانية بأقسامها المختلفة التي تتناول فلسطين والأراضي العربية المحتلة في قسم منها ، ولبنان في قسم ثانٍ ، ودول الجوار العربي سوريا والأردن ومصر في قسم ثالث ، ودول العمق العربي النفطية في قسم رابع ، وصولاً الى باكستان والمغرب في قسم خامس .. كما تأكدت هذه الحاجة حين قام عدونا بتنفيذ هذه الاستراتيجية في عدة مناسبات منها ضرب المفاعل الذري في العراق والعدوان على تونس وتهديد السعودية ناهيك عن ممارساته في الوطن المحتل ولبنان .

لابد ونحن نعمل كعرب ولرسم هذا الخط الإستراتيجي على مستوى الدائرة العربية ككل أن نتعمق فهم الطريقة التي يفكر وفقها عدونا في هذه المرحلة . ويمكننا أن نسوق مثلاً عليها مقالاً نشرته جريدة « واشنطن بوست » يوم ١٩٨٨/٣/١٣ بقلم « ايهودى يعاري » مراسل التلفزيون الاسرائيلي ، وعنوان المقال « مشكلة اسرائيل المصرية » وعنوانه الفرعي « اذا كانت مصر تريد السلام ، فلماذا تمارس محاولة الإمساك بسينا ؟ » . وواضح أن أول شيء مُلفت للنظر هو ماتضمنه العنوان حيث اعتبر الامساك بسيناء التي هي أرض مصرية مناقضاً للسلام كما يفهمه العدو الصهيوني . وقد انطلق الكاتب في مقاله من القول « إن استراتيجية مصر الحالية متناقضة ، فبينما تحاول القاهرة أن تكون معاونة في عملية التسوية السلمية في الشرق الأوسط فإن جيشها في الوقت نفسه يحضر بهدوء لاحتمال نشوب حرب مستقبلية مع اسرائيل » . ويشرح يعاري الذي كان باحثاً في معهد سياسة الشرق الأوسط بواشنطن مكمن مايراه

من تناقض فيقول « ان الجيش المصري حاول جاهداً — وإن لم ينجح — يمنع فرق « الارهاب الفلسطينية » من عبور سيناء الى اسرائيل . ومع ذلك حدث في الأسبوع الماضي أن هذا الجيش نفسه وكأنه متناس للأحداث الجارية ، قام بتدريباته المعتادة في سيناء بتصميم استراتيجية دفاعية . ولم يكن ذلك الا اشارة واحدة الى حقيقة أن مصر واضعة نصب عينيها تحقيق هدف توازن الردع مع اسرائيل على المدى الطويل » . ثم يقول « ان ظهور هذا المذهب المصري يسبب قلقاً للمخططين العسكريين الاسرائيليين لأنه يعطي مصر خيار تحدي العسكرية الاسرائيلية مع تجنب الصدام الفعلي ، الأمر الذي سيعطي « السلام » مع اسرائيل سمةً شائكة . وان وزن نوايا مصر على المدى الطويل هو صراع آخر لاسرائيل في وقت تعاني فيه من مشكلات . وكم تود اسرائيل أن تعتبر سلامها مع مصر منارة في المنطقة وتحرك مصر بعيداً عن أي حرب قادمة تخوضها » . ويمضي الكاتب ويتحدث عن اسلحة الجيش المصري وتدريباته وتصريح قيادته بأن اتفاقات كامب دافيد لا تعني استبعاد اسرائيل من حسابات الجيش المصري ليصل في نهاية مقاله الى القول بأن « ظهور التفكير الاستراتيجي المتطور لدى النخبة المصرية لاينبغي أن تهمله اسرائيل ويجب اعتباره كإشارة تنبيه .. » .

لاحاجة بنا الى التعليق على هذا المقال الذي سقناه مثلاً على الطريقة التي يفكر فيها عدونا ، فما جاء فيه واضح بيّن وهو يعبر بدقة عن الفهم الاسرائيلي « للسلام » مع أية دولة عربية ، ويتضمن الشروط الاسرائيلية لابرام أي اتفاق وهي ان يكون اتفاقاً منفرداً وأن يسقط الخيار العسكري العربي ويمنع مقاومة الاحتلال . ويمكننا أن نرى في هذا المثل ايضاً ملامح الخط الاستراتيجي الدفاعي الذي يرى عدونا أن مصر العربية ترسمه الآن . وتجدر الاشارة هنا الى أن تلك المناورة العسكرية التي اشار اليها المقال جرت في وقت تصاعد انتفاضة شعبنا العظيمة ، ويبدو أن عدونا فهم ما تضمنته من إشارة .

إن الربط بين هذين الخطين الاستراتيجيين بعد بلورة كل منهما عربياً أمر بالغ الالحاح . وتقع مسؤوليته على كاهل القمة العربية . ولاشك في ان انتفاضة

شعبنا العظيمة أوجدت مناخاً صالحاً للنهوض بهذه المسؤولية .

لقد نهضت الانتفاضة على مدى الشهور الخمسة الماضية بعبء كبير تعبيراً عن شعب فلسطين العربي بخاصة ونيابة عن الأمة العربية جمعاء . وهي بأشد الحاجة الى مشاركة الدول العربية لها في النهوض بالعبء الاكبر الذي سنقطف اذا نهضنا به ثمار جهادنا تحريراً للأرض وهزيمةً للاحتلال وانهاءً لخطر العدوان . وكثيرة هي الأوراق العربية التي يمكن استخدامها تعبيراً عن هذه المشاركة . ومطلوب أن تأتي كل دولة عربية الى القمة وقد حصرت مالديها من أوراق لتسهم بها .

إن المتأمل في الواقع القائم في المنطقة اليوم يرى أمتنا العربية أمام الفرصة الوحيدة التي سنحت لها كي تفرض على عدوها أن يواجه الحقائق ويكف عن العدوان ويخرج من اراضينا المحتلة ، وكي تصل بالولايات المتحدة الأمريكية الى تعديل استراتيجيتها في المنطقة والتخلي عن تمكين عدونا من التحكم فينا والاعتراف بحق شعب فلسطين في وطن والتعامل معنا كعرب على أساس من الندية . ولابد لدولنا العربية أن تهتبل هذه الفرصة التي سجل التاريخ لانتفاضة شعبنا العظيمة فضل ايجادها ، وفضل افشال نظرية الأمن الاسرائيلية في قسمين منها هما الخاصان بالوطن المحتل ولبنان ، وعندها سننجح كعرب في افشال بقية الاقسام من خلال اعتمادنا استراتيجية عربية مواجهة توفر لكل دولة عربية امنها القطري وللوطن الكبير أمنه العربي فنعبر من خلال ذلك كله عن الاستجابة الصحيحة الكاملة لتحدي نكبة عام ١٩٤٨ ونمسح مراراتها ونستعيد قدسنا عاصمة وطننا المحرر .

الانتفاضة .. وتنمية الحس الأمني

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة في أسبوعها الخامس والعشرين ، والاضراب يعم وطننا المحتل في ذكرى الأربعين لاستشهاد القائد أبي جهاد . وأتأمل في التفاعلات الجارية في زمن الانتفاضة في وطننا العربي على مختلف الصعد ، ومنها مايجري على الصعيد الأمني .

لقد نبهت جريمة اغتيال أبي جهاد التي نفذها الموساد الاسرائيلي ، الكثيرين من ابناء امتنا الى مدى خطر «التخريب الاستخباري الصهيوني» علينا، وحرّكت الحس الأمني لديهم ، فبرز البعد الأمني في الصراع العربي الصهيوني بحدة . وكان من صور التعبير عن الاهتمام بهذا البعد الأمني الاقبال الجماهيري على مشاهدة المسلسل التلفزيوني « رأفت الهجان » خلال الأسابيع الماضية . وكان من هذه الصور أيضاً قيام عدد من الصحفيين الشباب بمصر العربية تنظيم ندوة في نقابة الصحفيين حول « الأمن القومي العربي في مواجهة التخريب الاستخباري الصهيوني » يوم ١٩٨٨/٥/٢٣ بالقاهرة . وقد أسعدني ان أشارك كمتحدث في هذه الندوة مع أخي الأستاذ أمين هويدي وأخي د.محمد عبد اللاه وأخي د.محمد طه الفرنواني ، وأن استمع لاحاديثهم ولمناقشات الحاضرين واسئلتهم ، وما أغناها . وطبيعي أن تتبلور لدي مجموعة أفكار من خلال ماقرأته وتفكرت فيه أثناء تحضيري لها ثم من خلال ماجرى فيها . وتدورُ هذه الأفكار حول « رؤية عربية فلسطينية » لمواجهة الحرب الاستخبارية الصهيونية التي يشنها عدونا الصهيوني علينا .

الفكرة الأولى تتعلق بطبيعة الحرب على صعيد المخابرات بعامة . وهي أنها حرب ذات أثر فعال ، من نوع خاص ، قوامها المعرفة ، وأمضى أسلحتها العقل ، وهي قديمة قدم الحرب بعامة . وقد تداعت الى خاطري وأنا أتأمل في هذه الفكرة صوراً كثيرة من السيرة النبوية حدثت في غزوات رسول الله صلى عليه وسلم وسراياه . وتذكرت كيف تحرك أبو جعفر المنصور على « صاحب بريد » يأتيه بأخبار أربعة آخرين هم معه أركان الملك . وعدت الى قول سمعته من شيخ أجنبي له خبرته الواسعة في العمل الاخباري « الحرب على مستوانا ليست قتلاً وضرباً » . وانما هي عين وأذن . وهَمُّنا أن ننفذ الى العين والأذن فنعرف مايراه الناس ومايسمعوه ، ونعرف أيضاً مايراه الحاكم ومايسمعه . « كما استوقفني ماقرأته مؤخراً عن كتاب اصدره ارشيبالد روزفلت رجل المخابرات الأمريكي المتقاعد واختار له اسم « شهوة المعرفة » .

الفكرة الثانية تتعلق بجهاز الاستخبارات الاسرائيلي بخاصة ، وهي أنه « تجسيد للحركة الصهيونية ، وفيه ما فيها من جوانب قوة وجوانب ضعف » . وهذا الجهاز هو حصيلة خبرة الصهيونية العالمية وجهودها في مجال جمع المعلومات وتحليلها واستثمارها . وقد ورث الكيان الصهيوني بعض مؤسسات المنظمة الصهيونية العالمية الاستخبارية والوكالة اليهودية ، وانشأ مؤسسات جديدة حسب متطلبات سياساته وخططه . ويتألف هذا الجهاز من مؤسسة رئيسية مشرفة هي ادارة أمن الدولة ومن خمس مؤسسات أخرى تنسق بينها هذه الادارة . وأحد هذه المؤسسات هو المكتب المركزي للاستخبارات والأمن ، وله جهاز تنفيذي اسمه « الموساد » يرتبط مفوضة برئيس الوزراء . ومن هذه المؤسسات ادارة الأمن الداخلي « شين بيت » . ويقوم جهاز الاستخبارات الاسرائيلي بأعمال التجسس وينظم حرباً نفسية يشنها ضد العرب بخاصة وينفذ عمليات محددة . ويضم الموساد ثلاثة أقسام هي المعلومات والعمليات والحرب النفسية . ولما كان جهاز الاستخبارات الاسرائيلي تجسيداً للحركة الصهيونية فإنه يحاول تجنيد طاقات كل اليهود الذين استقطبتهم هذه الحركة . وهو يفرض عليهم «الولاء المزدوج» للكيان الصهيوني

ولوطنهم الذي يعيشون فيه ، وما أسرع ما يبرز التناقض فيهم بسبب هذا الولاء المزدوج الذي لايمكن أن يستمر بدون خلل . وما أكثر ما يتحرك هذا الجهاز تحت ستار جنسيات أخرى يحملها يهود صهاينة من الغرب بخاصة . ومعلوم أن الحركة الصهيونية هي في المنشأ حركة غربية نشأت في ظل الاستعمار الغربي . وهذا ما جعل جهاز الاستخبارات الاسرائيلي وثيق الصلة بأجهزة الاستخبارات الغربية .

الفكرة الثالثة تتعلق بتطور معرفتنا بهذا الجهاز وتقويمنا له ، وهي أننا حققنا في العقود الثلاثة الماضية تقدماً في معرفتنا به عربياً بعامة وفلسطينياً بخاصة . وقد أتاح لنا هذا التقدم في معرفته أن نراه مجرداً من « الهالة » التي يحرص عدونا على احاطته بها . ويلفت النظر حجم الدعاية الصهيونية التى تتحدث عن « الموساد » الجهاز المعجز وأعماله الخارقة ، ومعرفته بكل شيء » . وقد وظفت الحركة الصهيونية بثّها الصحف والتلفزة والسينما والكتب . وهكذا أصبح تقويمنا له أقرب الى الموضوعية ، وبخاصة وأن تجاربنا في مواجهته تتالت . واذا كنا قد وصلنا من خلال التقويم الى تأكيد خطورة هذا الجهاز علينا كعرب ، فإننا وصلنا أيضاً الى أنه ليس بمعجز . فهو قابل للاختراق ، وما أكثر الأمثلة على ذلك . وقد استطاع شعبنا الصامد في الوطن المحتل أن يواجه بقوة هذا الجهاز ، وأن يكتسب خبرة عظيمة في كشف تخريبه . وواضح من قضية بولارد أن هذا الجهاز مُعرض للفشل حتى وهو يعمل في ساحة الولايات المتحدة التي يربطها بالكيان الصهيوني تحالف استراتيجي . ومعلوم أن هناك علامة استفهام كبيرة عن « السيدس » الذي لم يتم اكتشافه بعد في القضية ، تتصل باحتمال أن تكون دولة أخرى استفادت من الوثائق التي حصل عليها اليهودي الصهيوني الأمريكي بولارد وهو يتجسس على بلاده . وهناك قصص كثيرة عن اختراق هذا الجهاز من خلال يهود ظنت الحركة الصهيونية أنها وظفتهم ضد أوطانهم بينما هم في حقيقة الأمر يعملون لأجهزة بلادهم . ويلفت النظر ان بعض الساحات التي كانت حكرا لجهاز الاستخبارات الاسرائيلي يسرح فيها ويمرح قبل عام ١٩٧٣ لم تعد كذلك . وقد

استطاعت الثورة الفلسطينية أن تدخل هذه الساحات وتقيم علاقات فيها على الصعيدين الشعبي والرسمي . وتشير دراسات عدة صدرت عن هذا الجهاز بأقسامه المختلفة عن مراكز بحث اسرائيلية أنه بدأ يعاني من صور من الفساد . وواضح أن معرفتنا الدقيقة به ستكمننا من التعمال الموضوعي مع كل متطلبات مواجهته والانتصار عليه .

الفكرة الرابعة تتعلق بكيفية مواجهته . وهي تنطلق من الثقة بقدرتنا على هذه المواجهة وتتجه الى الفرد العربي والى المؤسسات العربية على الصعيدين الشعبي والرسمي .

لابد من تنمية الحس الامني لدى الانسان العربي . وهذا يتطلب توعية مدروسة . ويلفت النظر أن تاريخنا حافل بالأمثلة على توعية من أعلى مستوى كانت أجيالنا تحصل عليها . وهذا مامكن امتنا من الصمود قروناً أمام الغزو الخارجي . وقد كان عامة الناس مُنذ عصر المماليك في بلادنا يسهرون مع شاعر الربابة على سماعة سيرة الملك الظاهر بيبرس في المقاهي . وكانوا قبل ذلك يستمعون في المساجد الى السيرة النبوية وسير الاقدين . وكم تحفل السيرة بما يوعي الانسان على الصعيد الامني . أما سيرة الملك الظاهر بيبرس فتستحق حديثاً خاصاً لشرح ماتحتويه من دروس وماتتميز به . وقد قرأت مؤخراً انها ترجمت الى الفرنسية وبدأت بالصدور اجزاءً متتالية منذ عام ١٩٨٥ . ومعلوم أن اجدادنا الذين تمتعوا بالحس الأمني واتصفوا بالوعي هم الذين حموا الثغور ، وكان منهم المرابطون الذين لاتزال اضرحتهم قائمة على طول سواحلنا وبخاصة التي تطّل على البحر المتوسط .

لابد من تحقيق تعاون بين الصعيدين الشعبي والرسمي في مواجهة التخريب الاستخباري الصهيوني . فالحس الأمني لدى الانسان العربي يجب أن يتجسد في عمل مواجه . وهذا العمل المواجه يجب أن يتكامل مع العمل الشامل الذي يقوم به الجهاز المختص والمؤسسة المعنية . ونحن نقرأ في سيرة الملك الظاهر بيبرس

كيف تكامل نشاط أمراء القلاع والحصون ورئيسهم الفذ « جمال الدين شيحة » مع شيوخ قبائل البدو مع عمداء القرى وهم يواجهون حرباً ضروساً يشنها عليهم الاعداء الفرنجة . ويقتضي تحقيق هذا التعاون اليوم تذليل عقبة قائمة لابد من أن نعترف بوجودها وهي أزمة الثقة الموجودة بين الانسان العربي وبعض أجهزة المخابرات العربية وسببها أن هذه الأجهزة انشغلت احياناً بالداخل عن الخارج فأصبحت صورتها عند قطاعات غير مضيئة ، وحدث تجنب لها في أحسن الاحوال . وما أسهل أن تزول هذه العقبة ، ويجب أن تزول ، حين تطمئن نفس الانسان العربي وتحترم حقوقه ويجد اجهزة بلاده نشطة في ملاحقة الاعداء حريصة على حمايته .

لابد من تحقيق التنسيق بين الأجهزة العربية الأمنية لتحقيق التعاون بينها في مواجهة الحرب الصهيونية الاستخبارية . وواضح أن العمل على الصعيد القطري مهما بلغ في كفاءته لايستطيع أن ينهض بمتطلبات هذه المواجهة . وقد آن الأوان أن يتحقق العمل العربي المشترك على هذا الصعيد . والأمر لاينتظر .

إن تحقق العمل العربي المشترك على صعيد حماية الأمن العربي القومي ستمكن من تحقيق التنسيق بين امكانات عربية قطرية عظيمة وتوظيف خبراتها في عمل أمني عربي شامل . وهذا بدوره سيمكن من تحقيق تنسيق أمني عربي مع دول اسلامية شقيقة ودول أخرى صديقة في عالمنا . ولنتذكر أن النظرية الاسرائيلية الأمنية باقسامها الخمسة التي عرضناها في أسابيع ماضية تستهدف جميع الدول العربية مباشرة وكذلك بعض هذه الدول . وقد قرأنا مؤخراً كيف حاول الكيان الصهيوني النفاذ الى دولة اسيوية صديقة من خلال اغرائها بالتعاون لضرب المفاعل الذري الموجود لدى جارة لها . وواضح أن مثل هذا التنسيق على الصعيد يقصر عن متطلباته النشاط القطري وحده ، ويتطلب رؤية قومية تتوافر لديها الامكانات .

لقد لفت انتباهي وأنا أتابع اسئلة الحاضرين من شبابنا وتعليقاتهم ومناقشاتهم أن الوعي بأهمية البعد الأمني في الصراع العربي الصهيوني يزداد ، وأن تحدي جهاز الاستخبارات الصهيوني دخل مرحلة جديدة بعد ابرام معاهدة

١٩٧٩ في استهدافه لوطننا ولمصر بخاصة ، وأن هناك امكانات كثيرة تمكننا من الاستجابة لهذا التحدي بعمل متقن ينتصر عليه .

ان هذه الاستجابة العربية تتطلب أن يرتفع من جديد شعار « كل مواطن خفير » الذي ارتفع في وطننا العربي بعد نكبة فلسطين ، واسهم في تنمية الحس الأمني . وهي تتطلب اقامة مؤسسات متخصصة تمكن كل مواطن من أن يكون قادراً على الاسهام في حماية أمنه . وواضح أن المناخ صالح في زمن الانتفاضة وبعد استشهاد القائد أبي جهاد لتحرك عربي واسع في اطار مواجهة حرب المخابرات الاسرائيلية ، والثأر لجميع شهدائنا الذين راحوا ضحيتها . واننا لقادرون على ذلك باذن الله وعلى حماية أمننا العربي ، مستلهمين روح الانتفاضة .

تأملات في زمن الانتفاضة

اكتب وانتفاضة شعبنا العظيمة في أسبوعها السادس والعشرين . والاحظ بداية أن الحديث الذي يُلح عليّ هو من وحي ساعات تأمل ، يتأثر بحالة شعورية أمرُّ بها بفعل عدة مناسبات ــ عامة وخاصة ــ تقترن بشهر أيار ــ مايو ، دَعتني كل واحدة منها الى وقفة زمنية ومن هذه المناسبات ذكرى مضي اثنتين وخمسين سنة على ثورة عام ١٩٣٦ التي بدأت بالاضراب الشهير وهي تقترن عندي بذكرى ميلاد جيلي الذي هو جيل الكهولة في شعبنا وأمتنا اليوم . ومن هذه المناسبات ذكرى مضي اربعين سنة على نكبة فلسطين وقيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨ وذكرى تصاعد الأحداث قبل واحد وعشرين سنة التي أدت الى نكسة حزيران ــ يونيو عام ١٩٦٧ . وقد تميزت الوقفات الزمنية هذا العام بأنها جاءت في « زمن الانتفاضة » .

تعودت في كل وقفة زمنية أن أراجع الاحداث وأحاسب النفس وأتأمل في الحركة الدائرة ، وفي الاعتبار أن الانسان سيُسأل عن عمره فيما أمضاه ، وأنه مدعو الى أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسَب (بفتح السين) . ووجدت نفسي استحضر لقاءات كثيرة تمت في زمن الانتفاضة على صعد مختلفة ، وحفلت بحوارات غنية تناولت بالعرض والتحليل الحركة الدائرة في وطننا فلسطين ووطننا العربي بعامة ، بلورت عندي مجموعة أفكار وخواطر ومشاعر .

* * *

أول مايلح عليّ هو أن أعبّر عن بالغ الثقة بجيل الحداثة في شعبنا ــ شبّانه

المباركين — وعظيم التقدير لما يقومون به ووافر المحبة لهم . ولقد استوقفني في كل ماسمعته عن انتفاضة شعبنا العظيمة من إخوة من جيلي الكهل تأكيدهم على الدور القيادي الذي يقوم به الشباب من شعبنا في هذه الانتفاضة . وترن في أذني كلمات كهل جاء من قطاع غزة مؤخراً وله سجله في العمل العام « إنهم شبابنا الذين يتصدون لقيادة العمل اليومي في كل شارع وحيّ ومخيم . واننا نثق بهم ونقدرهم ونحبهم » . كما ترن في اذني كلمات كهلة جاءت من الضفة الغربية مؤخراً ولها نشاطها الاجتماعي الفعال « فضل خاص نسجله لشبابنا . ماأروع ثقتهم بأنفسهم وثقتهم بشعبهم وثقتنا نحن بهم . وما أسخى عطاءهم . وماأشجع قلوبهم » . ووجدت نفسي أقول بيني وبين نفسي لأني لاأريد أن اقطع حديثها المتدفق وماأصدق حَدْسهم » . وتحفل احاديث القادمين بقصص بطولات شبابنا . وما أكثر القصص التي تصور تلاحم شعبنا بشبابه وحرص الأمهات بخاصة على التعبير العملي عن هذا التلاحم ببطولات ستحفظها ذاكرتنا لمن .

لم تفاجئني ظاهرة قيام شبابنا بدور قيادي في هذه الانتفاضة . وقد رجعت الى ماكنتُ كتبته قبل عامين عن « الحاجة الى حدس الشباب » ضمن مقالاتي « في الفكر السياسي العربي » واستهللته بالقول « امتنا مدعوة في هذه المرحلة من تاريخها الى احسان توظيف حيويتها ، باطلاق طاقات شبابها وتوجيهها لتحقيق اهدافها وبلوغ غاياتها ، وباحكام تواصل الأجيال فيها » . ووجدت انني استشهدت بحديث فخر الدين الرازي في كتابه « الفراسة » عن جيل الحداثة وصفاته واخلاقه ، ووقفت امام حديث الماوردى في « ادب الدنيا والدين » عن حدس الشباب الذي ينمي العقل تماماً كما تنميه خبرة الكهول واستشهاده بقول العرب « عليكم بمشاورة الشباب فإنهم ينتجون رأياً لم ينله القدم ، ولا استولت عليه رطوبة الهرم » . وها نحن نعيش في زمن الانتفاضة التي جسدت تكامل حدس الشباب مع خبرة الكهول .

لقد تأملت طويلاً في كيفية بروز جيل جديد من القيادات في شعبنا

مترابط مع جيلنا الذي كان عند إعادة بناء كياننا الفلسطيني واقامة منظمة التحرير الفلسطينية قبل ربع قرن جيلاً شاباً . وكم أسعدني أن أرى استمرار التواصل في أجيالنا ، وقيام جيل الشباب من ابنائنا بحمل الشعلة في « شوط القبس » مباشرين قطع مسافة أخرى من نضال شعبنا نرجو أن تصل به الى تحرير وطننا ، واذكر أن حواراً غنياً دار في أعقاب محاضرة القيتها في نادي هيئة التدريس بجامعة القاهرة مؤخراً بعنوان « الانتفاضة الفلسطينية والصحوة » حول ظاهرة القيادة في الاجتماع الانساني . وقد أشرت في تعقيبي الى شريط سينمائي ايطالي شاهدته في الستينات وعنوانه « أربعة أيام في نابولي » يصور كيف سارت الأمور في المدينة الإيطالية بعد خروج الجيش الألماني منها وقبل دخول جيش الحلفاء اليها على مدى أربعة أيام ، وكيف أبرز الشعب قياداته التي ابدعت تسيير أموره ، وكيف غاب احد ابرز هذه القيادات بعد انتهاء مهمته . ودعاني هذا الحوار الى أن أعاود قراءة اجزاء من « سيرة الظاهر بيبرس » تعبّر عن هذه الظاهرة ، وتبين أن من ظواهر الاجتماع الانساني ابراز الشعب لقياداته التي تتمتع بقدرات قيادية .

تأملت طويلاً في مسار هذه الانتفاضة العظيمة ، وراجعت بخاصة البيانات التي اصدرتها القيادة الموحدة ، واسترجعت مادار في مؤسساتنا من بحث ومناقشات وماتخذ من قرارات ، فوجدت أن شعبنا استطاع أن يقدم من خلال وقوفه على ارض منظمة التحرير الفلسطينية والتحامة بثورته مثلاً رائعاً لثورة التحرير في عصرنا . وواضح أن هذا المثل يفعل فعله في عالمنا . وإن أعظم مايلفت الانتباه فيه مدى سخاء عطاء هذا الشعب ، ومدى قدراته القيادية . وأي قدرة قيادية أعظم من مواجهة كل العسف والارهاب الصهيوني بضبط النفس واعمال الفكر في مقاومة بالحجارة واشكال من العصيان يشارك فيها كل الشعب . وأي عطاء أسخى من تصدي شبابنا وكهولنا وأطفالنا بصدورهم لرصاص العدو . وواضح أن الصور التى عبرت عن ذلك وانتقلت إلى مختلف انحاء عالمنا بالاذاعات المرئية تهز أعماق الانسان أينما كان ، وتذكر بما قدمه اجدادنا المؤمنون حين حملوا رسالات السماء وواجهوا جبروت الطغاة بايمانهم .

عنّ على بالي وأنا أعبر عن مشاعر كهل تجاه جيل الشباب في شعبه وأمته أن أتأمل في دلالات لفظي الكهولة والشباب اللغوية . وحثني على ذلك أنني وجدت الكثيرين من جيلي يتحسسون من وصفهم بأنهم كهول ، مع أن لهذا الوصف روعته حين يكون التعبير صادقاً عن مرحلة العمر . وقد وجدت أن الشباب لغة « الفتاء والحداثة » . وهو والشبيبة ايضا « أول الشيء » . والشباب (بكسر الشين) ماشبَّ به أي أوقد . وشبّ النار والحرب أي أوقدها . وشبَّ الخمار والشعر أي لوّنها بمعنى أظهر جمالها وزاد في حسنها . وهكذا نجد في اللفظ دلالة الحرارة ودلالة الجمال . وقد قال العرب « رجل شبوب » بمعنى أنه جميل حسن الوجه كأنه أوقد ، وهو ذكي الفؤاد شهم . واعتبر البعض أن سن الشباب هو بين البلوغ الى أن يكمل الانسان الثلاثين . وقيل مابين ست عشرة الى اثنتين وثلاثين كما أورد الزبيدي في تاج العروس . وقد نقل الزبيدي ايضا عن محمد بن حبيب قوله « زمن الغلومية سبع عشرة سنة ، منذ أن يولد الى أن يستكملها . ثم زمن الشبابية منها الى ان يستكمل واحد وخمسين سنة . ثم هو شيخ الى ان يموت » . ويلفت النظر في هذا القول أن فترة الشباب وفق هذا الرأي تمتد اربعاً وثلاثين سنة وتشمل جيلي الحداثة والكهولة . أي ان هناك شباناً احداثاً ، وهناك شبان كهول . والكهل هو الرجل اذا خطه الشيب . وهو في معظم الآراء من زاد على ثلاثين الى اربعين أو خمسين . وإن لكل عمر روعته ، وهو عمرٌ مبارك مادام الانسان يمضيه في تحقيق انسانيته . ولكل جيل دوره الذي يتكامل مع ادوار الأجيال الأخرى .

يقودني هذا الحديث اللغوي الى وقفة أمام لفظ الانتفاضة الذي توصف به الحركة الدائرة في شعبنا . وقد لفت انتباهي أن هناك من اعتمد هذا اللفظ واستحسنه ، وان هناك من يراه غير كافٍ للدلالة على مايجري . واذكر أن سيدة من نسائنا العربيات تعمل كأستاذ جامعة اثارت هذه النقطة في « ندوة الطفل الفلسطيني » التي عقدها اتحاد المرأة الفلسطينية بالقاهرة في ذكرى يوم الأرض ١٩٨٨/٣/٣٠ ، وتساءلت « لماذا لانقول « ثورة » وان مايجري هو ثورة وأي

ثورة » . واذكر ان احد رجالاتنا الاستراتيجيين قال « ان مايحدث هو حرب بكل معنى الكلمة » . وقد تحدث البعض في صفوف عدونا عن الانتفاضة على أنها الحرب السابعة .

لقد كنتُ من اؤلئك الذين اعتمدوا لفظ الانتفاضة واستحسنوه . واذكر أني عقبت على حديث السيدة مُبيناً أن دلالة اللفظ لغة « تتضمن الحركة القوية والشمول والكثرة . فنفض الثوب حركة ومن المجاز نفضت المرأة بطنَها اذا كثر ولدها » ومنه أيضاً نفض المكان نفضاً اذا نظرَ الى جميع مافيه حتى يعرفه . أما « الثورة » فهي من الهياج والوثب وتدل على كثرة أيضا . وقلت « اننا نستخدم على صعيد الاصطلاح « الثورة » للدلالة على الحركة الدائرة في شعبنا منذ الستينات ونسميها الثورة الفلسطينية ، وهي تتضمن عدة انتفاضات تمثل حلقات في سلسلتها . وهذه الانتفاضة هي آخر هذه الحلقات واصلبها واكثرها توهجاً وهناك سبب آخر يدعونا الى التمسك باسم الانتفاضة هو أنه الاسم الذي اقترن بها منذ بدايتها وقد عرفت به في العالم أجمع فأصبح له مفهومه ودلالته من خلال عيشنا احداثها يوماً بعد يوم » .

واضح أن هذه الفترة من تاريخ شعبنا وامتنا ستحمل اسم الانتفاضة ، وسيشار لها بأنها « زمن الانتفاضة » وواضح أيضاً أن هذا التاريخ سيسجل لجيل الشباب من شعبنا فضلاً خاصاً فيها ، وستحفظ لهم أمتهم ماقدموه وتعتز بحذسهم . وكلنا ثقة أن انتفاضة شعبنا العظيمة ستستمر حتى تفرض على عدونا التسليم بحقوقنا وتحرر أراضينا العربية المحتلة وقدسنا . وماهو مطلوب الآن بالحاح لأن ينهض كل منا بمسؤولياته تجاهها ويؤدي واجباته .

* * *

أفرغ من هذه التأملات وانظر في احداث هذا الأسبوع ، فأجد أنه شهد تأبين ابناء شعبنا وأبناء أمتنا لأبي جهاد في ذكرى مضي أربعين يوماً على استشهاده، وشهد انعقاد اجتماع قمّة جورباتشيف وريجان في موسكو ، وهاهو الاضراب يعم

وطننا المحتل بمناسبة عودة شولتز لزيارة المنطقة ، وهاهي القمة العربية على وشك الانعقاد في اجتماع طاريء بالجزائر ، وشعبنا المعطاء يتابع مقاومته ويودع شهداءه الذين قضوا في سبيل الله كي يتحرر الوطن ، وعدونا غارق في اقتراف جرائمه التي لن تمر دون عقاب واستمرار الانتفاضة يزيده تخبطاً وحيرة .

لقد فرضت الانتفاضة بحث قضية فلسطين في اجتماع موسكو . وتشير التقارير الى أن الولايات المتحدة بدأت تتزحزح بفعل الانتفاضة عن موقفها الذي يمكن الكيان الصهيوني من الاستمرار في احتلال الأراضي العربية والفلسطينية منذ عام ١٩٦٧ . ولكن شولتز لايزال يتحدث عن « فترة انتقالية وحكم ذاتي » الأمر الذي يدل على أن « التزحزح الأمريكي » محدود ، ويشير الى أن الحاجة ماسة للاستراتيجية العربية المواجهة التي تتكامل مع الانتفاضة كي يُفرض على الولايات المتحدة أن تسارع بالتزحزح الى موقف آخر يقول بانسحاب اسرائيل الفوري من الأراضي العربية والفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ ، أي من الضفة والقطاع والجولان ، فهذا الموقف هو الذي يفسح المجال أمام الوصول الى سلام .

ان هذه الحاجة الماسة للاستراتيجية العربية المواجهة تجعل الأنظار متجهة الى انعقاد القمة العربية الطارئة لتصوغها موظفةً فيها أوراقنا العربية ، وماأكثر هذه الأوراق وأثمنها . وترن في أذني وأنا أفكر في هذه الأوراق كلمات آخر عربي مغترب يعمل في مؤسسة دولية زار وطنه الكبير مؤخراً وتنقل بين ارجائه في عمل رسمي ، وهو يقول لي « لقد اكتشفت وطننا من جديد . ما اعظم امتداده بين الشرق والغرب والجنوب والشمال . وماأروع التنوع فيه . وما أكثر كفاءاته الشابة التي بدأت تشارك في حمل المسؤولية . وإن لنا أن نثق بأنفسنا وبقدرتنا على معالجة مشكلاتنا وتحقيق أهداف أمتنا . وقد أجبته « نعم ونحن نعيش في زمن الانتفاضة وتحرير وطننا هو احد هذه الأهداف » .

كتب للمؤلف

١ ـــ السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر ١٩٦٧
٢ ـــ أحاديث عن تاريخ ليبيا خلال القرنين ١٨ و١٩ ١٩٦٨
٣ ـــ من المقاومة الى الثورة الشعبية فى فلسطين ١٩٦٩
٤ ـــ ليبيا قبل الاحتلال الايطالي ١٩٧٠
٥ ـــ عبد الحميد فى التاريخ ـــ نشر فصولاً ١٩٧١
٦ ـــ هذه الليلة الطويلة (مسرحية سياسية) ١٩٧١
٧ ـــ عبد الناصر والثورة العربية ١٩٧٢
٨ ـــ ماذا بعد حرب لبنان ١٩٧٤
٩ ـــ وثائق تاريخ ليبيا ـــ الوثائق العثمانية ١٩٧٦
١٠ـــ بدايات اليقظة العربية الحديثة فى ليبيا ـــ وثائق ١٩٧٦
١١ـــ الحوار العربي الأوروبي ـــ وجهه نظر عربية ووثائق ١٩٧٦
١٢ـــ العرب وتحديات المستقبل ١٩٧٦
١٣ـــ الفلسطينيون فى الوطن العربي ـــ مشاركة فى الاشراف والتحرير ١٩٧٨
١٤ـــ نظرات فى تاريخ فلسطين ـــ نشر فصولاً ١٩٧٨
١٥ـــ رحلات ولحظات ممتدة ١٩٧٩
١٦ـــ العرب فى مواجهة عالم متغير ١٩٧٩
١٧ـــ منظمة التحرير الفلسطينية والحوار العربي الأوروبي ١٩٨٠
١٨ـــ الصراع العربي الاسرائيلي ومسيرة الشعب الفلسطيني
في الثمانينات ١٩٨٠
١٩ـــ عروبة واسلام ومعاصرة ١٩٨١
٢٠ـــ رؤى مستقبلية عربية للثمانينات ١٩٨٣

٢١ـ نحو استراتيجية عربية للمواجهة ١٩٨٤
٢٢ـ صابرا وشاتيلا ـ الجريمة الاسرائيلية والمسئولية الامريكية ١٩٨٤
٢٣ـ فكر وعمل ١٩٨٥
٢٤ـ حوار ومطارحات ١٩٨٥
٢٥ـ وثائق الحوار العربي الأوروبي ١٩٨٦
٢٦ـ بداية الصحوة العربية في مواجهة الغزوة الصهيونية ١٩٨٦
٢٧ـ عن شعب فلسطين العربي ١٩٨٦
٢٨ـ نظرات في قضايا معاصرة ١٩٨٧
٢٩ـ مستقبل الصراع العربي الصهيوني ١٩٨٨

الموضوع — صفحة

• مقدمة ٥

أحاديث ماقبل الانتفاضة ٧

— التقدير الصحيح لأوضاعنا ٩

— حديث المؤتمر الدولى ١٥

— مواجهة هذا الصاروخ الاسرائيلى ٢١

— الكيان الصهيونى بين يهود ويهود ٢٧

— أمام ثلاثة مواقف صهيونية ٣٣

• أحاديث الانتفاضة

— عملية بطولية .. أفكار وخواطر من وحيها ٤٣

— زَبَدٌ صهيونى ٥٠

— ثلاثة أخبار ومؤشراتها ٥٦

— الانتفاضة .. انطباعات وتوقعات وواجبات ٦٣

— حوار مع أحمد صدقى الدجانى ٦٩

أجراه محمد إدريس أحمد فى ١٩٨٨/١/٢

بمكة المكرمة لجريدة الندوة

— الانتفاضة وإفشال نظرية الأمن الإسرائيلية ٧٧

— الانتفاضة أسئلة وأجوبة ٨٣

— الانتفاضة والأولويات ٨٩

— محاولة لقراءة الانتفاضة ٩٥

حوار مع أحمد صدقى الدجانى أجراه سعيد شحات

فى ١٩٨٨/١/٢١ بالقاهرة لجريدة صوت العرب

— الانتفاضة والولايات المتحدة وأربع حقائق ١٠٤

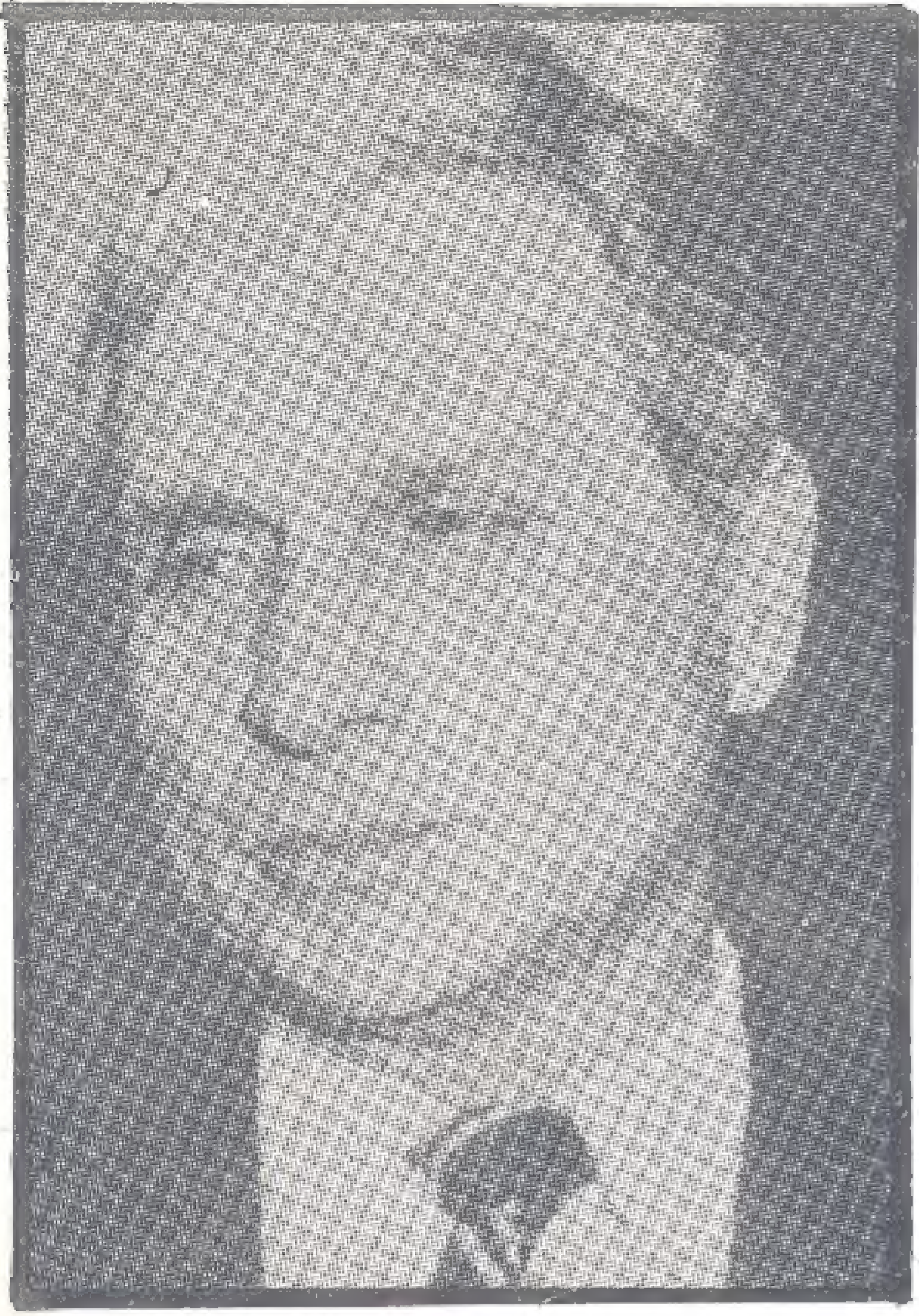
— الانتفاضة وعمل عربى على الصعيد الرسمى الأمريكى ١١٠

— الانتفاضة ومواجهة العداء الأمريكى ١١٧

ـ دبلوماسية عربية تستلهم روح الانتفاضة ١٢٣
ـ الانتفاضة واختراق العدو ١٢٩
ـ العمل لانتصار الانتفاضة ١٣٥
ـ الانتفاضة والرد على التهديد الاسرائيلى للسعودية ١٤٢
ـ الانتفاضة وروح المقاومة ١٥٠
ـ الانتفاضة .. ووداع أبى جهاد ١٥٧
ـ الانتفاضة وأداء الواجبات نحوها ١٦٣
ـ الانتفاضة وحديث عن الاتحاد السوفييتى ١٦٩
ـ الانتفاضة واستراتيجية عربية مواجهة ١٧٦
ـ الانتفاضة .. وتنمية الحس الأمني ١٨٢
ـ تأملات فى زمن الإنتفاضة ١٨٨

رقم الايداع ٨٨/٤٩٥١

مطبوعات وحدة البحث
المجلس الأعلى للتربية والثقافة والعلوم
منظمة التحرير الفلسطينية



هذا كتاب عن الانتفاضة الفلسطينية التي مثلت التعبير الأقوى عن الصحوة العربية في مواجهة الغزوة الصهيونية . وهو يصدر في الذكرى الأربعين لنكبة فلسطين ، والانتفاضة توشك أن تكمل شهرها السادس وهي لاتزال مستمرة تدق باب الحرية وتبنى صرح التحرير . كما يصدر أيضاً في اطار احياء الذكرى الخمسين للثورة العربية الكبرى في فلسطين قبل النكبة .

يصدر هذا الكتاب والتفاعلات التي اوجدتها الانتفاضة كأقوى ماتكون . وقد تحمست لاصدارة قبل أن تكتمل هذه التفاعلات ، ليقوم بواجبه في دراسة الانتفاضة والدعوة الى الوفاء بحقها ، لعله يسهم في حشد طاقات امتنا لدعمها حتى تُحقق هدفها وتحرر اراضينا المحتلة . وسيبقى هدف تحرير الوطن نصب اعيننا حتى يتحرر الوطن ، وتتطهر أرض المقدسات التى باركها الله من الصهيونية العنصرية .

ان مايتضمنه هذا الكتاب من افكار هو حصيلة ساعات طويلة من الاشتغال في عملنا الفلسطيني ضمن مؤسساته القيادية ، وساعات طويلة من القراءة والتأمل . وقد سافرت خلال فترة كتابته اسفاراً كثيرة في مشرق وطننا العربي ومغربه ، ورأيت مافعلته انتفاضة شعبنا العظيمة المعبرة عن الصحوة العربية في أبناء امتنا ، والاجلال الذي يحيطونها به والآمال التي يعلقونها عليها . وكم افدت من الحوارات التي أعقبت محاضراتي عن الانتفاضة في عدة أقطار عربية .

دار المستقبل العربي

٤١ شارع بيروت . مصر الجديدة
ت ٦٦٥٩٠٠ القاهـــرة